

+

تساؤلات في

التدين والروحانية والمسيحية

تقديم

نيافة الحبر الجليل

الأنبا دانيال

أسقف عام المعادي والبساتين

بقلم

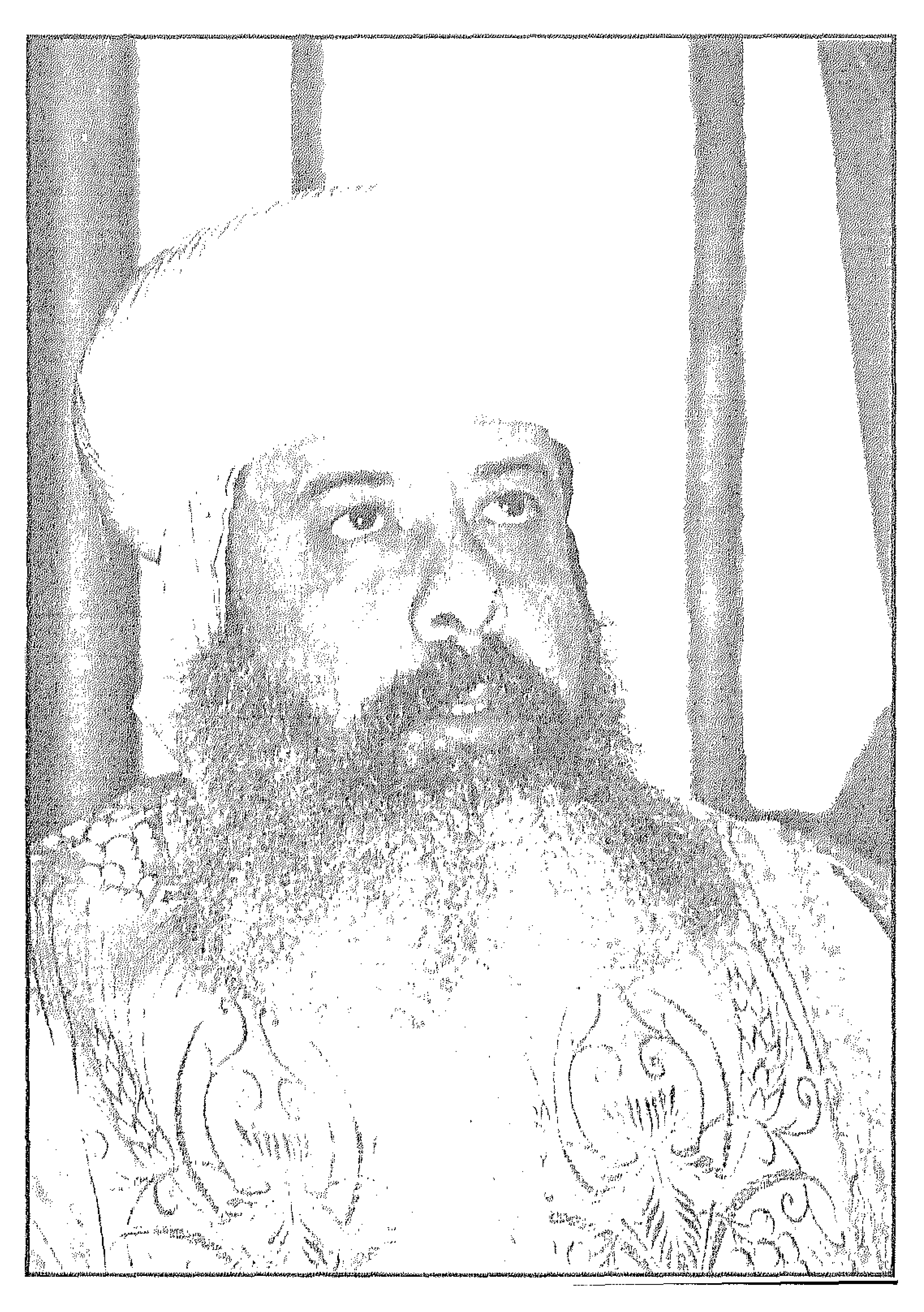
د. مجدي فرج

الكتاب : تساؤلات في التدين والروحانية والمسيحية
المؤلف : د. مجدي فرج
الطبعة : الأولي أكتوبر ٢٠٠٨
الناشر : مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالمعادي
الكتابة الإلكترونية والإخراج الفني : د. مجدي فرج
المطبعة : ميناس برنت ت: ٢٥٨٩٢٩٩٢
رقم الإيداع : ١٧٣٢٢ / ٢٠٠٨



قداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث



نيافة الحبر الجليل

الأنبا دانيال

أسقف عام المعادي و البساتين

تقديم نيافة الحبر الجليل الأنبا دانيال

اشكر كثيرا الخادم الأمين الدعوب الدكتور مجدي فرج علي كتابه السنوي لهذا العـــام ، والذي عودنا أن يضع في كل تأليف خلاصة فكره الكنسي عن موضوع العام وهو في هذا الكتـاب عن التـــدين .

والحقيقية انه بما أن حياة الإنسان صادرة بنفخة الروح من فم الله فصار الإنسان نفسا حية فأنه يشتاق دائما إلي الاتحاد بالله وملامسة حواسه وإشباعها بلقاء الله .

وكان ذلك يتم بصورة واضحة في جنة عدن ، ولكن بعد طرد الإنسان منـــها ، صــار يبحث عن الله في الأصنام تارة أو في مخلوقات الطبيعة تارة أخري أو حتى في الحيوانات القويـــة أو ذات الدلالات المعنوية يتخيل بها تجسد الله ويشبع حواسه منها . وانتهي هذا البحث بتجسد ابن الله الوحيد فصار عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا . وفي هذا يقول القديس يوحنا الرسول في افتتـــاح رسالته الأولي " الذي كان من البدء ، الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه ولمســته أيدينا من جهة كلمة الحياة "

إذا فالإنسان مخلوق متدين بطبعه يبحث عن الله دائما حتى يعود إليه ويتحد به ، وفشلت كل محاولات الملحدين في إنكار الله وإبعاد الإنسان عنه .

لكن كيف يكون تدين الإنسان وانحرافات التدين وأساليب وأهداف التدين في كل الأديان وبالذات في المسيحية . هذا هو موضوع هذا الكتاب الذي يحاول الكاتب أن يصل بنا فيه إلي التدين الصحيح المثالي الذي يجعلنا قريبين من الله ويشبعنا روحيا ونفسيا وعقليا .

الله يبارك الكاتب ويعوضه كل خير علي الأرض وفي السماء ، ويجعل هذا الكتاب مفيدا للقارئ ببركة العذراء القديسة مريم وصلوات الجالس علي كرسي مار مرقس البابا شنودة الثالث أعطاه الله الصحة وطول العمر .

+

الأنبا دانيال

مقدمة

الدين من أهم المؤثرات الروحية في حياة الإنسان ، فهو احتياج نفسي لكل شـــــخص ، ويؤثر علي تفكيره ويحكم سلوكه . كما يؤثر الدين في تكوين الجماعات والمجتمعات ويشكل روح تلك الجماعات ويكون من أعمق أسس تقاربهم و توحدهم ، ويؤثر علـــي ثقافتـــهم وعـــاداتهم الاجتماعية ، وللدين تأثير علي السياسة في بعض المجتمعات فهو مصدر تشريع قوانينها ويؤثر علـــي الحركة السياسية لهذه المجتمعات .

ومن المؤسف أن الدين أيضا من أكثر أسباب الصراعات البشرية ، فما مـــن إنســـان إلا وواجه متاعب من المختلفين معه في العقيدة والدين ، وحتى أصحاب الدين الواحد يتصارعون فيمـا بينهم ويشكلون مذاهب وشيع متصارعة ، وحتى أصحاب المذهب الواحد يتصارع المتزمت منـــهم مع المعتدل منهم ويحاول أن يتسلط عليه ويفرض تزمته عليه .

لذلك نحتاج أن نصحح فهمنا لتديننا حتى ما يكون سندا لنا لنحيا حياة مستقيمة ويربطنا بالناس بدلا من أن يجعلنا نتصارع معهم ، ولكي ما يكون تديننا قوة روحية تدفعنا نحو حياة أفضل بدلا من حصارنا في أوهام غيبية تعوق مشاركتنا الحقيقية في الحياة .

هل المسيحية ديانة مثل باقية الأديان ؟

إن عشنا مسيحيتنا كمعتقد وكعبادة مثل كل الأديان لإشباع احتياجات نفسية ، وإن كنا في مسيحيتنا نتصارع ونتقاتل مثل بقية الأديان ، فهذا يعني أنه هناك خطأ فادح في فهم مســـيحيتنا وفي ممارستها وأن الأمر يحتاج إلي وقفة وتصحيح .

المسيحية ليست ديانة يمكن مقارنتها مع بقية الأديان الإنسانية والمعتقدات الفكرية والحركات الروحية ويمكن أن نفاضل بينها وبينهم ثم ننتقي أفضلها لنا .

المسيحية ليست ديانة نتعصب لها وندعي في تعصبنا أنها أفضل الأديان ، ولكنها ديانة لها خصوصية لا تشاركها فيها الديانات الأخرى ، فنحن لا نتعصب لها ولكننا ندرك تميزها .

المسيحية ليست إيمان بمعتقدات فلسفية وممارسات طقسية ولا هي طريقة روحية تدعو لسمو روحي أخلاقي مثل بقية الأديان بل إنها إيمان "بشخص" وطقوسها هي وسيلة تواصلها معه ، وهي اقتران روحي بروحه لنكون علي مثاله نحيا به وله .

الأمر مختلف تماما ، فالإيمان بمعتقدات فكرية غير الثقة في شخص ، الإيمان بمعتقد يعتمد علي حالة المؤمن الذهنية والنفسية والروحية ويتشكل بها أما الإيمان بشخص فهو يعتمد علي قربنا أو بعدنا منه وعلي قدر رؤيتنا له وبحسب مقدار رجائنا فيه وكذلك علي قدر انجذابنا له ودخولنا في شركة شخصية معه .

لذلك نحتاج أن نراجع فهمنا لمسيحيتنا ونصحح مسارها من الإيمان بمعتقدات عن الله إلي الثقة في الله في شخص المسيح ، ومن عبادة غيبية إلي وصال حقيقي بالله في شخص المسيح ، ومن سمو أخلاقي روحي إلي اقتران روحي بروح المسيح لتتغير شخصيتنا فنكون علي مثاله . لذلك نحتاج أن نصحح اتجاهاتنا الروحية لنكون مسيحيين حقيقيين ونحيا بروح المسيحية لا بمعتقدات مسيحية ، ونكون في مسيحيتنا روحيين لا متدينين ، ونكون تلاميذ للمسيح وأبناء لله لا تابعيين لدين المسيح .

أن الممارسات النسكية لأي دين والتدريبات الروحية تحت أي مسمي يمكن أن تسمو بروح الشخص وتجعله يكتسب خصائص روحية جيدة ، فلا فرق بين ممارسات اليوجا وممارسات الصوم لأي دين في نمو روح الإنسان وسيطرته علي جسده ، بينما المسيحية بممارساتها النسكية تهدف لسمو روحي من نوع خاص ، نمو يهيئ الشخص لتقبل روح المسيح فيستطيع أن يحيا كابن لله ...

******

هذا الكتاب رؤية تحليلية لظاهرة التدين وليس بحثا في مقارنة الأديان ، وهو يتناول التدين والروحانية كظاهرة إنسانية ويحاول أن يتلمس الموقف المسيحي من هذه الظاهرة ، ويهدف لتعميـق الفهم لأبعاد تدينا المسيحي وروحانيتنا المسيحية وإبراز خصوصيتها وعمقها .

كما يهدف هذا الكتاب إلي مراجعة معتقداتنا وممارساتنا الروحية لتصحيحها وتنقيتها من التفكير الغيبي الأسطوري والممارسات السحرية لتكون ديانة طاهرة نقية نستطيع مـــن خلالهـــا أن نلتقي بشخص المسيح وندخل في شركة محبة حقيقية معه ، فتتغير شخصيتنا ونكتســـب سماتـــه ، فنكون علي صورته ونحيا علي مثاله ، بل ونظهره للعالم فيتمجد بنا وفينا .

الباب الأول

التدين والاعتقاد

أعرف كيف صرت متدينا ؟

افهم تدينك المسيحي

احترس من أمراض التدين

في الزمن الذي زاد فيه إقبال الناس علي الدين وأصبحت الكنـــائس مزدحمـــة بـــالمصلين ويتزاحم الناس علي الاجتماعات الروحية لابد أن نتساءل هل هذا راجع إلي نهضة روحية حقيقية أم إنه ظاهرة اجتماعية تحتاج تفسير ، وفي الزمن الذي كلما زاد التدين فيه يزداد التعصـــب ورفـــض الآخر إلي حد تكفيره !! فالأمر يحتاج إلي وقفة ...

نتساءل ما هذا النوع من التدين الذي يدفع الناس نحو القبلية والوحشية ولا ينتج عنه سمو أخلاقي وروحي ولا يرتقي بالإنسان في اتجاه قبول الآخر ومحبته ... وإن كانت الأديان تدعـــو إلي المحبة والانفتاح علي الآخر فلماذا كلما زاد شخص في تدينه ازداد انغلاقا وتعصبا ؟!

وفي الزمن الذي أصبح للمتدينين مطالب سياسية لا روحية وكلما زاد تدينهم زاد سعيهم لتشكيل قوى سياسية ويدخلون في صراعات سياسية !! نتساءل هل الدين يهتم بمطالب زمنيـــة في ظروف معينة أم أنه يهتم بالحياة في عمقها وفي بعدها الحاضر وبعدها الأبدي ولا يرتبط بسياســـات معينة ولا بظروف وقتية .

لذلك آن الأوان لنراجع تديننا ونفهم ظاهرة التدين في مجملها الإنســـاني والتـــاريخي وفي واقعها الحالي وننقي تديننا من التأثيرات السلبية للتدين الغير سوى وبعض أنماط التديـــن المريـــض السائدة الآن ...

يحتاج كل منا أن يرجع نفسه ويفهم كيف صار متدينا ، ولماذا هو متدين ، وما هي نوعية تدينه وما هي درجته ، وهل يعي قضية اختلاف العقائد والأديان ، ويراجع نفسه كيف يتعامل مـــع هذا الاختلاف ؟

هذه المراجعة هي عمل روحي مهم لأن الرب نفسه حذرنا " لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَـــا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ." (متى ٧ : ٢١) فالتدين في حد ذاته قـــد يكـــون عائقـــا

للوصول للملكـــوت . والرسول يعقوب يشير لنوعية من التدين يقول عنها أنها **باطـــلة**[١] أي بـــلا نفع ولا تنجح في تحقيق أي نوع من النمو الأخلاقي والتقدم الروحي

ليس كل تدين بمقبول لدي الله .. إلا إذا كان هذا التدين "**طاهـــرا**" ونقيا[٢] ؟!

فحتى التدين يمكن أن يدنس ويلوث...

ولذا يحتاج تدينا إلي تنقية ومراجعة مستمرة لئلا ينحرف بنا إلي عبادات باطلة وانحرافات نفسية وروحية تفصلنا عن الله بدلا من أن تقربنا من شركة محبته ، وتعقد علاقتنا بالناس بدلا من أن تدفعنا نحو الانفتاح عليهم .

التدين غير الديانة... والتدين ظاهرة سيكولوجية : تبدأ بالتفكير الغيبـــي superstition إلى الاعتقاد الديني religious belief وقد تنمو روحيا نحو الإيمان faith وقد تصل إلى التصـوف mysticism كدرجة عليا وأخيرة .

ولذلك سوف نناقش في هذا الباب التدين لا الدين ، ونحلل تديننا لا مســـيحيتنا لنصـــل كيف ننقي تديننا من أمراضه ونسمو به نحو تدين مسيحي حقيقي ليكون دافعا روحيا يقربنا مـــن شركة محبة الله .

---

١ إنْ كَانَ أحَدٌ فِيكُمْ يَظُنُّ أنَّهُ دَيِّنٌ، وَهُوَ لَيسَ يُلْجِمُ لِسَانَهُ، بَلْ يَخْدَعُ قَلْبَهُ، فَدِيَانَةُ هَذَا بَاطِلَةٌ. يعقوب ١ : ٢٦

٢ الدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هَذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ. يعقوب ١ : ٢٧

أعرف كيف صرت متدينا ؟

أن التدين هو ميل طبيعي في الإنسان ، فلا يوجد شخص في الحياة لا يعتقد ولا يؤمـــن ، حتى الملحدين الذين ينكرون وجود الله ويرفضون الأديان بصفة عامة "**يؤمنون**" بأفكار ونظريات ، ورفضهم لله نفسه ما هو إلا عقيدتهم التي "**يعتقدون**" فيها و"**يؤمنون**" بها ويحيون علي أساســـها ، فإلحادهم هو نوع من التدين السلبي .

قد تكثر المعتقدات في العالم وتتنوع وتتضارب ولكن الناس تجمع علي أمر "**الاعتقـــــاد**" وكل شخص له معتقداته ، قد تختلف معتقدات الأشخاص عن الإله فهناك من يعتقـــد في البعـــل والعشتاروت .. وهناك من يعتقد في الله الواحد وهناك من يري نفسه أنه الإله أو ابـــن الإلهـــة .. وهناك من كان إله بطنه أو شهواته أو ماله أو علمه ، ولكنه عموما لا يوجد إنسان بلا رب يعبـده وبلا إله يدين له .

وكما أن المعتقدات متنوعة ومتعددة هكذا نجد العبادات أيضا بممارساتها وطقوسها مختلفة ومتنوعة ولكن الأمر المشترك أن كل إنسان له عاداته وطقوسه اليومية وطقوسه الدينية التي يلـــتزم بممارساتها ، فالإنسان بطبيعته طقسي وتدينه كذلك طقسي . أن الاعتقاد والعبادة هما من طبيعـــة التكوين النفسي والروحي لكل إنسان .

التدين له بعدان: بعد شعوري مبني علي الإحساس والاعتقاد ، وبعد تعبيري في شكل عبادة تؤكد هذا الإحساس وتقوية وتوضح المعتقدات وترسخها . ولابد أن نفرق في مناقشة قضية التدين بين الحس الديني أي "الاعتقاد" والتعبير الديني أي "العبادة" .

فما هو الحس الديني وكيف تتطور قدرتنا علي الاعتقاد ؟

كيف يتكون الحس الديني ؟

يحتاج كل إنسان في حياته للشعور بالأمان ، وللمعني ، وللهدف ، ليستطيع أن يواصل حياته ويستقر وجوده ، ففي الحياة ظواهر لا يفهمها ومواقف لا يقدر علي مواجهتها ومآسي عليه تحملها ، والعقل البشري بقدرته علي التفكير المنطقي الذي يعتمد علي السبب والنتيجة لا يستطيع أن يحلل ظواهر الحياة ، ولا يعطيه ذهنه الشعور بالأمان ، ولا الشعور بالمعني ، ولا يعطيه تبريرا للحياة ، ولا يعطيه هدفا معقولا لها ... ولا يبرر لماذا نحيا .. ولماذا نموت ؟!

ولذلك يستخدم الإنسان نوع أخر من التفكير يسمي التفكير الحدسي[٣] أو التخيلي – الذي نستخدمه في الخلق والإبداع وحل المشكلات وهو يعتمد علي الحدس والخيال ونستخدم فيه الرموز والأشكال ، كما في الرسم والشعر والموسيقي الخ .

التفكير الديني هو نوع من التفكير الحدسي الذي يعتمد علي الإحساس والتعبير الرمزي . في هذا النوع من التفكير يبدأ الإنسان يعي أن علة أمور حياته هي خارج وجوده المادي ، فيبدأ في الاعتقاد بوجود قوي فوق الطبيعة تحرك أمور الحياة ، وتدينه يبدأ من لحظة محاولته استرضاء هذه القوى لتجنب غضبها ونوال رضاها أو طلب معونتها أو التوافق معها .

إن فهمنا للكيفية التي بها نكون معتقداتنا ونمارس تفكيرنا الديني basic belief systems هو أمر مهم لأنه من خلال طريقتنا الذاتية في الاعتقاد فان الله يتحاور معنا وتصلنا كلمته ومن خلالها يمكننا أن نتواصل معه... لذلك فأن فهمنا لآليات التدين وحرصنا علي حفظ سلامتها يحفظ لنا سلامة تدينا وصحة حياتنا الروحية . فإن كان لنا جهاز هضمي سليم استطعنا أن نتزود

[٣] الحدس: إدراك الذهن لموضوع ما إدراكا مباشرا وهو يقابل الاستدلال المنطقي.

بغذائنا من الطبيعة وحفظنا علي صحتنا وإن أصاب جهازنا الهضمي المرض فكيف نستطيع ذلك ؟! وإن صمت أذاننا ومرض جهاز السمعي فكيف لنا أن نسمع وأن نفهم ؟! هكذا إن كانت قدراتنا علي الاعتقاد مريضة أو ضعيفة فإنه سوف يؤدي حتما إلي فساد إيماننا وتدهور حياتنا الروحية التي نستمدها من الله خالقنا وعلة وجودنا ، وسوف يفشل تواصلنا معه وتفسد عبادتنا أيضا . فلنفهم كيف نبدأ في الاعتقاد وكيف ينمو ويتطور تديننا .

١- مرحلة التدين الغيبي :

تبدأ المراحل الأولي في الاعتقاد والفهم الديني بإحساس مبهم بوجود قوي غيبية تتحكم في حياتنا وفي ظروفنا ، فيسيطر علي المرء التفكير السحري "magical thinking" فيعتقد في وجود الأشباح والأرواح والنجوم التي تحكم سير الأحداث والأحوال وأنها تؤثر في مصيره ، ويكون تدينه عبارة عن ممارسة سحرية غيبية يحاول فيها التحكم في هذه القوي أو استغلالها في تحقيق أغراضه ويتوسط فيها الدجال والمشعوذ والساحر .

ففي زمن ما قبل ظهور الأديان ، كان الإنسان البدائي يعاني من ثورات الطبيعة ويعيش في بيئة قاسية وغير آمنة .. ولم يكن يعرف كيف يحمي نفسه من أخطارها ، ولذلك سيطر الخوف عليه وكان الخوف من سماته النفسية ... ولكي ما يتخلص من مخاوفه لجأ لعبادة ما يخافه !! .. فعبد النار والرياح والماء .. ففي عبادته لها كان يحاول استرضاءها ليتجنب غضبها وشرورها ، وفي أوقات أخري كان يحاول استمالتها لتحقق له أحلامه ، وذلك من خلال ممارسات سحرية بتعويذات ليس لها مدلول منطقي وحركات طقسية تعبر عن خضوعه لهذه القوى الغيبية ، واستعان بالعرافين ليعرف أحوالها ، كما استعان بالسحرة كي ما يساعدوه علي استرضاءها وتجنب غضبها .



هذا النمط من التفكير السحري ليس قاصرا علي الإنسان البدائي فقط بل أنه نمط من التفكير مازال

إلي الآن مسيطر علي كثيرين من المتحضرين والمثقفين الذين تجدهم يؤمنون بقراءة الكف والنجوم والحظ والذين يتفاءلون بأشياء معينة لتجلب لهم الحظ ويتحصنون بأشياء أخرى لتحفظهم من الشرور . ولو حللنا نفسيتهم لوجدنا عندهم شعور مزمن بخوف مبهم من قوى مبهمة ، قد يسموها العين والحسد والحظ والأعمال ، ويعتقدون أنها تسيطر علي أحوالهم وتعوق تحقيق أحلامهم . ويلجأ كثير منهم لمفسري الأحلام وقارئ الفنجان والأوراق والمنجمين يستشيروهم في أمور حياتهم ، كما يلجئون للمشعوذين ليصنعوا لهم الأحجبة التي تجلب لهم الحظ حتى ما تنجح أعمالهم ويفكوا لهم الأعمال الشريرة التي تعوق خطط حياتهم !!

حتى بعض المتدينين الطقسيين يسيطر عليهم علي هذا النمط من التفكير السحري ويؤثر علي معتقداتهم ، فيرون في بعض الرموز الطقسية قوى سحرية تجلب لهم الحظ والبركة ويهتمون أن يحضرون الزيت والماء من الكنيسة لتكون لهم بركة في بيوتهم ويستعملونها عند مرضهم ولطرد روح الشر والخصام والحزن من بيوتهم ، والأخطر أنهم يظنون أن طقوسنا هي ممارسات تحمل قوى في ذاتها مثل الطقوس السحرية ، ولا يدركون أنها وسيلة صلاة واتصال روحي مع الله .

لو حللنا هذه المرحلة الأولية من الاعتقاد وطريقة التفكير الديني فيها فسوف نلاحظ يكون **الخوف** الدافع الأساسي للتدين الإنساني: الخوف من المجهول ، والخوف من العجز . ويدفعه خوفه في طريق التدين ويبدأ أولي تساؤلاته الدينية وتأملاته الروحية .

في هذه المرحلة يبدأ الإنسان أولي محاولات فهمه الديني ، فيبدأ يدرك ويقر أن الحياة اكبر منه .. وأنه جزء من دورتها وليس محورها .. وأنها تسيطر عليه وليس هو المسيطر عليها .. وهو يستعملها ولا يملكها !! وعليه أن يحبياها بالرغم أنه يجهلها !!

كذلك يبدأ الإنسان في إدراك أن كل ما في الحياة المادية هو ظواهر وليس حقائق ، وإن كل ما هو ظاهر له باطن قد لا يدركه ، وأن كل أحداث الحياة لها قصد قد لا يفهمه – بالرغم أنها حياته .. وبالرغم أنه جزء منه .

وهنا يبدأ الإنسان يقر أن حياته ليست تحت سيطرته ، وأن قوى الحياة تستمد من خارجة ، وأن كل ما هو مادي له باطن روحي يحييه ، وهنا يبدأ إدراك وجود عالم روحي وحيلة روحية .



ولصعوبة فهم الإنسان لهذه الأمور والتكيف معها احتاج لوسيط روحي واحتاج لطقوس يعبر بها عن فهمه وعن مخاوفه ... وكانت عبادته عبارة عن طقوس يعبر فيها عن عجزه ويفصح فيها عن مخاوفه ... وظهر الوسائط من عرافين ومنجمين وسحرة ، وكان دور هؤلاء الوسطاء الروحيين هو تخفيف هذا الخوف ومحاولة إعادة الطمأنينة لديه .. أو تشديد حدة الشعور بالخوف عنده !! فيستخدمون التخويف كمنشط للحياة وكحافز للعمل؟!

*****

قد يسيطر التفكير الديني السحري المبهم علي تديننا في مرحلة ما من حياتنا الروحية أو في ظروف معينة في حياتنا ، فإن كان هذا نمط تفكيرنا الديني في المراحل المبكرة من إيماننا ونتجاوزه بحسب نضجنا النفسي والروحي ، فأننا نرتد إليه عندما تزداد علينا ضغوط الحياة وعندما نضعف نفسيا أو روحيا .

يوضح لنا الكتاب المقدس هذا الأمر فيحكي لنا كيف أن ملوك إسرائيل عند دخولهم في الحروب كانوا يستخدمون الأنبياء كعرافين[٤] لاستشارتهم في أمر الحرب ؟! ويسألونهم هل الله معهم ؟! وهل سوف ينتصرون في هذه الحزوب ؟! ويحكي سفر صموئيل كيف أن شاول الملك عندما ثقلت عليه الأحداث وتعقدت الأمور أضطرب وضعف نفسيا وروحيا ، فلجأ لعرافه لتحضر له روح صموئيل ليعرف مصير الحرب المشتد حوله[٥] .

---

[٤] (١ ملوك ٢٢ : ١-٢٦)
[٥] (١صموئيل ٢٨ : ١-٢٠)

ألم تلاحظ معي أنه عندما يشتد المرض بأحد ويعجز الطب عن علاجه يبدأ هذا المريض أو أهله في البحث عن أشخاص روحيين يعتقدون أنهم لهم قدرات خاصة ليصلون لـــه .. وفي هـــذه الظروف يرتاحون لسماع قصص المعجزات وقصص الشفاء .. ويكثرون من زيارة الأماكن المقدسة حيث توجد مزارات القديسين وأجسادهم يلتمسون بركاتهم ويتشفعون بهم ...

قد يكون الخوف أعمق شعور في إحساسنا الديني ، ولكن في رحلة الإيمان لابـــد مـــن حدوث تحول من الخوف من الحياة ومن مصاعبها ومصائبها إلي خشية الله ، وتكون الرهبة المقدسة هي أساس تديننا ، فنهاب الله الذي لا نفهمه والذي بيده كل أمور حياتنا ومصيرنا ، وأن يكـــون أول فعل إيماني هو توقيره لحكمته والالتزام بعمل وصيته ... ولا نخاف من الله لأنه القوى المجهول بل نهابه لعظمته ... لأنه إلهنا خالقنا ومدبر حياتنا ... ونوقره لأنه أبونا ونحن له .

كما ينبغي أن يكون دور رجال الدين في هذه المرحلة العمل علي تحقيق نوع من التـوازن الروحي في حياة المتدينين ومساعدتهم ليطمئنوا لله ويحفظون مهابته في نفس الوقت ، ولا يســتغلون الخوف الإنساني كما يستغله السحرة والعرافين ليجعلوا الناس تعيش في أوهام وخرافات دينيـــة ، وكذلك لا يعملون علي تخليصهم من الخوف بطرق وهمية وبحيل نفسية ..

ومن الأمور المؤسفة أن بعض رجال الدين في أديان العالم يستخدمون الدين في إرهـــاب الناس ، فيلوحون بعقوبات إلهية وانتقام سماوي وعذابات في القبور وعذابـــات أبديـــة ، وأعطـــوا أنفسهم الحق في عقاب الناس باسم الدين ، وفرض عقوبات دينية ... وجعلوا الدين أداة تخويـــف وربطوا بين الدين والإرهاب ، وتدريجيا ارتبط التدين بالعنف الفكري والعقائدي حتى ظهر العنــف الديني ، واستغل هذا الاتجاه بعض المتدينين ذوى الميول السادية واخذوا في إرهاب الناس ومعاقبتــهم باسم الدين حتى أصبحت مجتمعات كثيرة تعاني من تصرفاتهم الإرهابية . كما أخذ بعض الحكـــام الديكتاتورين الدين وسيلة لإرهاب الشعوب وذريعة لشن الحروب الدينية .

أن كثير من رجال الدين مسئولين عن تحويل الرهبة الروحية إلي إرهاب ديني ، وسبب من أسباب انتشار العنف الديني الذي سوف نناقشه فيما بعد .

٢- مرحلة التدين الأسطوري :

في المرحلة الثانية من التفكير الديني ، تأتي مرحلة التفكـير الأسطـوري mythical thinking ، وهو تفكير يشبه الأحلام ، تختلط فيه المخاوف مع الآمال ، وتظهر في شكل أحـداث ومواقف وأشخاص ، ففي هذا النمط من التفكير يضع المرء هذه القوي الغيبية ونفسه في إطار واحد ويبدأ في استخدام الرموز والأشكال ليحاول أن يحلل ويفهم علاقتهم ببعض ويستوضح علاقته بها .

فالإنسان عندما يعجز عن التعبير عن خبراته وفهمه للحياة في صورة مجـردة في شـكل مبادئ ونظريات ، يلجأ لتأليف القصص الرمزية ويستخدمها في التعبير عن فهمه ونقـل خبراتـه للآخرين . ومن الطريف أن هذا الأسلوب هو نفسه أسلوب الأطفال الصغار في التعلم وفي التعبـير عن مفاهيمهم ، فالأطفال بطبيعتهم تحب سماع القصص وتهوى تأليف القصص .

ففي التاريخ الإنساني وفي مرحلة ما من مراحل التطور الديني ، أخذ الإنسان يشخص هذه القوى الغيبية فسماها أرواح وآلهة وجان ومـردة وشياطين وملائكة ، وانشأ الأساطير التي تحـاول توضيح فهمه لعلاقة هذه القوى بعضها البعـض ، فظهرت الأساطير[٦] التي تصور صراع هذه الآلهـة وتبحث قضية من هو الإله الأعظم ؟! هل هـو زيوس أم ابوللو ، أمون أم آتون ...الخ ، ومـن خلال قصص صراع هذه الآلهة بدأ الإنسـان في التعبير عن فهمه لقضايا الخير والشر وأسقط ذلك علي الإلهة والأرواح ، ففي أساطيره مـيز بـين أرواح خيره وأرواح شريرة وآلهة شريرة وآلهـة

[٦] الأسطورة هي معلومات قصصية منظمة تدور حول المعتقدات الميتافيزيقية أو أصول الكون أو المؤسسات الاجتماعية أو تاريخ شعب من الشعوب. ووظيفة الأسطورة لأبناء المجتمع هي تسجيل وعرض النظام الأخلاقي الذي بواسطته يمكن تنظيم وتشريع المواقف والأحداث الاجتماعية.
(http://www.annabaa.org/nbanews/.htm٢٠٧/٦٢)

خيره . فقصة صراع أوزوريس (إله الخير) مع ست (إله الشر) في الديانة الفرعونية تجدها قصة متكررة في كل الأساطير والأديان تحت أسماء مختلفة وأحداث مختلفة ولكن تظل الفكرة واحدة ويظل المضمون واحد .

ومن خلال أساطير الصراع الإلهي الإنساني بأشكالها المختلفة الدرامية والتراجيدية والكوميدية ، والتي تصور سيطرة الإلهة علي مقدرات الإنسان ومصيره ، وتصور كيف أنه لعبة بين أيدي الإلهة المتصارعة ، وتصور بعضها تمرد الإنسان علي هذه الإلهة وكيف كان يحاول الفكاك منها .

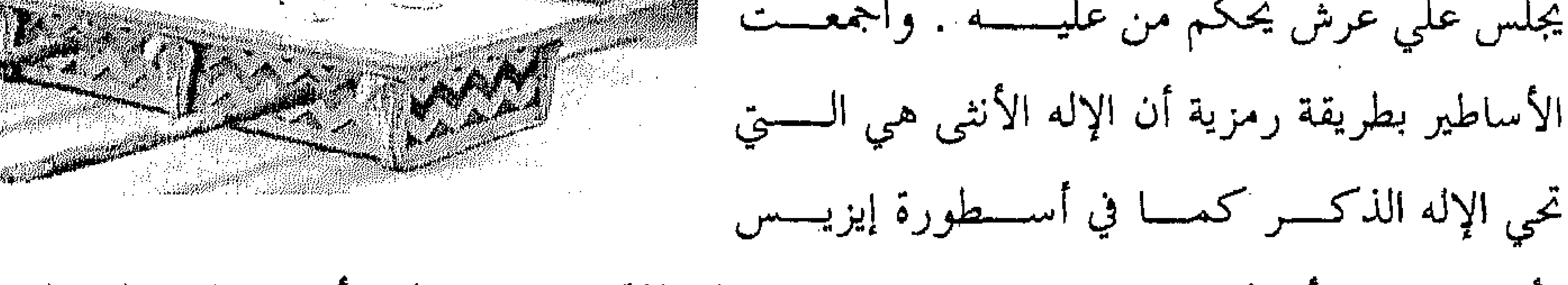
من خلال هذه الأساطير بدأ الإنسان أولي محاولات فهمه لعلاقته بالله وتعقيدات هذه العلاقة ، وكذلك تحديد مشكلاته في فهم العالم الغير منظور ...

لقد ظل الإنسان علي هذا المنوال من التفكير القصصي الأسطوري حتى بدأ ينضج ويعي أنه هناك قوانين وقواعد تحكم كل ما هو مرئي من أحداث الحياة ، فثورات الطبيعة لم تعد تعبر عن غضب الإلهة ولكنها تغيرات في الطبيعة لها قوانين طبيعية تحكمها وتنظمها ، وتغيراته النفسية وتقلباته المزاجية لها أسبابها ودوافعها وقد تكون أمراض نفسية لها أسبابها وأنها ليست مسا شيطانيا ، وأن موت الكائنات الحية هو جزء من دورة الحياة .

******

أن التفكير الديني الأسطوري لم يكن مرحلة طفولة روحية في حياة البشرية ولكنه يوضح كيف أن الإنسان يحتاج لتكوين عقيدته ولفهمه للأمور الروحية إلي تصورات حسية رمزية تقرب إليه الإلهيات ، فهو لا يقدر علي الفهم الروحي من خلال علوم اللاهوت المجرد ولا يكون معتقداته علي أسس فلسفية مجرده .

أن كل دين له قصصه الدينية التي تصور بها الإله وعلاقته بالإنسان ، وكانت الديانات الشرقية القديمة والأساطير الإغريقية ترمز للإله في قصصها الأسطورية برموز من الطبيعة وكانت تصوره أما في صورة ذكورية وترمز له ببعل أو ثور يجمع بين القوة والفعل أو تصوره في صورة أمومية وترمز له بأم تلد وتخلق ...



ولذا فعندما طلب الشعب في البرية من هارون أن يصنع لهم إله يعبدوه صنع لهم عجلا ذهبيا لأنه كان رمز الاولوهية المنتشر في مصر الفرعونية وأرض كنعان وأشور ...

وصورت القصص الدينية الإله كحاكم يجلس علي عرش يحكم من عليه . وأجمعت الأساطير بطريقة رمزية أن الإله الأنثى هي التي تحي الإله الذكر كما في أسطورة إيزيس وأوزريس وفي أسطورة عشتاروت وتموز ، وان الإله الذكر يحمي الإله الأم ويحملها علي ظهره .

وبالرغم أن لكل دين تصوره الرمزي لله إلا أن لكل شخص تصوره الديني الخاص لله وموقفه منه ، وهذا التصور الذهني هو الذي يشكل وجدانه الروحي ويؤثر علي تفكيره وعلي طرقه في اتخاذ قراراته في حياته ، فمن يتصور الله كأب يرعاه ويحميه يكون جريئا في قراراته وفي إقدامه علي الحياة ، أما من يتصور الله كحاكم ينبغي الخضوع له فهو يتردد قبل اتخاذ قراراته ويتوجس في مدي صحة خطواته ويبحث عمن يأخذ له قراراته خوفا من المسئولية ، وأما من يتصور الله ديان يحسب عليه خطواته ويعد عليه أخطائه وينتظر عقابه ويخشي انتقامه تجده في حياته يحيا تحت الخوف والقهر وقراراته فيها حذر شديد أو يتطرف في بعض الأحيان الأخرى فتجده هجومي وتهكمي يسخر من كل سلطة وقانون .

******

هل تأثرت المسيحية بهذه الأساطير ؟

ما هو سر التشابه بين بعض هذه الأساطير والقصص الكتابية مثل أسطورة "انوما إليش" وقصة الخلق ، وملحمة جلجاميش وقصة الطوفان ؟

لم تتأثر المسيحية بهذه الأساطير ، **فالمسيحية ليست أسطورة مثل بقية الأساطير ولكنها وحي وإعلان إلهي .**

فإن كانت الأساطير هي محاولات بشرية للفهم الإلهي الروحي فأن المسيحية هي إعلان الله عن نفسه . ولكن نقطة اللقاء هي أن الوحي استخدم هذا القالب في نقل الإعلان الإلهي[٧] ، **فالوحي في المسيحية هو كلام إلهي بلغة بشرية** ، واللغة الرمزية والقالب القصصي هي أسلوب البشر في الفهم وفي تكوين وجدانهم الروحي .

فالله نفسه وهو روح حينما أراد أن يعلن عن حبه لنا جسد لنا ذلك حسيا ، فتجسد الابن وتنازل وعاش بشريتنا ومات مصلوبا ، كل ذلك حتى نستطيع أن ندرك حبه لنا وحتى نرغب في الدخول في شركة محبته وننعم بخلاصه .

والسيد المسيح نفسه في تعليمه الروحي استخدم هذا الأسلوب القصصي الرمزي ، فحينما دعا الناس للملكوت وهو أمر روحي بحت استخدم الأمثال القصصية ، فأمثال الملكوت في بشارة المسيح له المجد حوالي ٣٢ مثلا ، وقد قصها من أجل مساعدة الناس علي الفهم الروحي وهي تدعوهم للتأمل في أمر الملكوت ، كما تثير وجدانهم الروحي وتساعد في تكون معتقدهم عن الملكوت .

كما نجد في الكتاب المقدس الكثير من القصص والصور الرمزية ، ونجد فيه الكثير من الأسفار الشعرية والأسفار الرؤية الرمزية التي استخدمها الوحي الإلهي في توضيح حقائق الحياة الروحية .

قد تتشابه الصور القصصية المستخدمة في الأساطير مع الصور القصصية للكتاب المقدس ، ولكن المضمون والرسالة مختلفة تماما . **فالأساطير هي محاولات بشرية لفهم الإلهيات ولكن المسيحية هي وحي إلهي بلغة بشرية** ، وبسبب الخلط الذي كان يحدث للبعض بسبب هذه الأساطير البشرية والتي كانت تشوه الوجدان الروحي للناس كان علي الأنبياء المساقين بروح الله [٨]دور هام في تصحيح تصورات الناس عن الله ومعاملاته للبشر ونفي صفة الأولوهية وخلع حالة التقديس عن قوي الطبيعة ، حتى يعملوا علي فهمها والسيطرة عليها ...

---

[٧] كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء – كوستي بندلي – منشورات النور ١٩٨٠- ص١١-١٢

[٨] لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. (٢بطرس١ : ٢١)

فقد اهتم الوحي الإلهي من خلال الأنبياء علي توضيح أن الله ليس له شبه ... وليس لـــه مثل ... ولا يمكن للعقل البشري تصور الإلهيات ، وبدءوا في فضح زيف الإلهة البشرية ومحاربـــة العبادات الوثنية ومقاومة أنبياءهم ، ونذكر كيف قاوم إيليا النبي أنبياء البعل وفضح زيف إلهـــهم الوهمي وسخر من عبادهم وقتل أنبيائهم .

لقد جاهد الأنبياء طويلا ليساعدوا الناس علي استخدام تفكيرهم الأسطوري وقدرتهـــم علي التصور في تقبل الوحي الإلهي وتفهمه لا في تصور الله واختراع الآلهة .

لقد احتاج الأمر زمن طويل ومر بمراحل عديدة ... وتدرجوا معهم في تصحيح عقائدهم ... فبدءا أولا يوضحون أن الله هو الإله الحقيقي وهو أعظم من كل الآلهة التي يمكن أن يتصورهـــا البشر ويعبدها ؟! ففي المزمور٨٦ يقول " لاَ مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ وَلاَ مِثْلَ أَعْمَالِكَ. ...لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ." ، ففي زمن تعدد الآلهة كان شعب الله يعتـــبر الله " يهوة " أله محلي (إله إسرائيل) وأنه إله الحرب والانتصارات الذي أخرجهم من أرض مصر وينصرهم علي أعدائهم وليس الإله الواحد ، ولذا انتشر في أوساطهم عبادة البعل (إله الخصب) مع عبـــادة يهوة !! حتى أن بعض المتدينين كانوا يعبدون الله ويعبدون الآلهة الأخرى في نفس الوقت ويحتفظون في بيوتهم بالأصنام ، فعائلة جدعون بالرغم أنها عائلة متدينة فأبوه كان أسمه "يـــوأش" أي "يـــهوه يعطي" وهو علي علاقة إيمانية بيهوة إلا أنه كان يوجد في بيته معبدا للبعل وســـارية (قضـــاة ٦ : ٢٥- ٢٦)[٩] كما نتعجب حينما نجد أن داود الملك قد أطلق أسم البعل علي أحد أبنائـــه وسمـــاه "بعلياداع" أي "البعل يعرف" (١اخبار ١٤ : ٧) .

لقد أخذ الأنبياء يساعدون الناس أن تدرك أولا أن الله أعظم من كل هذه الآلهة ، وأخذوا يلقبونه (إله الآلهة)[١٠] وكيف أنه له السيادة والسلطان علي كل الآلهة حتى يركز الناس علـــي الله الواحد العظيم ولا ينشغلون بالآلهة الكثيرة ، وشرحوا سبب ظاهرة تعدد الآلهة ، ووضحوا كيف أن التصور البشري الذي يعكس كبرياء الإنسان وإسقاطه لبشريته علي الله هو سبب ذلك ، كما وضح حزقيال بالروح قائلا: " يَا ابْنَ آدَمَ, قُلْ لِرَئِيسِ صُورَ. هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدِ ارْتَفَعَ

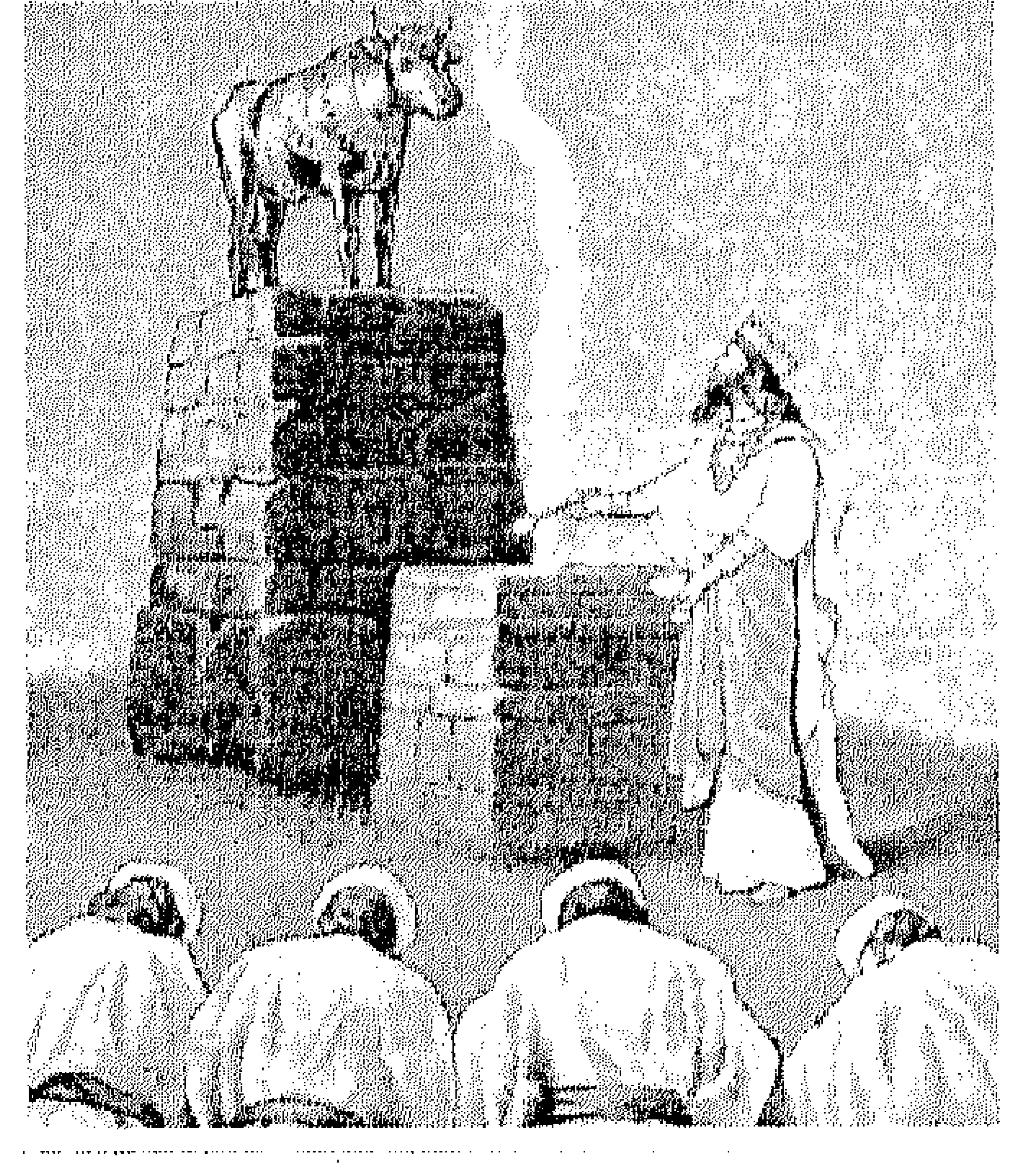
[٩] فلسفة تاريخ العبادة – القس يوسف سمير – دار الثقافة ٢٠٠٧

[١٠] لان الرب الهكم هو اله الألهة ورب الارباب ... (تث ١٧:١٠)

قَلْبُكَ وَقُلْتَ: أَنَا إِلهٌ. فِي مَجْلِسِ الآلِهَةِ أَجْلِسُ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ. وَأَنْتَ إِنْسَانٌ لاَ إِلهٌ, وَإِنْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ كَقَلْبِ الآلِهَةِ. حزقيال٢٨ : ٢

وفي الوقت نفسه أخذ الأنبياء في مساعدة الناس كي تدرك أن الله ليس إنسان[11] ولا ينبغي أن نسقط أي تصور بشري علي الله ، فالله هو (الكائن) أو (أهية الذي أهية) كما أعلن الوحي لموسي ، فهو كينونة روحية لا تفهم ولا يمكن تصورها بأي حال من الأحوال . ودعوهم لنبذ العبادات الغريبة والإخلاص لله ، والتأكيد علي وحدانية الله وأنه لا يوجد إلا إله واحد .

وفي مرحلة لاحقة بدءوا يستخدمون صور توضح علاقة الله بهم ولا تصور الذات الإلهية ... فصوروا علاقة الخالق بالمخلوق بعلاقة الأب بأبنائه وصور الوحي الله بالأب وبالأم[12] وصور رعاية الله لخليقته بالسيد والملك والراعي وصور علاقة المحبة الإلهية بالبشر بالعريس والخطيب والزوج .



أن بين عبادة الله وعبادة الأوثان **خيط رفيع** ولابد أن ننتبه له لئلا نكون عابدي أوثان ونحن نظن أننا نعبد الله ... لقد حذر بولس من ذلك وقال: اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ[13] ...

نعم نحن نقع في عبادة الأوثان حينما نسقط تصورتنا علي الله ولا نحاول أن نتقبل الوحي الإلهي كما هو . فحينما أسقط الهراطقة ضعفهم علي الله نشأت البدع والهرطقات ، فالهرطوقي المتكبر لا يقبل أن يتنازل الله ويتجسد فهو يريده عال لا يمكن الاقتراب منه ، فهذه هي الصورة الذهنية التي تتفق مع نفسيته المتكبرة . وهكذا نصنع نحن أيضا حينما نسقط علي الله كل ضعفنا ، فالمتكبر يريد أن يكون الله جبار ، والمتسلط يريد الله متسلط ، والذي يعاني من ظلم يريد أن يكون الله منتقم وجبار ، والذي يعاني من الوحدة والرفض يريد الله محب ....

[11] اصموئيل١٥ : ٢٩
[12] اشعياء١٥:٤٩
[13] اكورنثوس ١٠ : ١٤

أن تقبل الوحي الإلهي يحتاج ذهن منفتح وقلب مستعد وروح متواضعة ، فمن كان ذهنه مغلق علي مفاهيمه الخاصة وقلبه متحجر ومتعصب ويعاني من اضطرابات نفسية وضعفات روحية لا يمكنه التلامس مع صوت الله في داخله ولا يقدر علي تفهم الروحيات والإلهيات .

لقد سجن المتدينين اليهود أنفسهم في تصورهم الخاص عن الله وتدينهم الفريسي المغلق ، فلم يلتقوا بالله وهو معهم !! ورفضوا المسيح— الإله المتجسد — الذي عاش بينهم ، بل هاجموه وقالوا أنه ليس من الله ، فهو في نظرهم لا يتوافق مع فهمهم الديني ولا مع تدينهم الحرفي المغلق ورأوه كاسر السبت ؟! بينما كان هناك في زمانهم شاب ولد اعمي لم ينحصر هذا الشاب في فهمه الديني ومعرفته التقليدية ، ولذلك حينما سأله الرب أتؤمن بابن الله فأجاب بقلب مفتوح وذهن روحي رائع : **من هو يا سيد .. لأومن**.. فقال له : الذي يكلمك هو .. فسجد له ، فالله ليس من نعتقد أننا نعرفه بل هو من لم نعرفه بعد ... ونحتاج أن يتكلم معنا فنعرفه ... فنحن نحتاج أن ننصت لله حينما يتكلم ويعلن عن نفسه ... ولا نتخيل الله ... ولا نضع له مواصفات ... ولا نعبد الإله الذي تكون في مخيلتنا .

******

أن القصص الدينية المنتشرة تشير لنوعية التدين المنتشر وتوضح ما هي المفاهيم الروحية المنتشرة في الأوساط الدينية .

فإن كانت القصص الدينية لها تأثير كبير في تكوين معتقداتنا ووجداننا الروحي ، فأن نقاء العقيدة والفكر الديني يبدأ بنقاء القصص الدينية وعدم الخلط بينها وبين الأساطير الدينية والشعبية المنتشرة في المجتمع . فإن كانت القصص الدينية قصص خرافية أو فاسدة عقائديا فإنها تفسد الإيمان ، ولذلك فهناك عبء كبير يقع علي الخدام وعلي رجال الدين في تنقية القصص الدينية المتداولة ومقاومة انتشار القصص التي ترسخ مفاهيم روحية خاطئة . كما ننصح أن تكون القصص التي تستخدم في التعليم الديني قصص كتابية ونلتزم بذكرها كما كتبت وبالسياق التي وردت به في الكتاب المقدس .

٣- مرحلة التدين الأخلاقي :

في المرحلة التالية يكون التفكير الأخلاقي moral thinking هو سمة التدين ، فيبدأ الشخص في الاعتقاد بأفكار أخلاقية تتبلور وتصير مبادئ يصدقها وتشكل عقيدته وفهمه للحياة في بعدها المنظور والغير منظور ، وتكون أساس تكوين هويته وتبدأ تحكم تفكيره وتصرفاته وانتماءاته . وفي هذه المرحلة يكون التدين جماعيا واحتفاليا ، يجتمع فيه المتدين مع من يشاركه في معتقداته ويقوم بنفس الممارسات التعبدية ويستقوي به علي من يخالفونه .

في المراحل الأولي من التدين كان الله في معتقد المرء قوى مبهمة يخاف منها ثم تطور الأمر فصار يحلم أن يكون مثله أو أن يكون الإله آب يحبه وأم تحميه ، والآن في هذه المرحلة تطور تفكيره وأصبح يعي أن كل ما في الحياة له قانون يحكمه وينظم علاقاته ، فبدأ يتكون لدية شعور بأن هنالك قانون ما يحكم علاقته بالإله وبالقوي الغيبية ، وهناك أمر أخر يجعله ينال رضاه ويتجنب غضبه غير الممارسات الطقسية السحرية وغير الطقوس التكفيرية ، وبدأ يدخل في مرحلة من التساؤلات الدينية ، فتساءل عن طبيعة هذه القوانين التي تحكم علاقته بالله وبالحياة وبالناس ، والتفت إلي سلوكه ولاحظ إن كانت سلوكياته تتفق مع قوانين الحياة فهو يعيش في سلام وأن كسرها تسببت في أذيته ، ومن هذه الملاحظة بدأ يعي أهمية الأخلاق لسلامة حياته ، وبدأ يحاول أن يحدد ما هي هذه الأخلاق الحميدة .. وما وصل إليه من أجوبة وقناعات أخذت في تشكيل "**ضميره**" الديني .

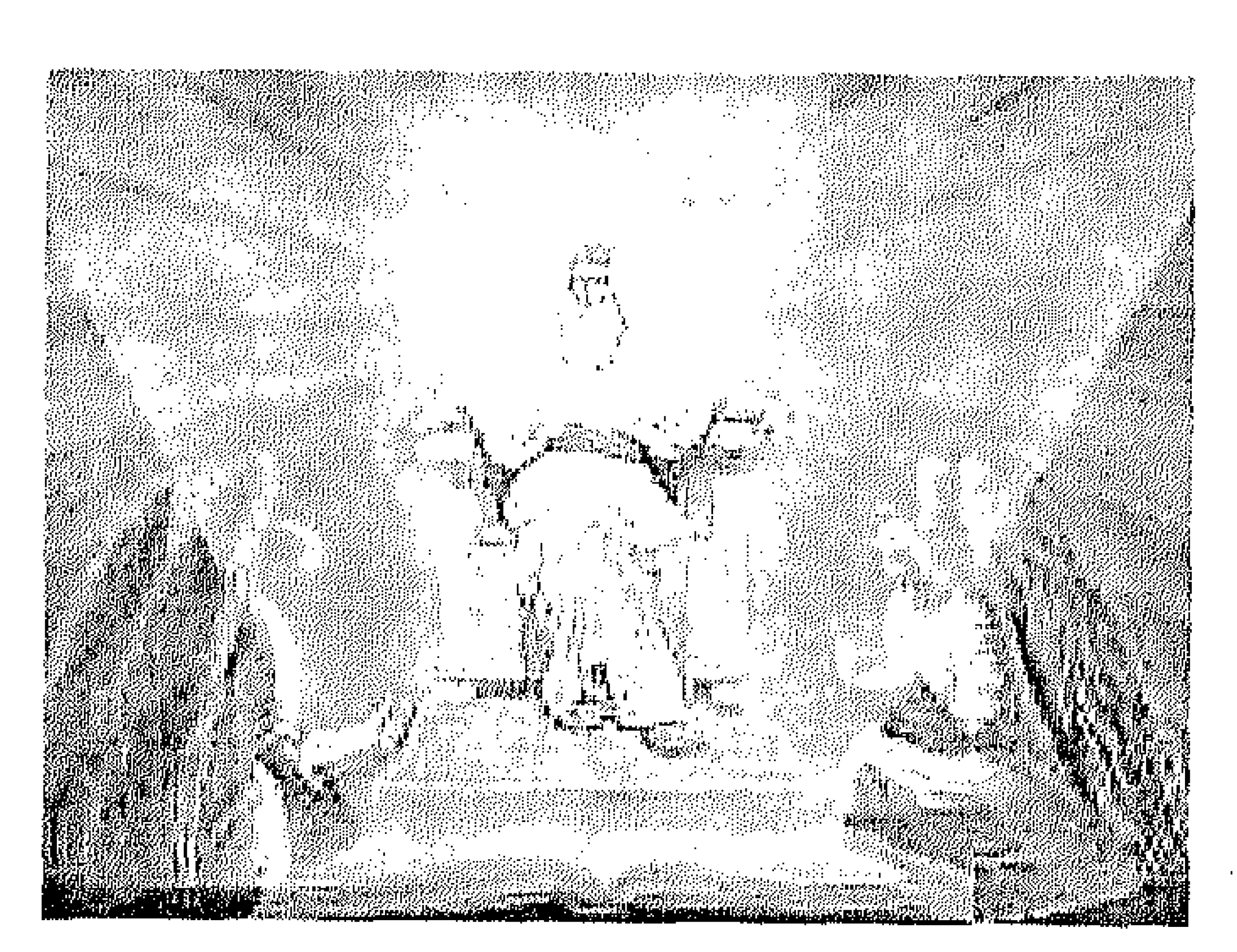
ولقد قنع الإنسان في بداية فهمه الأخلاقي أن أساس كل العلاقات هي **العدالة** أي أن تتفق تصرفاته مع قوانين الحياة ، وحينما حاول تفهم قضية العدالة ، وجد أن العدالة لكي تتحقق تحتاج لقوانين ،كما تحتاج لمشرع يشرعها ، وقاضي يطبقها ، وحاكم ينفذها .

وبدأ يتساءل ما هو مصدر هذه القوانين ومن الذي يشرعها ؟ ومن الذي يقوم بمراقبة تنفيذها ؟ ومن الذي يحاسب من يخترقها ويكسرها ؟ وما هي حكمة هذه القوانين لتحقيق السعادة في الحياة ؟

وعندما حاول الإنسان أن يجيب علي هذه التساؤلات وجدها تحولت إلي معضلات ... فمن هو القادر علي التشريع وهو لا يعرف طبيعة الأشياء ولا غاية أمور الحياة ، ومن هو القادر علي مراقبة تصرفات الناس ودوافعهم ، ومن هو الذي له السلطان ليحاسب ويجازي فيحقق العدل .

فالعدالة كما تحتاج إلي حكمة في التشريع فهي تحتاج إلي قوة في التنفيذ ، كذلك تحتاج أن من يقوم بتطبيقها أن يكون حاكما بارا لا يخطئ .

وهنا بدأ الإنسان يتجه بحسه الديني مرة أخري نحو الإله المطلق ، ومن اعتقاده بحكمة الله المطلقة بدأ يراه مصدر كل قوانين الحياة لأنه هو خالقها ويعرف كيف تعمل وتسير ، وصار عليه أن يطيعه ويطيع قوانينه وشرائعه . وكذلك من اعتقاده بقدرة الله المطلقة وقوته بدأ يري الله قاضي بار قادر أن يحاسب كل واحد ، ويجازي كل واحد بحسب أعماله ، وصار سعي الإنسان للبر مطلب ديني أساسي لينال رضي الله الديان ويتحاشى عقابه . وهكذا بدأت تتكون المبادئ الأخلاقية علي أساس ديني وصار التدين عبارة عن سعي لتحقيق هذه المطالب الأخلاقية .



أن الارتباط بين الدين والأخلاق ، وبين العلوم اللاهوتية والعلوم الأخلاقية ، وبين النمو الإيماني والنمو الأخلاقي ارتباط وثيق . فالحس الديني هو منشئ المبادئ الأخلاقية ومصدر قوتها . أن المبادئ الأخلاقية تعتمد في الأساس علي الاعتقاد ، فالأمور الأخلاقية هي أمور نعتقد أنها صالحة وأنها تجلب الخير ، ونعتقد أن الله هو مصدرها ومحققها ، ولذلك نجد الإنسان يضفي كل الصفات الأخلاقية الحسنة علي تصوره لله ، فالله عادل ورحيم ومحب ومنصف المساكين والبائسين وبار ... الخ .

لا يوجد دين علي وجه الأرض لا يدعو للأخلاق الحميدة وليس له تصور عن ماهية الأخلاق الحسنة ، ولا يوجد دين لم يسن شريعة أدبية أخلاقية يلتزم بها مؤمنيه .

*****

إن الفهم الديني لمفهوم العدالة الإلهية يؤثر بشدة علي فهم الشخص الأخلاقي وعلي تصرفاته الأخلاقية . ولكن الفهم الديني للعدالة الذي هو أساس الأخلاق يختلف باختلاف التفسيرات الدينية للعدالة ، كذلك كل شخص علي مدار حياته الروحية الأخلاقية يمر اعتقاده في

العدالة بمراحل عديدة ، فشعوره بوجود العدالة في حياته وقدرته علي أن يكون عادلا في معاملاتـــه أمر متغير ويتغير كذلك عند اصطدامه بالواقع العملي .

أن تطبيق العدالة عمليا يصادفه الكثير من المشكلات ويثير المزيـــد مـــن التســـاؤلات ، فالإنسان لكي ما يكون عادلا ومتوافقا مع العدالة يحتاج أن يعرف أولا : ما هو الصواب وما هـــو الخطأ ؟! وهنا يصير تعريف البر والخطية تساؤل ديني ملح ... ومشكلة دينية حادة ، فالإنسان يحتاج إلي وسيلة ما تحدد له ما هو الصواب وتساعده علي تمييز الصواب من الخطأ ... فلذلك اهتمـــت الأديان بالشرائع الأدبية والقوانين والوصايا الأخلاقيـــة لتكون مقياسا للإنسان ليعرف تمييز الصواب من الخطأ .. وتهديه في طريق البر .. وتؤهله لنوال التبرير الإلهي ؟!

وقدمت الأديان تعريفات مختلفة لمفهوم الخطيئة فبعضها حدد الخطية في العصيان وكســـر النواميس الإلهية من شرائع للعبادة أو قوانين المعاملات المدنية والاجتماعية ، والبعض تحددها بعـــدم الالتزام بتنفيذ الواجبات الدينية والاجتماعية وبعدم بذل الجهد في تنفيذها بدقة ، والبعـــض يعتـــبر الخطية هي تجاهل الوحدة مع الإله أو الارتباط به ...

******

ولكن بالرغم من وجود النواميس والتشريعات الدينية وتعريفات للخطية إلا أن الإنســـان وجد نفسه يخطئ بل ويميل للخطية ...كما عبر عن ذلك بولس الرسول " أَرَى نَامُوساً آخَرَ فِـــي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي."[١٤]

أثار هذا الأمر عند الإنسان سؤالا دينيا ملحا : ماذا أفعل إذا أخطأت والله عادل ولابد من استحقاق العقاب الإلهي ، وهنا بدأت سلسلة أخري من التساؤلات لمحاولة فهم ماهيـــة العقـــاب الإلهي ، وما معنى بر الله ؟! هل هو بر القاضي العادل أم بر الإله الرحيم الذي لا يشأ موت الإنسان بل أن يحيا ... وتساءل الإنسان مستغربا هل هو خلقنا للموت أم للحياة ؟!

وبدأ الفكر الديني يتجه نحو الحل ورأي في التوبة من جانب الإنسان حلا ورأي الغفـــران الإلهي حلا أخر . وهكذا عندما تفشل العدالة في التحقق عمليا ، فالتوبة والغفران يمكنهما إصـــلاح

---

[١٤] رومية ٧ : ٢٣

فساد الأمر ، وتصير العقوبات الإلهية هي أدوات تأديب في الزمن الحاضر وحكم نهائي في نهاية الأزمنة .

لقد ظلا مبدأ العدالة والرحمة هما محور تفكير الإنسان الأخلاقي والذي بهم بدأ يتصور شخصية الله ويحاول أن يفهم علاقته به ، ومن هذا المنطلق الديني الأخلاقي بدأ يصنع علاقاته الاجتماعية ، فكل علاقاته ما هي إلا انعكاسا لعلاقته بالإله ، فإن كانت علاقته بالله أساسها العدل فهو يحاول أن يكون عادلا مع الآخرين ويطالب أن يسود العدل في علاقاته ، وهو يحاول أن تكون العدالة الاجتماعية انعكاسا للعدالة الإلهية وصورة منها . وإن كانت في علاقته به يلتمس رحمته فهو يحاول أن يكون رحميا مع الناس يشفق ويترأف علي ضعف الناس ، ويحاول أن تكون العدالة الاجتماعية انعكاسا للرحمة الإلهية وتعبيرا عنها .

أن الموازنة بين العدل والرحمة هو نشاط أخلاقي روحي يسعي كل إنسان لتحقيقه ومن خلال هذا النشاط تبرز شخصيته الروحية ، ولكن هيهات لإنسان أن ينجح في تحقيق ذلك .. بينما في الله وحده تلتقي العدل والرحمة وتتحققان في آن واحد[١٥] .

*****

أن الدين عبر التاريخ هو المنطلق الذي به يفهم الناس معني العدالة ومعني القانون ، به بدأ الناس تحاول أن تشرع القوانين وتحكم بالقانون ، ولذا كان رجل الدين عبر التاريخ القديم هو المشرع والقاضي والحاكم وكان يقوم بهذا العمل باسم الإلهة وكمفوض منها أو نائبا عنها .

ومن مآسي التاريخ أن رجال الأديان أساءوا القيام بهذه الأدوار ، فلم يوجد في التاريخ شخص مثل موسي النبي أو صموئيل النبي الذي استطاع القيام بهذه الأدوار بأمانه وكفاءة ، فالتاريخ يشهد كيف اتعب رجال الدين بتفسيراتهم وفتواهم الناس وتسببوا في تعب ضمائر الناس وتحميلهم أحمال عسرة وضيقوا ضمائرهم وحولوهم إلي شخصيات متزمتة ونشروا التشدد بين الناس بدلا من الالتزام والوفاء و لم ينجحوا في جعل الأخلاق قوة لتجديد الحياة ولا وسيلة لتقوية العلاقات الإنسانية . كما ساد الظلم والقهر حينما انتشرت المحاكمات الدينية ومحاكم التفتيش التي أقامها

---

[١٥] اَلْعَدْلُ وَالْحَقُّ قَاعِدَةُ كُرْسِيِّكَ. الرَّحْمَةُ وَالأَمَانَةُ تَتَقَدَّمَانِ أَمَامَ وَجْهِكَ. (مزامير ٨٩ : ١٤)

رجال الدين ليحكموا بالعدل !!! ولقد نشر رجال الدين أنفسهم الحروب حينما حكموا شعوبهم باسم الدين !!!

فإن كان الله البار هو المشرع والقاضي والحاكم فلا يمكن لإنسان ما أن يجمع بين هذه الأعمال معا وإلا كان مثل الله !! ، فالمشرع لابد أن يكون بارا حكيما ، والقاضي أن يكون بارا عادلا ، والحاكم أن يكون بارا قويا ، فمن من الناس (بارا) ويجمع بين الحكمة العدل والقوة ؟!

في حياة البشر لابد أن نفرق بين التشريع والقضاء والحكم ، فلا يصح أن يجمع أحد بين التشريع والقضاء والحكم ، فكل عمل لابد أن يكون له رجاله المتخصصين ، وينبغي أن يكون هذا العمل جماعيا ، فهو يحتمل الخطأ البشري لأنه لا يوجد شخص بار ولا يوجد شخص بره مطلق .

كذلك لابد أن يوضع في الاعتبار أن التشريع نفسه هو عمل ليس بمطلق بل يتطور بتطور الإنسان الحضاري والثقافي ويتغير بتغير الظروف ، فلا يوجد قانون مطلق ، ولا تشريع غير قابل للتعديل في حياة المجتمعات .

القانون المطلق هو القانون الإلهي في الخلق وتنظيمه للحياة ، والوصايا الإلهية هي إرشاداته التي تساعدنا أن نحيا بحسب قوانينه في الخلق ، ومن وصاياه هذه والتي نلتزم بها نكون ضميرنا الروحي ونشرع قوانين معاملاتنا الاجتماعية وعليها نحدد الحقوق والواجبات الاجتماعية .

*****

عمليا لا يشعر الإنسان بالعدالة في حياته طوال الوقت ويصادف في حياته مواقف وظواهر عديدة ظالمة تثير عنده الكثير من التساؤلات الدينية ، وكان أخطر هذه التساؤلات: هل الإله البار يخطئ ؟!!

فلماذا ينجح طريق الأشرار [١٦]، ولماذا يتألم الأبرار ؟ ولماذا يكون مصير الأبرار مثل الأشرار (مزمور٧٣: ١-١٢) ، حتى أن إبراهيم أبو المؤمنين سأل الله ذات يوما قائلا : أديان الأرض كلها لا يصنع عدلا (تكوين ١٨ : ٢٥) .

إن مشكلة نجاح الأشرار وألام الأبرار مشكلة دينية ملحة تثير الكثير من التساؤلات لدي المتدينين .

[١٦] أَبَرُّ أَنْتَ يَا رَبُّ مِنْ أَنْ أُخَاصِمَكَ. لكِنْ أُكَلِّمُكَ مِنْ جِهَةِ أَحْكَامِكَ. لِمَاذَا تَنْجَحُ طَرِيقُ الأَشْرَارِ؟ ارميا ١٢ : ١

لقد أجمع الفكر الديني في معظم الأديان أن هذه المعاناة البشرية ليست هي الحالة الدائمة بل هناك وقت يتم فيها الانعتاق من حالة المعاناة والانطلاق إلي حياة سعيدة وعادلة لا وجود لشر فيها ولا ظلم ، وسميت هذه الحياة بالجنة أو الفردوس أو النيرفانا ... الخ .

لقد اتفقت الأديان علي وجود حياة أخري ولكنها اختلفت في تحديد شكل هذه الحياة ، وهل هي حياة مادية مثل حياته الحالية ويقوم فيها بكل أنشطته البشرية أم هي حياة روحانية تتغير فيها طبيعته وشخصيته أم هي حالة أخري لها شكل مختلف وأدوار مختلفة .

كما اختلفت الأديان حول الوقت الذي يتم فيه ذلك ، هل يتم بعد الموت أم يمكن بلوغها في هذه الحياة . وكذلك اختلفوا حول من الذي سوف يحقق الانعتاق والخلاص الإله أم الإنسان ؟! أم هي مسئولية مشتركة- إلهية إنسانية .

وبسبب معاناة الإنسان البار من الظلم والشر حاول أن يتفهم طبيعة الشر ومصدره وتساءل ما هو موقف الله من هذا الشر ولماذا يسمح به ؟!

أن هذه التساؤلات وأمثالها تورق كل متدين في هذه المرحلة . ولقد صار التدين في هذه المرحلة يتوجه نحو الاهتمام بالانعتاق من معاناة الحياة ... وفيها يبدأ الإنسان محاولات الانعتاق والاستعداد له بحسب فهمه لهذه الحرية وتعريفه لهذا الخلاص وبحسب تصوره للحياة الأخرى الخالية من المعاناة .

*****

أن هذه المرحلة التي تكثر فيها التساؤلات الدينية والتي لا يجد فيها الإنسان إجابات قاطعة وشافية تجعله يدخل في حالة من الشك ، وبالرغم من معاناتها فهي مرحلة دينية هامة ومفيدة .

ففي نهاية هذه المرحلة يبدأ الإنسان يتساءل عن معني وجوده وعن مصيره ، ويبدأ يحاول أن يجد لوجوده معني وقيمة ويحاول أن يجعل لحياته هدف يتجه نحوه . وهذه اللحظة هي أولي خطواته لانسلاخه من سجن المادة والانحسار في الماديات ... وهي أولي لحظات إدراكه لذاته وهويته الروحية كصورة لله بحسب التعبير الكتابي .

وإن كانت الحياة الروحية هي حياة لها معني وتتجه نحو هدف بقوة ، فإن التساؤلات الدينية هي التي تضع الإنسان علي هذا الطريق الروحي ، ولذلك نجد أن **من لا يتساءل** ، **ومن لا**

يعاني في حياته ، ليست له حياة روحية حقيقية ، وكذلك كل شخص قلت تساؤلاته الدينية وشكوكه الروحية ومعاناته وآلامه ضعفت اهتماماته الروحية .

أن الشكوك ومعاناتها الذهنية ، والآلام ومعاناتها النفسية ، هما مفتاح الطريق الروحي والحياة الروحانية ، كما أوضح الرب قائلا : مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ! [17]

أن كثرة التساؤلات الدينية والصراعات الأخلاقية في حياة الشخص الروحية وإن كانت تجهده ذهنيا وروحيا إلا أنها تجعل منفتحا علي الروحيات وهو أمر هام لحدوث التغيير والتحول الروحي في حياته ، فبولس الرسول يقول : تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ. [18] ، ولذلك لا ينبغي أن نترعج من كثرة أسئلتنا الدينية ولا من حيرتنا عند اتخاذ قراراتنا الأخلاقية ، فالأمر مفيد روحيا ويجعلنا باستمرار منفتحين نحو الله من خلال الوصية .

وإن كانت التساؤلات الدينية تجعلنا نواجه الكثير من المعضلات الروحية والأخلاقية وتنتهي بنا إلي حالة من الحيرة وتكثر فينا الشكوك الروحية ، فأن هذا الأمر هام لنمونا الروحي فهو يجعلنا ندرك حقيقية روحية هامة وهي : أن الحياة في بعدها المنظور المادي وفي بعدها الأخلاقي لا يمكن أن تستوعب ذهنيا وبالتالي لا يمكن أن نتعامل معها عقليا فقط ، بل نحتاج أن نتعامل معها بطريقة روحية ونستخدم وسائل روحية تجعلنا نندمج معها وننتمي إليها ونستريح لها وفيها ، وهنا يبدأ الإنسان يدرك قيمة **الإيمان** كوسيلة روحية للحياة .

أن الثقة الإيمانية هي وسيلة الإنسان للانطلاق في الحياة وتحقيق وجوده وصنع سعادته ...

---

[17] متى ٧ : ١٤
[18] رومية ١٢ : ٢

٤- مرحلة التدين الإيماني :

وفي هذه المرحلة يتحول التدين من الإحساس المبهم بقوي خفية ، ومن التصور الأسطوري لعلاقته بالقوي الخفية ، ومن الصراع الضميري لمبادئ الحياة الأخلاقية إلي التفكير الإيماني faithful thinking ، والثقة في مقدسات ، تعطي ثبات ومعني للحياة وتكون قوة دافعة للعمل والإنجاز وتحقيق المعجزات .

فإن كان التفكير الأخلاقي زاد من فهم الإنسان للحياة ولشخصيته ولشخص الله ولكنه في الوقت نفسه ولد لديه المزيد من الشكوك والتساؤلات والصراعات الأخلاقية والضميرية . وأن كانت الحياة الأخلاقية المثالية تجعل الإنسان يحيا متوافقا مع الحياة وفي سلام مع الناس ومع الله ولكنها لا تعطي معني لوجوده ولا قيمة لحياته ...

الأخلاق لا تحل مشكلة الإنسان في وعي معني حياته وقيمتها ولا تعرفه لماذا يعيش ولماذا خلق ؟! وكذلك لا تحل الأخلاق مشكلة إحساس الإنسان العميق بعجزه وبجهلة .

قد يشعر الإنسان في مجتمع تحكمه قواعد أخلاقية وشرائع دينية بنوع ما من الأمان ولكنه يظل في أعماقه يعاني من إحساسه بالضعف وبالجهل . وقد تدعو الأخلاق والشرائع للشفقة عليه وعدم استغلال ضعفه وجهلة ولكنها لا تمنحه القوة ولا تمنحه الحكمة ...

*****

لقد لاحظ الإنسان أنه بتعاونه مع الآخر يزداد قوة ... وأنه بعلم الآخر يزداد فهما...
وهنا بدأ يعي المرء أن قوته هو في "الآخر" وأنه يستطيع أن يزيد من قوته ومعرفته من خلال تعاونه وترابطه مع الآخر ، كما لاحظ بالخبرة أن الارتباط بالآخرين وبالحياة لا يعتمد علي الطمأنينة لهم ولا علي عدم الخوف منهم ، ولا من خلال حسن تصوره لهم ورسم صورة مثالية لهم ، ولا من خلال الالتزام بقواعد أخلاقية تنظم علاقته بهم ، بل يحتاج الأمر إلي ما هو أكثر من ذلك .. أنه يحتاج أن "**يثق**" فيهم ، وهذه "**الثقة**" لا يمكن الشعور بها حسيا ولا تصورها ذهنيا ولا وضع قواعد لها ، فهي أمر روحي في يوجد في أعماقنا .

الثقة هي مبدأ تفاعلنا مع الحياة وسر حيويتنا ، ثقتنا في خيرية الحياة يجعلنا نرغب في الحياة والاستمتاع بها . ثقتنا في قدراتنا يجعلنا نعمل ونؤثر ونبتكر ونجدد الحياة . ثقتنا في الآخرين يجعلنا

نقترب منهم ونتقرب لهم ونتعاون معهم ونحبهم ونربط مصيرنا بمصيرهم . ثقتنا في شخص الله تجعلنا نرغب في معرفته والاقتراب منه والحياة معه ونفرح بوعوده ونسلك بوصاياه .

الثقة هي قوة الدفع لصنع الإنجازات ولتحقيق النجاح وتغيير الواقع وتبديل الحال ، فحينما يثق الإنسان في أمر أنه صالح له وللحياة فهو يسعي لتحقيقه ويبذل كل جهده في سبيله وحينما ينجح في تحقيقه يشعر بقيمته الذاتية وبمعني وجودة وكيف أنه يتطور الحياة ويخلق كل جديد فيها وكيف يجعلها تتوافق معه وتعبر عنه .

الثقة في الآخرين جعلت الإنسان يربط وجوده بوجودهم ومصيره بمصيرهم ويحيا معهم – بهم ولهم ، وهنا بدأ يدرك أهميته من ثقة الناس فيه ومدي حاجتهم إليه ، كما بدأ يدرك أهمية الآخر لحياته ولوجوده ، وأن الآخر له قيمة في ذاته كما هو له قيمة في ذاته . وبدا يتعلم أن يصدق الآخر وأن يكون صادقا معه ، فالصدق هو الطريق الوحيد والأساسي لكل تفاعل إنساني وهو طريق الترابط والتعاون المثمر بينهم .

الثقة في خيرية قوى الحياة الغير مدركة له ، جعلته يتغلب علي خوفه منها وجعلته يري أن قوى الحياة الطبيعية الرياح والنار والزلازل والبراكين والعواصف تحمل في حقيقتها خيرا له وهي لازمة لاستقرار الحياة وبدأ يتعامل معها من هذا المنطلق ، وكذلك رأي أن القوى الغيبية التي يطلق عليها الأرواح والملائكة والله هي معه ولا شيء فيها يدعو للخوف فهو تساعد وجوده وترجو له الخير لا الشر ، فبدأ يستأمن لها وبدأ يحاول يتقوي بها ، ومن علاقته بها بدأ يحاول أن يستكشف المعني الكلي لوجوده ولمصيره .

الثقة ملكة روحية موجودة في الإنسان ، بها يبدأ رحلة الحياة ومغامرته الكبرى في صراع الحياة واقتحام كل مجهول والالتحام بالواقع وتنشيط قواها وتحفيزها . وفي هذه المرحلة من التدين يبدأ رحلة روحية يستكشف فيها أبعاد **الحياة الإيمانية المبنية علي الثقة** ويبدأ يتفهم طبيعتها وأهميتها لاستقرار حياته ولتحقيق ذاته .

******

يقول السيد المسيح : **بحسب إيمانك يكون لك** ، فالإيمان هو الذي يحدد لـــك شـــكل حياتك ويحقق هويتك الشخصية ، فالشخص الذي له أمور يؤمن بها ويثق في جدارتها وفي قـــدرتها علي تحقيق الخير والسعادة فهو يحيا من أجلها ويسعي لتحقيقها ، وبحسب ما يسعي لتحقيقه تتشكل حياته وتبرز هويته ، والشخص الذي له رسالة في الحياة ويحيا من أجل رسالته يجد لحياتـــه معـــني ويحاول توجيه حياته لتحقق رسالته ، وتؤثر رسالته هذه علي تفكيره وتصوراته الذهنية وعلي مبادئه الشخصية واختياراته الأخلاقية فتبدأ شخصيته تتبلور وتتضح معالمها أكثر فأكثر .

أن ضعف الشخصية وقوتها مرتبط بإيمان الشخص ، فقوي الإيمان شخصيته قوية بينمـــا ضعيف الإيمان شخصيته ضعيفة ، كذلك نشاط الإنسان وحيويته مرتبط بإيمانه ، فمن كانت لـــه أهداف في الحياة يسعي إليها تجده أنشط وأكثر فاعلية من الذي ليست له أهداف أو الذي أهدافـــه ضعيفة وبسيطة ... الإيمان هو الذي يصنع للمرء أهدافه وهو الذي يربط الشخص بهذه الأهداف .

لذلك كل إنسان يحتاج في حياته لأمور يثق فيها وتشكل إيمانه ، وكـــذلك يحتـــاج إلي وسائل تنمي هذه الثقة الإيمانية ، فبقوتها يصير قويا وبضعفها تضعف شخصيته ويضعف تفاعله مع الحياة ويقل عطاءه فيها .

ما هي علاقة الثقة بالدين وحالة التدين ؟

تحاول كل الأديان أن تنمي الثقة كطاقة روحية في حياة الناس ولكنها تختلف في وســـائل تنمية هذه الثقة ، كما تختلف في مضمون هذه الثقة ، ويصير السؤال الديني المثار في هذه المرحلة : في ماذا نثق ؟ وفي من تثق ؟ وكيف تتولد الثقة ؟ ...الخ ، باختصار كيف نؤمن وكيـــف يـــزداد إيمـــاننا ؟

أن الدين يساعد الإنسان علي تكوين ثوابت مقدسة لحياته يرتكز عليها ويثق فيها فتحقق له الشعور بالأمان ويتقوي بها وتضع له أهداف وترسم له نمط لحياته .

إن كان الإنسان بطبيعته يحتاج إلي ثوابت في حياته ينطلق منها ويتحرك نحوها فتكـــون هادية له في رحلة المجهول مثل المنارة التي تتجه نحوها السفن في الليالي المظلمة ، فأن الأديان كلـــها تحاول تضع للإنسان ثوابت في حياته تسميها مقدسات ، بما تحاول أن تضع للإنسان أهداف للحياة

يتحرك نحوها ، وتحدد له طرق الارتباط بهذه المقدسات وكيفية التحرك نحوها والاقتراب منها تسميها طريق القداسة .

هناك أديان تبني الثقة بالنفس وتروج أن المقدس هو "أنت" ، وهناك أديان تبني الثقة في "المجتمع والنظام" وتعمل علي تقديس النظام والحاكم ، وهناك أديان تبني الثقة في "الله" (كل دين بحسب تصوره لله) .

فهناك أديان وحركات دينية فلسفية تؤكد أن الإله المقدس موجود في أعماق الإنسان وأن القداسة هي أن يصل الإنسان إلي ذاته المطلقة وأنه يمكنه الوصول إلي أعماقه عبر الطرق النسكية التأملية . وهناك أديان تحاول أن تجعل المقدس هو الجماعة أو الأمة أو الدولة الدينية وتدفعه ليقدم حياته فداء لهذه الأمة واستقرارها ، وأن القداسة تكمن في مدي انتمائه للجماعة وولائه لها . وهناك أديان تجعل المقدس هو إله قدوس لا يمكن الوصول إليه والقداسة تكمن في طاعته والتكريس له والتمتع بنعمه مقابل الوفاء بفروضه .

إن كانت الأديان تجمع علي وجود المقدس (الثابت) ولكنها في الوقت نفسه تختلف في تحديد المقدس وفي تعريفه ؟!

وبالرغم من هذه المفارقة العجيبة أن الثابت غير ثابت بل ومختلف أيضا في الأديان المختلفة إلا أن الإنسان لا يقف أمام هذه المفارقة طويلا ولا يتأملها !! وفي كل الأحوال نجده يرتبط بالمقدسات ويعتقد في المقدس الديني ... وذلك لان الإنسان لا يعرف ولا يقدر علي معرفة المعني الكلي للحياة وخاصة حياته ، ولكن الذي يهم في الأمر كله هي حركته نحو هذا المقدس فهذه الحركة هي التي تساعده في النهاية علي تحقيق ذاته ، فالإنسان الطبيعي في أعماقه يميل للقداسة ويهتم بممارسة حياة القداسة أكثر من اهتمامه بفهم المقدسات !! ولماذا هي مقدسات وثوابت ؟! ولذلك نلاحظ اهتمام الناس بالممارسات الطقسية أكثر من اهتمامهم بالعلوم اللاهوتية .

الإنسان بطبيعته الدينية يحاول باستمرار أن يصنع مقدسات ليتعبد لها ، فلا تتعجب عندما نضيف كلمة **مقدس** علي الكثير من أمور حياتنا نحاول جعلها ثوابت لحياتنا ، فهذه قضية مقدسة وهذه الأرض مقدسة ، وهذا الشخص مقدس ، وهذه أمور مقدسة ولا مساس بها ، ولكننا لابد أن

نحترس فإن إضفاء هالات من القداسة علي أمور كثيرة في حياتنا هو طريقنا للصنمية وعبادة الأوثان .

أن تصور الإنسان مقدساته فهو يحيا في وهم ويبني أصنام يقدسها ويتعبد لها ، لابد للمقدس أن يكتشف لا أن يتصور ، ويصدق ولا يحلل ، وتثق فيه ولا تمنطقه ، ولذلك فأن الله القدوس يعلن عن نفسه وعلي الإنسان أن يقدس إعلان الله ، ويقدسه تعني أنه يجعله مرجعه ويسجد له .

فالتدين الحقيقي هو اكتشاف لقداسة الله ، والتعرف علي أوجه قداسته ، والدخول في سر الله الذي يقدس .

التدين الحقيقي يبدأ عندما يقدسنا الله ، فالله قدوس في ذاته وهو الذي يقدسنا أي يدخلنا في سر قداسته ونحن إن صنعنا إله لنقدسه فنحن نعبد صنم صنعته أيدينا .

******

كيف تبني الأديان الثقة في المقدسات ؟ وكيف يرتبط الإنسان بها وكيف يتحرك نحوها ؟

يتعلق المرء بالمقدسات إن وجد فيها خلاصه من جهلة وضعفه وفقدانه للمعني والقيمة ، فبقدر ما توحي له المقدسات بتحقيق هذا الخلاص والوصول إلي السعادة والاستقرار يتمسك بها ويتعلق بها ويضع ثقته ورجاءه عليها . وكل الأديان تعد الإنسان بحياة جديدة تحقق له كل ما يرجوه ، فكل الأديان تشير لحياة أخري يحيياها الإنسان محققا فيها ذاته ويصل فيها إلي حالة الكمال ، وتصف هذه الحياة الأخرى بالجنة أو الفردوس ، وأنها قد تتحقق في الحياة الحاضرة أو بعد الموت وتسمي الأبدية . وتصف السعادة في هذه الحياة بأمور حسية أو معنوية ، فكلها تجمع أنه هناك سعادة ولكنها تختلف في وصف وتحديد طبيعية هذه السعادة وهذه الحياة هل هي حسية مادية أم روحية أم نفسية .

ومادامت المقدسات مختلفة في الأديان المختلفة فان مفهوم الخلاص والسعادة مفاهيم مختلفة والمعتقدات مختلفة حول هذه القضايا ، ولكن يظل الأمر المشترك بينها هو وجود وعود دينية يعتقد فيها المرء ، ويرجوها المرء ويتمسك بها وهي التي تشكل إيمانه وثقته في الحياة وفي الله وفي الآخر .

أن وعي الإنسان لهذه الوعود وثقته في صدقها والتمسك بها ، تبدأ في صنع القاعدة الإيمانية التي ينطلق منها في مواجهة الحياة ، ولذلك فأن التدين يعتمد علي اتساع إدراكه لهذه الوعود ، وعلي مدي تصديقه لها ، وعلي قوة تمسكه بها .

إن توهم الإنسان هذه الوعود وتمناها وطالب الله بها ، لا يبني حياته علي قاعدة إيمانية حقيقية ، فكما لا ينبغي أن نتوهم الله ولا نتصوره ، هكذا لا ينبغي أن نسقط أحلامنا علي الله ونرجو أن يحققها لنا بل نتفهم أولا ما هي وعوده لنا ومنها نبدأ في تحديد أهدافنا ونصنع أحلامنا وأمانينا .

في هذه المرحلة يحدث أن ينجذب بعض الناس لبعض الوعود الإلهية للحياة السعيدة وتسيطر هذه الوعود علي قلوبهم وأذهانهم ومنها يبدءوا تكوين رسالتهم في حياتهم ، ويشعرون أنهم مدعون لتحقيق هذه الرسالة .. ويشعرون في أعماقهم أنها دعوة إلهية خاصة ورسالة سماوية لحياتهم ينبغي أن يسعوا لتحقيقها . ويشعر صاحب الرسالة بأنه أصبح ممثل علي مسرح الحياة وعليه أن يؤدي الدور المرسوم له وعليه أن يبدع ويبذل كل الجهد لينجح في تجسيد الدور المكلف به .

إن كان كل واحد في حياته الروحية يتساءل لماذا خلقت ؟ أو يسأل الله ماذا تريد يارب أن أفعل ؟ أو يسأل ما هي إرادة الله لحياتي ؟ فأن أصحاب الرسالات هم فقط الذين يستطيعون قول ما قاله السيد المسيح " لهذا قد ولدت .. ولهذا قد أتيت إلي العالم "

وحينما يكون للشخص رسالة في الحياة تصير لحياته معني وتصير هويته أكثر وضوحا ويكون اقرب لتحقيق الذات .

******

أن معظم الناس في تدينهم لا يصلون إلي مرحلة الشعور الجارف بالرسالة في الحياة ، ولكنهم يحيون من أجل وعد الحياة الأخرى السعيدة ....

المهم في كل الأحوال أن يرتبط الإنسان برسالة للحياة أو برغبة في حياة أخري أفضل فهذا يضعه علي طريق القداسة ويجعل له أمر مقدس يعيش ويموت من أجله ...

يختلف الناس في ارتباطهم بالمقدسات كل بحسب درجة إيمانه ، فهناك شخص غير مؤمن ولا يرتبط بأي مقدس في حياته ولا يوجد لديه أي التزام نحو أي قيمة أو مبدأ في الحياة ، ويحيا عابثا ويموت بل قيمة ، وهناك شخص يرتبط بالرغبة في الحياة السعيدة ويحاول أن يسعد نفسه أو يلتزم

بالوجبات والفروض الدينية المقدسة لعله ينال السعادة الأبدية ، وهناك من يرتبط برسالة مقدسة لحياته يلتزم بها ويعيش ويموت من أجلها ، وهناك قلة من المتدينين ترتبط بالله القدوس وتلتزم بوصاياه التزام روحي صارم من أجل أن تفوز بمحبته ومن أجل الاتحاد به .

******

هناك أديان تبني الثقة بالإيحاء ، وهناك أديان تبني الثقة بالصدق . الثقة المبنية علي الإيحاء لا تدوم ولا تنجح في تحقيق نجاحا حقيقيا في الحياة ولا في تحقيق الذات بينما الثقة المبنية علي الصدق تنجح في دمج الشخص مع الحياة والوصول لذاته الحقيقية وتحقيقها .

الأوهام تعتمد علي الحلم ، إغراق الناس في الأحلام يولد ثقة وهمية حينما يفوق منها يصاب بخيبة أمل حقيقية . خطورة بعض الأديان أنها جعلت مؤمنيها تحلم بحياة مثالية لا يمكن أن تتحقق في هذه الحياة أو بأوهام لسعادة حسية مؤجلة بعد الموت فيها متع وأكل وجنس .

السيد المسيح لم يوهم تلاميذه بحياة مثالية ولكنه كان صادق وعرفهم أمجاد الخدمة كما عرفهم متاعبها ، ووضح لنا كيف أن الحياة معه صليب وقيامة ، وألم ومجد .

من الأمور الخطيرة في الحياة الدينية ، محاولة رجال الدين جذب الناس لحالة التدين بإغراقهم في الأحلام الدينية وليس بالوعود الإلهية . الأحلام الدينية تجعل الشخص يحيا الحياة في مخيلته وهي لا تصلح للواقع العملي ، بينما الوعود الإلهية تضع للإنسان خطط وأهداف للحياة يمكن تحقيقها في الحياة .

الصدق مفتاح الثقة ، كلما كان المرء صادق فيسهل عليه أن يصدق الآخرين ، وكلما كان غير صادق فلا يمكن أن يثق في أحد أو يصدق أحد ، لذلك تهتم الأديان بصدق الشخص وتحفزه أن يكون صادقا ، فالصدق أول درجة للدخول في طريق الإيمان .

الله صادق ولذا نصدقه ونثق فيه ، ونحن إن كنا صادقين يصدقنا الناس ويثقوا فينا ، ويقبلوا الارتباط بنا .

******

ما هو دور رجال الدين في تنمية الثقة الإيمانية ؟

يحتاج الناس لرجل الانجازات والمعجزات ليستمدوا منه الثقة الدينية ، أو رجل العلم والمعرفة ليصدقوا إيمانهم . الناس تبحث عن القديس صانع المعجزات . كما تبحث عن الحكماء وأصحاب الرسالات .

يؤثر رجل الدين بعمله ومواقفه فيلتف حوله الناس ، لذلك رجال الدين الذين كانوا لهم أعمال عظيمة وإنجازات مؤثرة ، صاروا رموز صار الناس خلفهم وأناروا حياتهم

يؤثر رجل الدين صاحب المعرفة علي الناس ، وخاصة من يملك المعرفة الروحية العميقة ، فنجد الناس تلتف حولهم وتتلمذ عليهم وتنتفع بعلمهم وتصير تعاليمهم ركائز يؤسسون عليها قواعد ومبادئ حياتهم .

******

٥- مرحلة التدين التصوفي :

في المرحلة السابقة كان التدين يعتمد علي الثقة التي تربط الإنسان بالله وبالحياة ، وكان يحتاج إلي الوعود لتكوين هذه الرابطة وكان الهدف منها الإحساس بالثقة والأمان التي تدفعه للعمل والتفاعل مع الحياة والسير في اتجاه الله ليحقق ذاته بإيمانه ، وينال خلاصه . وكان التدين الإيماني يشدد الإنسان ويزيد قوته روحيا وإنسانيا ويجعله قديسا بارا وشخصا ناجحا حقق ذاته من خلال رسالته في الحياة ولكنه في الوقت نفسه يزيد من شعور المرء بفرديته ووحدته وعزلته . فالوعود والثقة روابط لا تكفي الإنسان ليتوحد بالحياة والله فهو في أعماقه يشعر أنه جزء من الكل ويريد فعلا أن يحقق هذا الشعور ويصير في وحدة كيانيه مع الآخر ومع الحياة ومع الله . ففي أعماق الإنسان رغبة ملحة أن يحقق ذاته كجزء من كل .. وليس كهوية مستقلة فردية .. وليس كمخلوق تائه في كون فسيح .. وليس كمخلوق وحيد في وسط تعددية مفزعه .

فكيف يتصور هذه الوحدة وكيف يحققها ؟ هنا يبدأ التدين في التحول نحو التصوف mysticism ويبدأ المتدين يغلب عليه التفكير التصوفي mystical thinking .

في التفكير التصوفي يبدأ محاولات فهم كيف يصير الكل واحد وكيف يحقق ذلك ؟! ويبدأ في الاعتقاد أن الله هو الواحد وسر الوحدة ، وأن التدين هو طريق التوحد من خلال الطرق التصوفية .

فالتصوف مذهب موجود في كل الأديان ، ويشدّد على اختبار الاتّحاد الحميم والمباشر بالله . وهو متعدد في ظواهره وأشكاله ، ويتصف المتدين المتصوف بالشعور بالفرح الداخلي والتوافق مع العالم المُحيط كمكان لحضور الله . أحياناً يضع التصوف نفسه في جدل مع السلطة الدينية بسبب رفضه بعض مظاهرها أو يجعل نفسه دعوة لإعادة النظر فيها ، أحياناً أخرى يتّسم المتصوفون بالصمت وذلك لعدم وجود لغة تعبيريّة تفيد في نقل اختبارهم للآخرين .

التصوف كلمة من أصل يوناني mystikosόςμυστικ - ' تعني رؤية والعين مغلقة . وهي تعني الرؤية المباشرة للأمور المخفية ، وتهدف للتوحد مع الذات الباطنية ، ووعي كلي للحقائق السماوية والروحية ، وإدراك الله بطريقة مباشرة والاتحاد به .

وهذا الاتحاد وحالة التوحد تسمي بأسماء عديدة بحسب نوعية التصوف ، فتسمي استنارة ، أو شركة في المسيحية أو فناء Irfan في الإسلام أو نيرفانا في البوذية أو موكاشا في اليانية (عبادة هندية) أو Samadhi في الهندوسية .

ويعتقد المتصوفون أنه حينما تتحرر النفس من العالم الحسي المادي من خلال ممارسات تطهيرية معينة ، فأن الروح تسمو عبر دخولها في مراحل متعددة من الحالات الباطنية الروحية حتى تصل حالة الجذب أو الاختطاف وفيها تصل لحالة من الذهول والرؤية للواحد .

يختلف شكل التصوف بحسب الخلفية الثقافية والدينية ولكنه يتشابه في الطرق ووسائل الوصول لحالة المعرفة الكلية والخبرة الصوفية .

ويمر المتصوف بمراحل متعددة من التصوف حتى يصل إلي حالة الوحدة [١٩]، ففي المرحلة الأولي وتسمي **مرحلة التيقظ** وفيها يعي وجود حقيقية إلهية مطلقة

---

[١٩] Mysticism From Wikipedia, the free encyclopaedia

وفي المرحلة الثانية **مرحلة التطهير** يبدأ يتكشف محدوديته ونقائصه ويبدأ فيها تـدريبات النسك وإماتة الذات .

وفي المرحلة الثالثة **مرحلة الاستنارة** يصل إلي مرحلة الرؤية وفيها يختطف ويخرج خـارج حالته المادية ، كما وصفها بولس الرسول " في الجسد أم خارج الجسد لست أعلـم "[٢٠] ويـري السماوات الجديدة والأرض الجديدة ، وهي قد تكون المرحلة القصوى لمعظم المتصوفين .

وقليل من المتصوفين يدخلون في المرحلة الرابعة **مرحلة النقاوة التامة** التي تتميز بـالحيرة والبؤس وموت الإرادة والشعور بالتخلي الإلهي فهي المرحلة النهاية من بذل الـذات والاستسـلام التامة للإرادة الإلهية .

في المرحلة الأخيرة يتحد المتصوف مع ما يحبه ... الحقيقية الواحدة ... الله . هنا الذات قد ثبتت في الحالة السامية وتحررت من أجل حياة أخري ، ممتلئة من الإرادة الإلهية ، ويوجد المتصوف في الحياة المادية المنظورة ليجسد فيها الأبدية ، ويصير وسيطا بين ما هو مادي وما هو أبدي .

كيف نشأت هذه الحركات التصوفية ، ولماذا يميل الإنسان في مراحـل تدينـه المتقدمة لهذه النوعية من التدين ؟

الإنسان في أعماقه يميل نحو الكمال والرغبة في المعرفة . ودائما يبحث عن الحقيقية ويحاول أن يختبر الكمال ، وهو يعلم أنه يعلم بعض المعرفة بينما هو يريد المعرفة التامة وهو علي يقين أنـه يختبر خبرات ناقصة من خبرات الحياة ، فهو مثلا يعرف بعض المعرفة عن الجنس و لم يعرف ماهيته تماما ويختبر بعض الخبرات الجنسية و لم يختبر الجنس الكامل ولا روعته . يعرف بعض المعرفة عـن العالم المادي و لم يعرف المعرفة التامة عن خواص الأشياء ولا قوانين عملها ، وقد اختبر السـيطرة عليها جزئيا ويسعي أن يختبر التحكم التام في الأشياء . يفهم القليل عن نفسه ويسـعي أن يفهـم حقيقية نفسه ، وقد اختبر جزئيا كيف يعبر عن نفسه ويتمني أن يكون كما يريد . وهكذا في كل أمور حياته نجد أن شوق الإنسان للحقيقية والكمال يدفعه أن يتجاوز واقعه ويحاول أن يتخطـي محدوديته ويبحث عن سبل الوصول للحقيقة والكمال ، ولذا كان التصوف أحدي هذه الطـرق ووسيلته ليتجاوز الذات بمحدوديتها وليختبر الحقيقية الكلية للحياة بطريقة مباشرة باطنية .

---

[٢٠] (٢ كورنثوس ١٢ : ٢)

كذلك من الأمور التي تتعب الإنسان في حياته: الثنائية في الحياة ، فكل ما في الحياة يقع بين قطبين ليل ونهار ، ونور وظلمة ، وخير وشر ، ومادي وروحي ، وجسدي ونفسي الخ ، هذه الثنائية موجودة في كل أمر في الحياة حتى في نفسه وهي تجعله في حالة من الحيرة والارتباك ، وتتطلب منه أن يكون في حالة من الوعي الدائم لحركتها ، وتجعله في حالة اختيار مستمر وعليه أن يحدد موقفه من هذه الأمور ، ويعرف كيف يحيا بالليل ويحيا بالنهار وكيف يتعامل مع الخير وكيف يتجنب الشر ، وكيف يوازن بين الروح والجسد و يعبر عن نفسه ويشبع رغبات جسده .

أن في أعماق الإنسان يقين أن هذه المتناقضات ما هي إلا وجهان لحقيقية واحدة ، وإن كانت أمور الحياة ظواهر تبدو متناقضة فان باطنها حقيقة واحدة متناغمة ، فالذكورة والأنوثة وجهان للإنسانية ، والروح والجسد وجهان للإنسان ، والمشاعر والأفعال وجهان للشخصية ، وإن كانت الأجناس مختلفة في ظاهرها فإن الإنسان هو واحد في طبيعته الإنسانية ، وهكذا فكل المتناقضات في الحياة تعبر عن حقيقة كلية واحدة ، وكل ما في الحياة هو جزء من هذه الحقيقية الكلية ووجه من أوجها . لذلك ففي كل إنسان رغبة دفينة في الوصول إلي هذه الحقيقية الواحدة وإن يحيا بهذه الحقيقة الواحدة ، ويسعي كل إنسان للتكامل ليصل لحالة التوحد وينعم بحياة البساطة أي يحيا الحقيقية البسيطة التي تجمع المتناقضات ويتحرر من صراع المتناقضات .

التصوف وسيلة للوصول لحالة البساطة والحياة علي مستوي باطني عميق للحقيقة الواحدة التي تجمع كل متناقضات الحياة .

*****

تختلف الحركات التصوفية للأديان المختلفة في تحديد من هو المطلق التي تسعي للتوحد معه ، فهناك حركات تعتقد أن المطلق هو الإنسان نفسه والحقيقية الكلية توجد في أعماق ذاته ، ويعتقد البعض الأخر أن المطلق هو الإنسانية والحقيقية الكلية تكمن في تكامل البشرية والوجود ، والبعض يعتقد في إله سماوي تفني النفس فيه ، والبعض يعتقد في إله نشترك في حياته .

*****

يحتاج الذين يميلون لحياة التصوف إلي رجال اختبروا حالات التصوف الباطنية ليتعلموا من خبراتهم كيف يختبرون هذه الحالات ، لذلك نجد أن رجال الدين في حركات التصوف هم أصحاب

طرق في التصوف ، وكل منهم له طريقة في التصوف ويعلم كيف اختبر لمن يريد أن يختبر ، فنجد الرهبنة المسيحية مدارس وطرق ، الحركات الصوفية الإسلامية طرق ومذاهب ، وتصوف الشرق الأدنى له طرقه وأشكاله المتعددة ....

*****

الخلاصة :

أن هذا التحليل ليس الغرض منه نقد الدين ولا مقارنة الأديان ولكنه يسعى لتفهم طبيعة تديننا لنضع أيدنا علي أسباب الاضطرابات الإيمانية وانحرافات التدين ، كذلك له هدف إيجابي وهو كيف نفعل تديننا ونتحكم فيه ونعرف تحديدا لماذا نحن متدينين وكيف نقود تديننا نحو حياة روحية سليمة وليس نحو التغيب والتطرف وكيف نسير في اتجاه لقاء الله والدخول في شركة محبته ولا نتوه بين أصنامنا .

أن التدين مرتبط بالكيفية التي نحيا بها حياتنا فكلما وضح تديننا وتنقي كلما كانت حياتنا أكثر فاعلية وأكثر نقاء وطهرا

أن التدين مرتبط بفهم أنفسنا ووضوح هويتنا ، وكلما فهمنا تديننا استطعنا فهم أنفسنا ووضحت هويتنا .

أن التدين مرتبط كذلك بفهم **من هو الله الذي نؤمن به** ، هل هو الذات أم المجتمع أم الله الواحد ، فكلما تنقي تديننا من الصنمية كلما تطهر تديننا وكلما استقامة حياتنا وكلما عرفنا الحق وحررنا الحق .

افهم تدينك المسيحي

التدين المسيحي مختلف تماما عن التدين الإنساني الذي ينشأ نتيجة لاحتياجات إنسانية نفسية ، فمحاولة الإنسان التدين تلقي به عادة في طريق عبادة الذات أو عبادة الأوهام الوثنية ، والأديان البشرية مهما كانت حكمتها فهي تعالج احتياج لدي الإنسان ولكنها تفسد أخر وبالتالي فإنها تفسد شخصيته وتعذب روحه ولا تستطيع أن تصل به إلي حياة السعادة ، أنها مثل أدوية فعالة في علاج مرضا ما ولكن أثارها الجانبية خطيرة وقد تؤدي في النهاية إلي وفاة المريض .

المسيحية كديانة سماوية وعطية إلهية للبشر ، قدمت للبشرية التدين الذي يستطيع أن يعالج الخوف الإنساني ، ويشبع أحلام الإنسان ، ويحل صراعاته الضميرية ومعاناته الأخلاقية ، ويضع رسالة لحياته ويجعل لها معني وقيمة ، ويساعده علي الوصول لحياة البساطة والشركة .

لقد استطاعت المسيحية أن تتجاوز السحر والأسطورة والشرائع والمقدسات والرياضيات الروحية وقدمت للإنسان في كل مراحل تدينه ما يشبع احتياجه في كل مرحلة دون أن تنحرف به ، وتساعده أن يتجاوزها لما هو أعمق ، وأن يتلاقي في كل مرحلة مع شخص المسيح ، وتجعله يتلاقي بطريقة أعمق مع شخص المسيح كلما تعمق في تدينه ونما فيه .

المسيحية ديانة شخصية تعتمد علي اللقاء الشخصي والتلاقي الحميم مع شخص المسيح ، فهي لا تتعامل مع قوى غيبية ولا صور ذهنية ولا شرائع أدبية ولا رسائل سماوية ولا حكمة صوفية

ولكن مع شخص المسيح الذي فيه قوة الله وصورة الله وكلمة الله ورسالة الله ومحبة الله ، والذي فيه نتقوى بقوة الله ، ونصير علي مثال الله وصورته ، ونحفظ وصاياه ونأخذ دعوته لنا ، وندخل في شركة محبته .

لقد تعاملت المسيحية مع دوافع الإنسان للتدين وعالجت مشاكل تدينه بطريقة روحية إنسانية عميقة ، وعالجت الخوف الديني والأساطير الدينية والصراعات الأخلاقية ومشاكل القلق الوجودي والاحتياج للمعني والقيمة ومشاكل السعي للكمال وطلب الحكمة والسمو الروحي .

فكيف يحقق التدين المسيحي ذلك ؟

١ – التدين المسيحي والخوف الإنساني :

إن كان الخوف هو أول وأعمق دافع للتدين لدي الإنسان ، وقد يلقي به في طريق السحر والشعوذة أو التدين المريض الذي يغرقه في أوهام وخرافات دينية ، فأن المسيحية لا تبني علي الخوف مطلقا بل هي ديانة تحارب الخوف الديني أيضا ، ولكنها في الوقت نفسه تساعد المتدين في مراحل تدينه الأولي علي التعامل مع مخاوفه من خلال معتقدات سليمة تحميه من الفزع ، وتستثمر خوفه لنموه الروحي ، كما تعلمه من خلال العبادة الروحية كيف يعبر عن مخاوفه ويتخلص منها بطريقة روحية سليمة تقربه من الله ولا تفصله عنه .

التدين المسيحي يبني علي المهابة لا الخوف ، فالمهابة تولد الانتباه بينما الخوف يسبب الفزع والاضطراب ، ونحن في تديننا نحتاج المهابة حتى ننتبه لندرك وجود الله ونعي طبيعة الحياة التي منحانا إياها ولكي ما نعرف كيف نحياها ، نحتاج أن نهاب الله حتى ما نقف وننصت لله حينما يبادر ويكلمنا ، فعندما نادي الله موسى عند العليقة المشتعلة ، هاب موسى الحدث ولكنه لم يفزع منه ، فلم يهرب بل وقف وانتبه وأنصت.. فسمع واستوعب ما كلمه به الله .

ولا ينبغي في تديننا أن نفزع من الله ولا أن نخاف من خبرات الحياة ، فالفزع والخوف يجعل الإنسان في حالة من الاضطراب ، وفي فزعه وخوفه فهو أما أن يهرب من الله أو يحاول

الاختفاء منه حتى أنه يطلب أن تسقط الجبال عليه وأن تغطية الآكام حتى لا يواجهه ، ولذلك ليس للخائفين نصيب في ملكوت الله[٢١] .

وكذلك عندما يفزع الإنسان من صعاب الحياة فهو أما يهرب من مواجهتـــها ويلقـــي بأسبابها وتابعتها علي الله ليتنصل منها .

حينما صنع الرب معجزة شفاء لمجنون وطرد الشياطين منه وأذن لها أن تدخل قطيع مـــن الخنازير فسقطت الخنازير من علي الجرف وهلكت ... خاف الناس من الرب وطلبوا منه أن يخرج من قريتهم ويذهب عنهم !! لقد أصابهم الخوف من قوته !! وفزعوا من عمله !! فطلبوا أن يبعـــد عنهم !!

لذلك تعمل المسيحية باستمرار علي ضبط الخوف الإنساني وحفظه في إطار المهابة المقدسة وعدم دخوله في حالة الفزع المربك .

في التدين المسيحي يضبط الخوف من خلال الارتباط بشخص المســـيح ، فـــلا يبحـــث الخائفون عن الوسطاء من عرافين ومنجمين وسحرة حتى وإن كانوا في شكل رجال دين .

نحن نستطيع أن نضبط الخوف فينا حينما نتحصن بفكر المسيح وتعاليمه عن الخـــوف ، وحينما نختبر حضوره الدائم معنا وننمو في شركة محبته .

ما هو فكر المسيح في مواجهة الخوف ؟

لقد وضع السيد المسيح أسس لتعاملنا مع الخوف وعمل علي تنمية التفكير الإيماني لنتحرر من التفكير الغيبي ، وركز علي عدم الخوف من الله ولا من صعاب الحياة ، وأن نستبدل الخـــوف بالثقة في الله وبالثقة في النفس ، وعلمنا كذلك كيف نستثمر المهابة في نمونا الروحي .

---

[٢١] . رؤيا ٢١ : ٨

١- لقد دعانا أن لا نخاف من الله : فإن كنا نخاف من الله لأنه مجهول بالنسبة لنا ونخشى من قوته الجبارة وإرادته المطلقة ، فقد أكد لنا أن الله هو أبونا ولا شيء فيه يدعو للخوف ، ودعانا أن ندعوه آب لنا ، ونصلي فنقول أبانا الذي في السماوات ، فحينما نقيم علاقتنا مع الله علي أساس الأبوة نأمن له ونطمئن لرعايته الأبوية ولتدبيره لحياتنا ، وأكد لنا أن الله يهتم بنا اهتمام الآب بأبنائه وقال" أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا" [٢٢]

٢- لقد دعانا أن لا نخاف من الحياة ، ولا نهتم ونعول الهم في الحياة مهما كانت الأحوال ، ولا نقلق مها كانت الظروف ضاغطة ، وأكد مرارا أن الكوارث الطبيعية والأمراض ومصاعب الحياة ليست مظهرا للغضب الإلهي ، والله ليس إله مخيف ومنتقم وليس فيه أمر يدعو للخوف ، فهو آب يرعي ويعتني ويحب الإنسان ، وينبغي أن نتعامل معه من مدخل الثقة ، ثقة في وجوده معنا وثقة في محبته لنا ورعايته لنا ، كما أكد مرارا بتعليمه وبمواقفه أنه حاضر معنا في التجارب يتألم معنا بمحبته .

٣- لقد دعانا ألا نخاف من يوم الدينونة ، فهي لا تدعو للخوف ، وهي يوم المجازاة والدخول لفرح السيد أما العقاب فهو علي الخطاة والغير مستعدين ، وأن العقاب الإلهي هو نتيجة طبيعية لأعمالنا وليس انتقاما إلهيا غير مبرر . ففي يوم الدينونة سوف يقول الأشرار أنفسهم أيها الجبال اسقطي علينا ... الخوف في هذا اليوم هو من استهتارنا وعدم تحملنا مسئوليتنا في أعمالنا ، فالخشية من الدينونة هو خوف يدعو للخلاص ، وخوف لتحمل المسئولية فكل عمل له نهاية وله حساب ، وهذا النوع من الخوف هو خوف يدعو للحذر .

٤- لقد علمنا كيف نستثمر الخوف لفائدتنا ، فالخوف يمكن أن يكون دافع لنا لنطلب الحكمة ، ودافع لطلب الخلاص .

المخافة طريق الحكمة ، ومخافة الله رأس كل حكمة روحية . المخافة تعلم الحذر والانتباه وتقلل من الكسل والاستهتار ، لذلك حذر الرب كثيرا : اسهروا لأنكم لا تعلمون ، فإن كنا نجهل

---

[٢٢] (متى ٦ : ٣٢)

فينبغي أن نتحصن بالمخافة والانتباه والحرص ، فمن الحكمة الحذر عندما نتعامل مع ما نجهلـــه ... ومن الحكمة أن نحاول أن نتعلم لنقلل من خوفنا من المجهول ، فلا باس أن نسأل ونفتش ونـــتعلم لنعرف ونفهم . ومن الحكمة لقيادة مسيرتنا فيما نجهله أن نضع ثقتنا فيمن يعلم فقط وليس في أي جاهل مثلنا ، فإن كان أعمي يقود أعمي فكلاهما يسقط في حفرة . فلا ينبغي أن يجعلنا عمانا أن نستسلم لمن يدعي المعرفة لئلا يسقطنا معه .

المخافة طريق الخلاص ، فالمخافة تجعل الإنسان يطلب الخلاص ويتممه بخـــوف ورعـــدة مقدسة . فالمخافة هي طريق التقوى وطريق الإيمان ، لقد علمنا الرب أن نستخدم طاقـــة الخـــوف ونحولها نحو الاستعداد ، وبدلا من أن نفزع من يوم الدينونة علمنا أن نستعد للقاء الله المفرح بأعمال التقوى ، ورمز لذلك بلبس ثياب العرس ، وحفظ الزيت في الآنية ، واستثمار الوزنات الخ

كيف نختبر حضور المسيح الدائم ؟



المتدين المسيحي يتعامل مع مشاكل خوفه ومع مخاوفه من خلال اكتسابه اختبار **حضور المسيح** أي أن يشعر بحضوره في حياتـــه ويـــذكر نفســـه بحضوره ، ويثق في معونته له . ففي مرة كان الـــرب مع التلاميذ في سفينة وهاج البحر وهبـــت الريـــاح العاصفة حتى كادت السفينة أن تغرق ... فخـــاف التلاميذ ... لأنه لم يشعروا بوجود الرب عندما ظنوا أنه نائم وغير مبالي لهلاكهم !!

لقد كان الرب يظهر لتلاميذه أوقات تعبهم وخوفهم ، وفي كل مرة كان يظهر لهم كان يقـــول: **أنا هو لا تخافوا ...**

أن حضور المسيح يبدد خوفنا ، فهو معنا وليس علينا ... وهو معنا يجتاز بنا التجربة ... وهو مشاركا لنا وليس مراقبا لنا ، فنحن عندما نخاف نحتاج أن نذكر أنفسنا بحضور المسيح معنا ، ويمكن أن نستخدم الرموز التي تذكرنا بحضوره وبشخصه العامل من أجل خلاصنا .

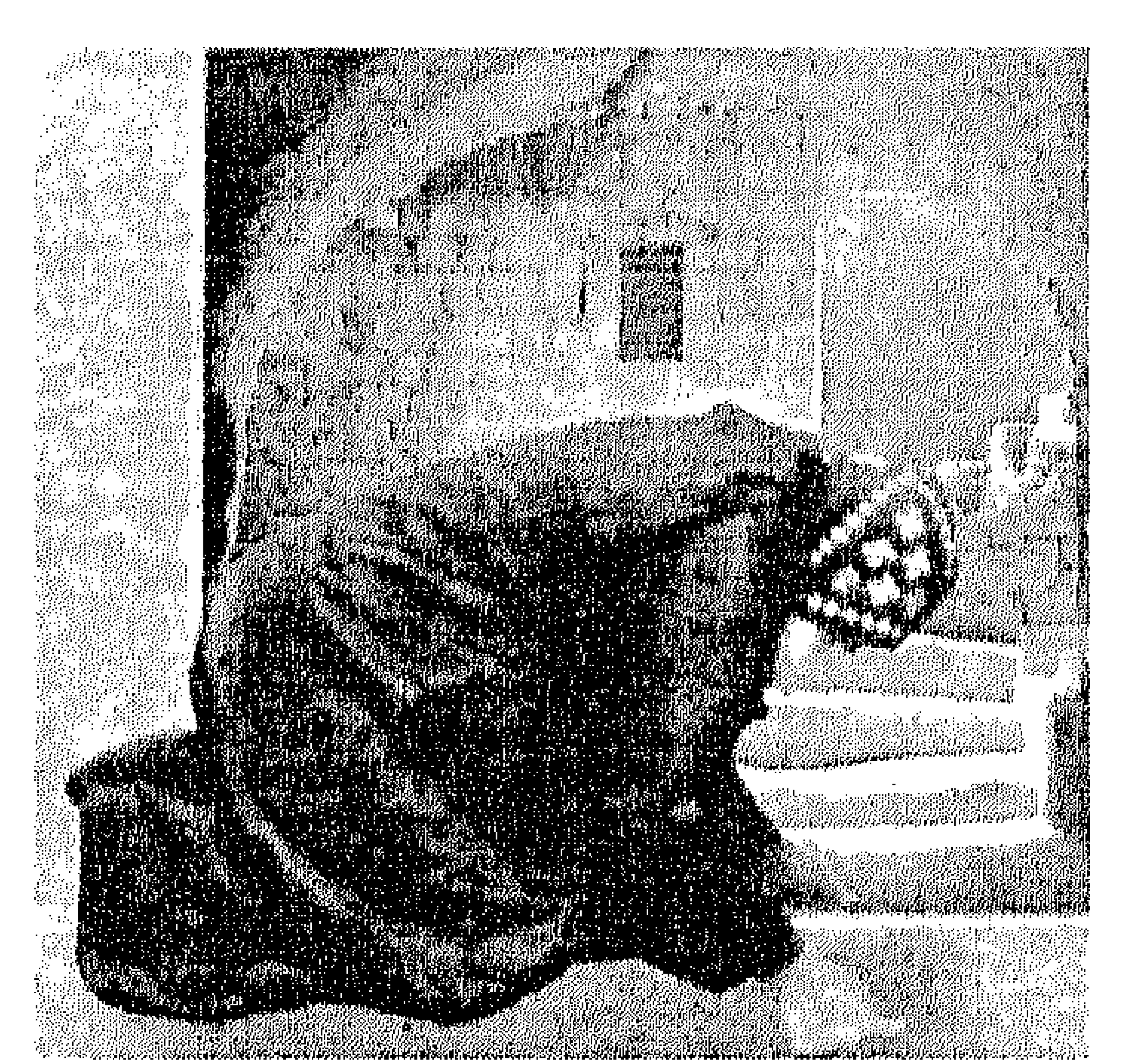
فعندما نخاف ننظر إلي الصليب ، ونعلق الصليب علي صدورنا وفي بيوتنا ، ونرشمه كلما شعرنا بالخوف ، ففي المسيحية لا يحتاج المتدين المسيحي إلي خرزة زرقاء ولا إلي تميمة وحجاب بل أن يحمل الصليب ... وينظر إلي الصليب ... ويرشم الصليب علي صدره .

لا يمل المتدين المسيحي أن يصلي مرارا وتكرارا قائلا : يارب ارحم ، فهي صلاة قصيرة تقال كثيرا من أجل التحصن برحمة الله فيتخلص من كل قلق وتوتر وخوف يصادفه في يومه . فعندما نصلي وندعوه ليتدخل برحمته نطمئن أنه معنا ، ويعمل معنا ، ويعمل علي عوننا وحمايتنا ، الأهم أن صلاتنا هذه تذكرنا نحن أن الله حاضر معنا فلا نشعر بالوحدة اليائسة ولا بالعزلة القاتلة في مواجهة الحياة .

كذلك يدعونا الرب عند طلب الرحمة أن نستمر في الطلب بلجاجة ولا نمل من اللجاجة في الصلاة طلبا للرحمة ، فهذه اللجاجة تجعلنا نفرغ خوفنا في الصلاة بدل من اللجوء للطرق الغيبية والسحرية التي يلجأ إليها الذين يعانون من الخوف المستمر والقلق المتعب .

يواجه المتدين المسيحي أسباب خوفه ولا يهرب منها ، وعندما يواجهها يتقوي بالله ويقول إن كان الله معنا فمن علينا .

*****



المتدين المسيحي يهاب حضور المسيح ، فلا يستهتر بحضوره ولا يتعامل بلامبالاة معه ، فهو في حضرة المسيح يوقره ويسجد له عند الصلاة وكذلك في كل مكان مقدس يذكره بحضوره ، وفي حضرة المسيح وعند الإنصات لكلمته يقف منتبها ، ولذا يذكر الشماس الشعب المتدين عند سماع كلمة الله قفوا برعدة وأنصتوا بخوف للإنجيل المقدس

٢- التدين المسيحي ومعرفة الله :

إن كان الإنسان يحتاج إلي القصص الدينية الأسطورية الرمزية لتكوين معتقداته وفهمها وترسيخها ، وإن كانت الأديان الإنسانية تقدم الكثير من الأساطير التي تشرح عقائدها وتجسدها فأن المسيحية **لا تقدم قصص أسطورية لشرح العقيدة ولكنها تقدم شخص المسيح فهو صورة الله ورسم جوهرة**[٢٣] ، وإن كانت الأساطير الدينية تعكس فهم الإنسان لنفسه وللإلهيات وتسقط مشاكله علي تصوره لله ، فأن المسيحية تقدم لنا شخص المسيح ليكون طريقنا إلي الله الآب ، " اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ."[٢٤] ، فالله لا يمكن أن يتصوره أحد ولكن من خلال معرفة المسيح نعرف الله الآب ، ولذلك حينما طلب فيلبس من الرب أن يريهم الآب ، أجاب : اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ "[٢٥]. وكذلك تقدم المسيحية شخص المسيح ليكون أيقونة لنا لنحيا علي مثالة ومن خلاله معرفته نعرف أنفسنا .

أن فهم العقيدة وتكوينها في التدين المسيحي يعتمد علي معرفة المسيح معرفة شخصية ، ويتحقق من خلال تكوين علاقة شخصية به فقط ، فحينما نعرفه نعرف الآب ونتقدس بالروح القدس ، ونعرف أبعاد الحياة الروحية ونختبرها ونفهمها .

المسيحية لا تقدم تصورها العقيدي الخاص عن الله بل تقدم شخص المسيح لنتعرف عليه ، والمسيحي الحقيقي ليس من يعرف العقائد المسيحية بل من اختبر المسيح ودخل في معرفة شخصية معه . أن شخص المسيح هو مفتاح الفهم العقيدي في المسيحية ، فمن يدخل في اختبار معرفة المسيح شخصيا هو فقط الذي يفهم أبعاد العقيدة المسيحية .

المسيحية ليست نظرية روحية وعقائدها ليست فلسفات عقلية ولا يمكن أن تترجم في تصورات ذهنية ولا في قصص رمزية ولكنها في جوهرها اختبار روحي يعتمد علي اللقاء الشخصي مع الله من خلال المسيح ، والفهم فيها يعتمد علي المعرفة الاختباريه وليس علي المعرفة العقلية المجردة .

---

[٢٣] عبرانيين ١ : ٣
[٢٤] يوحنا ١ : ١٨
[٢٥] يوحنا ١٤ : ٩

أن تعرف معلومات تسمعها عن شخص غير أن تعرف الشخص نفسه من خلال عشرته ، المعرفة النظرية قد تصيب وقد تخطيء وفائدتها العملية قليلة ولكن أن تعرف شخص من خلال معاشرته فهي معرفة حقيقية تؤثر في شخصيتك وتغير في حياتك . لذلك يعتبر الآباء أن اللاهوتي الحقيقي هو القديس الذي اختبر وليس الباحث الذي درس ، فاللاهوت في المسيحية نتناوله ولا نتصوره ، والمسيح نتناوله ولا نحلله ، ونأكله[٢٦] ولا نشرحه . قد لا يجيد المسيحي البسيط الجدل اللاهوتي ولكنه يقبل العقائد المسيحية ببساطة الاختبار لأنه تذوقها وعاشها فعرف قيمتها حتى وإن لم يعي منطقها .

لماذا تركز المسيحية عقائدها في شخص المسيح ؟

في الأديان الإنسانية كان الإنسان يسقط شخصيته علي الأمور الروحية وعلي تصوره لشخص الله ، ولذلك كانت التصورات ناقصة ومشوهه وتسبب تعقد علاقته بالله ، وكان الأنبياء يحاولون كثيرا التأكيد أن الله ليس إنسان ولا ينبغي أن نسقط تصوراتنا البشرية عليه ، وبالرغم من ذلك فأنه من الصعب علي عقل بشري أن يتصور الله ذهنيا بدون أن يسقط شخصيته عليه ، لذلك جاء المسيح متجسدا لندرك أن الله هو آخر ، وشخصيته مختلفة تماما عن الشخصية الإنسانية وجوهره مختلف تماما عن الطبيعة الإنسانية ، وإن كنا في المسيح نستطيع أن نلتقي بالله ، فهو لأنه الله المتجسد وفيه نستطيع أن نكون أبناء لله بالتبني وندخل في شركة محبته .

ففي شخص المسيح نكف عن تصور الله ونبدأ نري الله المتجسد – الله الذي يمكن إدراكه والاقتراب منه ومعرفته شخصيا . وفي شخص المسيح نكف عن حلم التأله ونعرف كيف ندخل في شركة محبة الله وكيف نصير أبناء لله .

وإن كان في الأديان الإنسانية يحاول الإنسان أن يضع فرضيات وتصورات لطبيعة علاقته بالله ويقلقه كيف ينظر الله إليه .. ولا يعرف ماهية علاقة الله به .. ويحلم باهتمام الله ورضاه عليه ، فإن المسيحية في شخص المسيح حسمت هذا الأمر ، فالله في المسيح –الله المتجسد ... يري فيه

[٢٦] "فَمَنْ يَأْكُلنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي." يوحنا ٦ : ٥٧

اللاهوتي الإله الذي يحمل طبيعتنا فيه ، ويراه الشخص البسيط الإله الذي يهتم باحتياجاته اليومية ويشفي أمراضه ويموت لأجل خلاصه .

في شخص المسيح نستطيع أن نتفهم عقائد الخلق والخلاص والأبدية التي هي مشكلة كل الأديان ، فالمسيح هو الخالق وهو المخلص وهو الديان ، وحينما نعرفه نفهم طبيعة خلقتنا وطبيعة الحياة التي نحياها ، وحينما نقبل خلاصه ندرك عمله في حياتنا ، وحينما ننتظر مجيئه الثاني ونستعد له نقبل عليه وندخل في شركته .

المسيح يضبط التصور العقيدي فلا يشت العقل والوجدان ويقع في مستنقع الخرافات الأسطورية ، والأوهام الفلسفية ، والبدع العقلية .

كيف يكون المتدين المسيحي عقائده من خلال المسيح ؟

تفهم العقيدة في المسيحية لا يعتمد علي العلوم اللاهوتية ولكنه يعتمد علي الاختبار الشخصي ، فنحن لا نقيم مدارس لتسليم العقيدة ولكن نقيم قداسات للعبادة ومن خلال المشاركة فيها يتسلم المؤمن عقيدتما ، يتسلم المتدين المسيحي عقائده من خلال اختبارها ومعايشتها وليس من خلال دراستها .

حتى ما تتكون هذه المعرفة الشخصية بين المتدين وشخص المسيح فالأمر يحتاج من المتدين إلي شيء من الفضول الروحي ورغبة حقيقية في معرفته ، كما تحتاج إلي كشف إلهي يفتح فيه الله عين هذا المتدين ليدرك ما لا يستطيع الوصول إليه في معرفته .

يهوى المتدين المسيحي التأمل ويجيده ، وكلما ركز تأملاته في المسيح وتأمل في رموزه وفي شخصه وفي أحداث حياته وفي نبوات مجيئه الثاني كلما بني عقيدته بناء سليما وبطريقة روحية وجدانية تشبع روحه وتستريح لها نفسه .

يجب المتدين المسيحي أن يربط كل ما يقرأه في الكتاب المقدس بشخص المسيح ويري في كل ما كتب في الكتاب أنه يرمز للمسيح ويشير إليه ، ولذا يحاول أن يجد الرباط بينه وبين المسيح فهو لا يفهم أي أمر روحي إلا من خلال المسيح ، وكيف انه يقترب أو يبتعد عن المسيح . فالمسيح هو صورة الله ورسم جوهرة وفيه تتحقق كل الرموز وتفسر كل الرموز وهو محور كل الكتب .

وإن كانت العقيدة لابد أن تتكون وجدانيا لا منطقيا حتى ما تكون مؤثـــرة في حياتنـــا الروحية ، ولذا فأن المتدين المسيحي يكون عقيدته تدريجيا من خلال تأمله الشـــخصي في أقـــوال المسيح وأحداث حياته ، وبالأخص حينما يركز في صليب المسيح ، فهو محـــور كـــل العقـــائد المسيحية .



أن كل الإيمان المسيحي ينحصر بين معجزة ميـــلاد المسيح وتجسده وبين حدث قيامته من الأموات وصعـــوده إلي السماء .

أن التعمق في وعي وفهم حياة المسيح وأفعاله وأقواله يدخلنا تدريجيا في معرفة سر الله المحب للبشر ، ويبني عقائدنـــا الروحية بناءا تراكميا ومتدرجا بما يتناسب مع حالتنا الروحيـــة واحتياجاتنا الروحية .

يرتبط المتدين المسيحي بالمسيح بمستويات متعددة ، فهناك متدين مسيحي يرتبط بالمســـيح صانع المعجزات الذي يشبع احتياجاته ويطلبه وقت ضيقه ويطلب مشورته ورعايته وحمايته ، وهناك متدين يرتبط بالمسيح المصلوب من أجل خلاص نفسه ولكي ما يحقق قبوله لنفسه ويتوب وينـــال غفران خطاياه ، وهناك متدين يرتبط بالمسيح الابن الذي بذله الآب ، وهو لا يريد شيئا ســـوى أن يصنع مشيئته ويخدمه وهو مستعد أن يبذل نفسه من أجله وفاءا وحبا له . كذلك يرتبط بالمسيح – آدم الجديد من يريد أن يكون مثله ومن يريد أن يحيا علي مثاله فيبدأ يقتدي به وبتعاليمه ويحفـــظ وصاياه .

إن كانت دوافعنا للاقتراب من المسيح متعددة وبحسب تعلقنا به نبدأ في اكتشاف أبعـــاد شخصيته الإلهية ، ولكننا مع كل ذلك لا نحصل علي المعرفة العميقة إلا حينما يكشفها هـــو عـــن نفسه ، والله يكشف عن نفسه لكل أحبائه الذين يقتربون إليه ويتعلقون به . فالمسيح كشف عـــن مجده علي الجبل لتلاميذه المقربين يوحنا ويعقوب وبطرس ، وبعد قيامته كشف عن نفسه مـــرات

عديدة لتلاميذه ، الله يكشف عن نفسه ليس من خلال الرؤية الحسية أو العقلية فقط ولكنه يكشف حينما يعطي الفهم الروحي كما صنع مع تلميذي عمواس وفتح أذهانهم ليفهموا الكتب .

٣- التدين المسيحي والأخلاق المسيحية :

إن معرفة الله تتطلب التزام أخلاقي بحفظ وصاياه ، ولكن ما هي وصاياه في المسيحية ؟ وهل هي شرائع أدبية وناموس أخلاقي كما كان الناموس في العهد القديم أو كما في سائر الأديان ؟

المسيحية لا تقدم ناموسا بديلا لناموس العهد القديم ولا تقدم وصايا أخري بديلة للوصايا العشر ، ولكنها تقدم لنا "المسيح" كقدوة لنسلك كما سلك ذاك ، وتقدم "المسيح" كمشرع يكتب شريعته في قلوبنا ، وتقدم "المسيح" كغاية لكل سلوك أخلاقي .

فالأخلاق المسيحية والناموس المسيحي يتحقق حينما نحيا كما عاش المسيح ونسلك كما سلك ، ونحمل نيره كما حمله ، ويكون لنا ضميره به نتحكم في كل اختياراتنا وفي كل تصرفاتنا .

أن الالتزام الأخلاقي في التدين المسيحي مختلف تماما عن الالتزام الأخلاقي لكافة الأديان الإنسانية وعن شريعة العهد القديم من حيث فهمها للشريعة والوصية ، ومن حيث أسلوبها في الالتزام بتنفيذ الوصية ، ومن حيث هدفها من الالتزام بطاعة الوصية .

كيف نفهم الوصية والشريعة في التدين المسيحي ؟

إن كان الإنسان يحتار في فهم العدالة وفهم الرحمة ويعاني في تطبيق العدالة والرحمة وجاءت الشرائع الدينية تقدم إجابات دينية توضح مفهوم العدالة وتطبيقاتها وتوضح كيف نمارس الرحمة ونفهمها ، فأن المسيحية جاءت مختلفة تماما في النظر للوصية والشريعة ووظيفتها في الحياة الروحية الأخلاقية للإنسان . وقد وضعت أساس مختلفا وجديدا للتفكير الأخلاقي ، فقد جدد السيد المسيح الوصية وقال : **وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا**

تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً.[٢٧] لقد جدد أساس التفكير الأخلاقي وجعل **المحبة أساسها وليس العدل والرحمة .**



الوصية في المسيحية ليست وليدة صراع العدل والرحمة ولكنها تعبير عن إرادة الله المحب للبشر وهي طريقنا لاختبار مشيئته والدخول في حياته (نتقدس بـه) وتحقيق محبتنا له ، الوصية هي وسيلة لقـاء المحبة بيننا وبين الله ، فهو يؤكد ويقـول : اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي».[٢٨] ولقد قدم لنا السيد المسيح المثل في التزام المحبة عند تطبيق الوصية ، فكان يقول للآب : لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك ، ويؤكد ذلك في خدمته " وَلَسْتُ أَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِي بَـلْ أَتَكَلَّمُ بِهَذَا كَمَا عَلَّمَنِي أَبِي. "[٢٩]وكان يهدف من كل عمله وخدمته علي الأرض مجد أبيـه ولم يكن يطلب مجد نفسه ، وفي نهاية خدمته قال للآب : أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ.[٣٠] وطلب من الآب : وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِـالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. [٣١]فاستجاب الآب ، فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: «مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضاً»[٣٢] .

ونحن إن أحببنا الله نمجد الله بحفظ وصاياه وهو يمجدنا ويدخلنا لحياة المجد . فالوصية هي وسيلة التقاء مشيئتنا مع المشيئة الإلهية ، ووسيلة تمجيدنا لله وكل ذلك لا يتم إلا بالمحبة ، أن نحب الله والأهم أن ندرك محبة الله في وصيته .

---

[٢٧] يوحنا ١٣ : ٣٤
[٢٨] يوحنا ١٤ : ٢١
[٢٩] يوحنا ٨ : ٢٨
[٣٠] يوحنا ١٧ : ٤
[٣١] يوحنا ١٧ : ٥
[٣٢] يوحنا ١٢ : ٢٨

أما قضية العدل والرحمة التي تورق الإنسان الأخلاقي والمتدين الملتزم لها بعدا مختلفـــا في المسيحية ، ففي المسيح وجدنا العدل والرحمة يلتقيان ولا يتصارعان ، المحبة تجمع العدل مع الرحمة ، فتجعل العدل رحيما والرحمة عادله . فالمسيح أظهر لنا عدل الله واظهر لنا رحمته في آن واحد ، فهو مات موت عادلا بسبب خطايانا ومات رحمة بنا وفدانا من الموت . فهو عادلا رحيما حينما تحمـل العقوبة وسامح وحينما أصلح فسادنا وصالحنا مع الآب .

وقد أعطانا مقياس جديدا للعدل والرحمة في معاملاتنا ، فالعدل بمقياس المحبة أن نتعامل مع الآخر ندا لنا ... نحب له ما نحبه لأنفسنا ، وصارت الرحمة بمقياس المحبة هي عطاء الحب وليســت علاج لفشل العدل ....

لقد لخص لنا السيد المسيح مفهوم العدل المسيحي حينما أوجز " فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً بِهِمْ لأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ. "[٣٣] وهذا قمـــة العـــدل في العلاقات الإنسانية ....أن تري كل إنسان **نظيرك** تماما مهما كانت ظروفه أو أحواله وأن تقاوم كل غربة وعداوة تجاه الآخر ، وأننا لا نستطيع تحقيق ذلك إلا إذا تعلمنا أن نحب الآخر ، وننمو في محبة الآخر حتى نحول الغريب إلي قريب والعدو إلي محبوب .

وعلمنا أن الرحمة هي عطاء محبة لبناء الآخر ، أنها موت من أجل خلاص الآخر " لَيْـــسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ.[٣٤] ، أن عطاء الحب يبدأ بخدمة الآخــر لسعادته وينتهي بالموت من أجل حياته ، وهذه هي الرحمة في عمقها المسيحي والذي جعل بولــس الرسول يقول " اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ." (غلاطية ٦ : ٢) .

الوصية في المسيحية هي روح وحياة وليست نصوص جـــامدة ولا قوائـــم تشـــريعية ، الأخلاق في المسيحية تعتمد علي قلب المسيحي وليس علي نص الشريعة ، فقد أوضــــح الـــرب مؤكدا : اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. (متى ١٢ : ٣٥) ، وأن كانت الأخلاق تنبع من القلب فلابد أن تكـــون الشريعة أيضا مكتوبة من القلب . لقد تنبأ الأنبياء عن عهد جديدا حينما يغرس الله وصيته في قلوب

---

[٣٣] متى ٧ : ١٢
[٣٤] يوحنا ١٥ : ١٣

الناس " «هذا هو العهد الذي أعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب، أجعل نواميسي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم» (عبرانيين ١٠ : ١٦) ، لقد غرز الرب روح الوصية في قلوبنا واذهاننا ، فكيف يتم ذلك ؟

١- الأخلاق الجيدة والسلوك الحسن يحتاج إلي دافع قوي لنرغب فيه ونقوي علي صنعه ، ولذلك سكب محبته في قلوبنا بالروح القدس[٣٥] ، فالمحبة هي قوة الدفع لكل سلوك مسيحي حسن . فمن محبتنا للمسيح نستمد قدرتنا علي محبة الناس ونسلك بما يمجد الله وبما يحقق المحبة بيننا وبينهم .

٢- كذلك وضح لنا كيف ننقي دوافعنا من الميول القلبية الشريرة الشهوة والكبرياء وأن نبنيها علي فهمنا لطبيعة الأشياء ولطبيعة الحياة فمثلا في تعاملنا مع المال يحتاج أن نفهم وظيفة المال وعلاقته بحياتنا[٣٦] ونحن الذين نحدد كيف نستثمره ونضع قواعد التعامل به في حياتنا .

٣- لقد غرزت المسيحية فينا الإحساس بالآخر والإحساس بالقيم الأخلاقية ، وهذا أهم من وضع قواعد سلوكية غير مفهوم حكمتها ولا نرغب في السلوك بها بدافع شخصي .

٤- في الأديان الإنسانية ينظر الإنسان للشرائع علي إنها اختبار ويلتزم بها المتدين أما خوفا من العقاب الإلهي أو سعيا لنوال المكافأة السماوية ، أما **الوصية في المسيحية فهي ليست اختبارا بل هي اختيارا** وهي فعل حب من أجل تحقيق الشركة مع الله والآخر ومن أجل حياة أفضل ، ونلتزم بها لأن هذه رغبتنا القلبية ، ولأننا نفهم نفعها وأهميتها لتحقيق المحبة .

٥- لقد كان السيد المسيح يسأل المتدين الذي يرغب في الالتزام قائلا : كيف تقرأ الناموس ؟ وبحسب فهمه يقول له: اِفْعَلْ هَذَا فَتَحْيَا (لوقا ١٠ : ٢٨) . الأخلاق المسيحية ليست جداول للقيم والفضائل ولا تعتمد علي سلم قيم معين ولا فضائل محدده ولا تعتمد علي الالتزام الحرفي بنصوص تشريعية محددة بل كل واحد يبدع فضائله وقيمه من المبادئ المسيحية ، أنها مثل الشاعر الذي يبدع شعره من المفردات اللغوية ومثل الموسيقي الذي يبدع ألحانه من النغمات المختلفة .

المتدين المسيحي هو الذي يبدع قيمة التي تتكون بدوافع محبة قلبية وبفهم مسيحي جيد لفكر المسيح ، أخلاقه هي أخلاق يرتاح إليها ويستحسنها ويقول عنه بولس الرسول " طُوبَى لِمَنْ

[٣٥] رومية ٥: ٥ ، ٨: ١٤- ١٦
[٣٦] لوقا ١٢ : ١٣-٣٤

لاَ يَدِينُ نَفْسَهُ فِي مَا يَسْتَحْسِنُهُ. " (رومية ١٤ : ٢٢) ويلتزم بها التزام شخصي بدافع شخصي ناتج عن علاقة حقيقية بشخص المسيح .

إن كان الله خلق الحياة فهو كذلك خلق قواعد لعملها وهذه القواعد هي وصاياه لهـــا ، كذلك نحن مدعون لنخلق حياة أفضل وأن نبدع القواعد التي تحقق لنا الحياة الأفضل . وإن كـــان أساس الوصية هو المحبة ، فالمحبة بطبيعتها خلاقة وتخلق كل جديد ، لذلك لا ينتظر الله طاعتنا بـــل حفظنا لروح الوصية وأن نبدع في سلوكنا أكثر من التزامنا بوصايا مكتوبة علي حجارة . فكـــل سلوك مسيحي لابد أن يصنع خيرا أكثر من مطابقته لنص تشريعي .

٦- أن هدف الوصية في المسيحية هو الإنسان وحياته وخلاصه ، ولقد أكد السيد المسيح هذا الأمر مرارا وتكرار وأكد أن الوصية من أجل الإنسان لا الإنسان من أجل الوصية وقال السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. (مرقس ٢ : ٢٧) .

الوصايا وضعت من أجل الحياة الأفضل ومن أجل حفظ الحياة ، فالوصايا ليست قيمتها في ذاتها بل في قدراتها علي حفظ الحياة وفي قدرتها في جعل حياتنا حياة أفضل وأن نعيشها بطريقة أفضل ، و إن كان المسيح قد جاء لتكون لنا حياة ويكون لنا أفضل فلذلك نحن نهتم **بالحياة** وبجعلها **حياة أفضل** ونستخدم الوصايا في تحقيق هذا الهدف ، فنحن لا نقدس الوصايا بل نقدس الحياة ولا نحفظ الوصايا من أجل مكسب ونفع شخصي ، بل من أجل لقاء المسيح ومن أجـــل ظهـــوره في حياتنا .

كيف نطبق الوصية ونلتزم بطاعتها في التدين المسيحي؟

يقول السيد المسيح : إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُـــوتَ السَّمَاوَاتِ[٣٧] . فإن كان التزام الفريسيين بالوصية هو التزام حرفي ، ويتم تحت ضغط الجماعة الدينية التي تريد تطبيق الشريعة لحفظ النظام والتضامن والعدالة الاجتماعية ، ويتم أيضا من أجل تجنـــب

[٣٧] متى ٥ : ٢٠

العقوبات وتحقيق المكاسب ، فليس هذا ما يريده منا الرب في التزامنا المسيحي وفي أخلاقنا المسيحية ، فما هي سمات هذا الالتزام ؟

أ- الالتزام أمانة مصلوبة وليس تمسك حرفي :

أن الالتزام الحرفي بالوصية عادة يجعل المرء يعجب بنجاحه في الالتزام ويشعر بالغرور والبر الذاتي ويزيد من كبريائه ، ويقف أمام الله ويقول له : أنا لست مثل باقي الناس[٣٨] ، فلا يبرر أمام الله وينفصل عن الناس لتعاليه عليهم .

نحن لا نصنع البر لنشعر أننا أبرار ونزيد من برنا الذاتي ، بل نلتزم لأننا أمناء للمسيح ، والتزامنا دليل أمانتنا وصدق محبتنا له . وإن كان تنفيذ الوصية يكلفنا جهدا ويتسبب لنا في بعض المتاعب والضيقات فنحن نقبل ألم الالتزام طوعيا ، ونختار أن نتألم إراديا من أجل الله ومن أجل البر ومن أجل الخير ، ونحمل الصليب طواعيا وبرغبة ووعي ، ولا نئن منه عندما يوضع علينا ونوي أن الله وضعه علينا فنقبله بفرح .

نحن نقبل آلام الالتزام لأننا نري فيها وسيلة للمشاركة في آلام المسيح ، وكما تألم من أجلنا نتألم من أجله ، ونحمل صليبه ونتبعه . فالالتزام المسيحي هو صلب مع المسيح[٣٩] ، وتكميل لشدائد المسيح[٤٠] ، وحمل لسمات المسيح في أجسادنا[٤١] .

ب- الالتزام استحسان شخصي وليس ضغط اجتماعي :

إن كانت الجماعات والمجتمعات الدينية تضغط من أجل الالتزام الديني ليتحقق العدل والسلام الاجتماعي فأن الالتزام المسيحي هو اختيار حر مبدع لتحقيق الخير والكمال والجمال . أن الشخص الذي يلتزم تحت ضغط يتحلل من التزامه أن قل الضغط عليه ، وكذلك يحاول أن يكسر الوصية ليثبت لنفسه انه حر ويتحرر من الضغوط الدينية والاجتماعية . أما الالتزام المسيحي هو

---

[٣٨] لوقا ١٨ : ١١
[٣٩] غلاطية ٢ : ٢٠
[٤٠] كولوسي ١ : ٢٤
[٤١] غلاطية ٦ : ١٧

اختيار شخصي يسعي فيه المرء ليحقق الخير والكمال والجمال بالوصية . الالتزام هو صناعة للخير وسعى لمواطن الكمال والجمال في الوصية .

ج- الالتزام محبة قلبية وليس هوي نفسي :

قد يكون الالتزام في ظاهرة مطابق للوصية والشريعة والقانون ولكن في باطنه يحمل خبثا وينوي شرا ، فما اسهل علي الإنسان أن يبرر أفعاله بتبريرات دينية ويجد وصايا تؤيد أفعاله ، فاليهود تآمروا علي المسيح واتفقوا علي قتله ووجدوا مبررات لذلك في الناموس !! ورفضوا أن يضعوا ثمن خيانته في الهيكل حتى لا يكسروا الوصية واشتروا به حقل الفخاري !! أنهم كما قال عنهم الرب يصفون عن البعوضة ويبتلعون الجمل ... ولا ينبغي أن ننسي أن الفرائض والقوانين يمكن أن تطوع بحسب هوي الإنسان ويمكن أن يستخدمها المرء لتبرير أفعاله . لذلك فالالتزام يعتمد علي الدافع قبل السلوك .

وكما أوضح الرب أن الفضائل والرذائل تنبع من القلب ، ولذا فالالتزام المسيحي هو التزام قلبي قبل أن يكون التزام سلوكي . والتحكم يبدأ في القلب وتطبيق الوصية يبدأ في وضعها في القلب والالتزام بها داخليا أولا ، ولذلك حذرنا الرب من الخطايا القلبية والنية الرديئة ومن خطورة النظرة الشريرة والزنا في القلب ، وكذلك حذرنا بشدة من الرياء وانفصال دوافعنا عن سلوكنا ، وكما ينبغي أن يكون سلوكنا صحيحا لابد أن يكون دافعه سليما .

لذلك فالالتزام المسيحي هو التزام بروح الوصية وليس بحرفية الوصية ، وإن كان روح الوصايا المسيحية هي المحبة ، فأننا بالمحبة القلبية فقط نستطيع أن نعبر عن المحبة الموجودة في الوصايا . وإن ملأ الهوى قلبنا فأننا نوظف الوصايا ونتمسك بحرفها لنحقق هوانا لا إرادة الله ، ونظهر كأبرار ونحن أشرار ، ونكون كقبور مبيضة من الخارج ومن الداخل مملوء كل نجاسة ونتانة .

د- الالتزام كمال مبدع وليس إتمام واجب :

لا يكفي في الالتزام المسيحي أن تتم الوصية كما يتم تلميذ واجباته ، بل أن تكون كاملا مثل تلميذ يسعي للتفوق وليس النجاح . يوصي المسيح : **كونوا أنتم كاملين** كما أن أباكم الذي

فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ. [42] فالالتزام في المسيحية سعى للكمال وأن يكون التطبيق متكامل ، والكمال في الأخلاق المسيحية هي أن يكون سلوكنا بدافع نقي ، وبأسلوب مبدع وينجح في تحقيق غرض اختياره .

فلا يكفي في السلوك المسيحي أن تكون دوافعك نقية ، ولا أنك تبذل الجهد ليكون سلوكا يحقق الخير ، بل لابد أيضا تنجح في تحقيق الخير . فنحن نسعى في طريق الكمال المسيحي أن ننقي دوافعنا ، ونبدع في اختياراتنا ، وننجح في صنع الخير .

أننا لا نكتفي أن نصنع أفضل ما عندنا ، بل أن **ننجح في صنع الخير**[43] ، فالله لم يعطينا روح الفشل بل روح النجاح وهو ينتظر ثمارنا أي نجاحنا . لذلك الالتزام المسيحي لكي ما يكون كاملا فهو يحتاج إلي جهاد قلبي لتنقية الدوافع ، ويحتاج إلي جهاد ذهني لنحسن اختياراتنا ، ووعي للواقع لننجح في تطبيق الوصية .

ما الذي نهدف إليه من التزامنا بوصايا المسيح ؟ وما هي المجازاة التي ننتظرها من وراء التزامنا بالوصية ؟

من البديهي أن ننتظر مجازاة ومكافأة من وراء سلوكنا وسعينا الأخلاقي والتزامنا بالوصية ، فالله سوف يجازي كل واحد بحسب أعماله ، وهناك من يدخل إلي أفراح الله وهناك من يطرح في العذاب الأبدي . ولكن فهمنا للمجازاة والمكافأة مفهوم مختلف عن العهد القديم وعنه في الأديان الإنسانية .

يعتقد البعض أن المكافأة الإلهية تقاس بالجهد البشري المبذول في حفظ الوصايا ، ولكن الحقيقة أن الأمر متعلقا بالهدف الذي نسعى من أجله وبمدي توافقه مع محبة الله . فإن كان الشخص يصنع البر بحثا عن منافع أرضية ويبحث عن المجد والشهرة والاعتراف بالجميل أو المصلحة ، فأنه يأخذ أجره علي الأرض ويستوفيه (متى ٦: ١– ١٨، لوقا ١٤: ١٢– ١٤، ١ كورنثوس٩: ١٧– ١٨) ولكن المسيحي الحقيقي مكافأته هي المسيح ورجاءه أن يدخل إلي فرح سيده وشركة محبته .

---

[42] متى ٥ : ٤٨

[43] غلاطية ٦ : ٩

وهو يعلم أن المسيح فقط هو الذي يدخله إلي مجده وأن الدخول للمجد هو عمل نعمته وليس أجرا نظير برنا أو جهدنا .

أننا لا نسعى لمكافأة شخصية برغم أن مصيرنا هو مسئولية شخصية ، ولكننا نسعى للوصول للمسيح وللحياة الجديدة في المسيح ، ولذلك نلتزم بمبدأ المسيح للوصول لهذه الحياة فهو علمنا " من أضاع حياته وجدها " ، فتطبيق الوصية يسير بنا نحو الصليب والموت وهنا نلتقي بالمسيح مصلوبين معه بإرادتنا ، ومن ثم فهو يقيمنا معه ويجلسنا معه في السماويات . أن تطبيق الوصايا وحفظها وكل إبداع في أخلاقنا هي طريق لقاءنا بالمسيح ، الذي فيه نجدد حياتنا ونحيا الحياة الجديدة ، وفيه أيضا نكون جددنا بأعمالنا الحياة وتجددت حياتنا في حياة الناس .

أننا لا نسعى لمكافأة شخصية ولكن لخير عام ، لخلق الحياة الجديدة ، فالمحبة التي هي أساس أخلاقنا هي بطبيعتها خلاقة ، فالمحبة تولد المحبة في قلوب الآخرين ، ونحن نحب الأخوة ونعطيهم حياتنا ليحيوا بها ونعطيهم اختبار محبة الله الذي في قلوبنا ليحيوا معنا في محبة الله . أن المكافأة الحقيقية التي يسعى إليها المسيحي هي تأسيس ملكوت الله وتحقيقه ، وتوليد الحياة المسيحية في قلوب الناس وتحقيق الحياة الأفضل ، وهذه قمة سعادته وفرحه ، ولذلك فأن أخلاقنا المسيحية هي إبداعنا ومساهمتنا في تحقيق هذه الحياة الجديدة .

أن أعمق هدف وأعظم مكافأة يجاهد من أجلها المسيحي هي **شخص** المسيح ، أن يكون مثله[٤٤] ، فهو يريد أن يلبس المسيح[٤٥] ، ويحمل سمات المسيح[٤٦] ، أننا نسعى بجهادنا وبرجائنا فيه أن نحيا حياته وأن يظهر فينا ، ونتمتع بمحبة أبيه وسكنى الله فينا .

٤- التدين المسيحي والثقة الإيمانية :

إن كان الإنسان بطبيعته الدينية يحتاج أن يثق في أمور ويجعلها مقدسات وثوابت في حياته ومنها يبدأ يستمد رسالته في الحياة ويجد غاية يحيا من أجلها ، وتحاول الأديان تنمية هذه الثقة وتحديد ثوابت ومقدسات توضح له غايته في الحياة وتضع له رسالة يحيا من أجلها ، فأن المسيحية لها

---

[٤٤] ١ يوحنا ٣ : ٢
[٤٥] رومية ١٣ : ١٤
[٤٦] غلاطية ٦ : ١٧

خصوصية في تنمية الثقة الإيمانية لدي الإنسان وفي فهمها للمقدس والمقدسات ورسالة الإنسان في الحياة . لقد حصرت المسيحية الأمر كله في شخص المسيح ، فالتدين المسيحي ينمي الثقة في شخص المسيح ، ويصير المسيح هو **المقدس** وهو **الذي يقدس** وكل المقدسات في المسيحية هي مقدسة لارتباطها بالمسيح ، وكذلك يحدد التدين المسيحي المسيح كهدف للحياة وغايتها وأن يكون هو رسالتنا التي نسعى لتحقيقها .

كيف تنمي الثقة الإيمانية في التدين المسيحي ؟

يحتاج الإنسان أن يثق في مبدأ أو في الحياة أو في شخص ومن هذه الثقة التي يرتكز عليها يبدأ تكوين رسالته في الحياة ، ولكن المبادئ بطبيعتها تتعارض ، والحياة حقيقتها غامضة والأشخاص دائما يتغيرون ، ولذا يحتاج المرء أن يثق في ما هو أكثر ثباتا ، وأكثر وضوحا ، وأكثر فهما ، ولذا ففي المسيحية تبني الثقة في شخص المسيح وليس في مبادئ وتعاليم مسيحية ، وتبني الثقة في شخص المسيحي وليس في حياة مسيحية ، فهي لا تقدم مبادئ أو تصور معين للحياة وتحاول أن تجعل الناس أن تقتنع وتصدق وتؤمن أن ذلك هو أفضل أمر للحياة ولكنها تقدم شخص المسيح وتدعونا أن نثق فيه ، فالمسيح هو كلمة الله وفيه نتعرف علي كل مبادئ الحياة وقيمها التي يمكن أن نحيا من أجلها ، ومع شخص المسيح نحيا الحياة بكل أبعادها – الحياة الحاضرة والحياة الأبدية ، وفي المسيح ندرك كل ما هو خير وصالح وطاهر في الحياة ، وفي المسيح نري كل أمور الحياة تعمل معا للخير ، وفي المسيح نجد الشخص الذي لا يتغير حتى وإن تغيرنا نحن .



الثقة في المسيحية ثقة مثلثه ، نثق فيه لأننا نؤمن به ، ونثق فيه لأنه رجاءنا وغايتنا ، ونثق فيه لأننا نحبه .

الثقة في المسيحية لا تبني علي الإيمان فقط بل علي الرجاء والمحبة أيضا ، فنحن لا نثق في شخص المسيح لإيماننا بلاهوته وبعمله الخلاصي من أجلنا فقط ولكن لأنه رجائنا .. وفيه وبه نحقق كل أحلامنا .. وفيه نجد غاية حياتنا ، ولأنه أيضا

يحبنا ويسكب حبه في قلوبنا ، فنحن ننجذب إليه ونحب أن نرتبط به ونتحد به وندخل في شـــركة محبته .

الثقة في الأديان الإنسانية ثقة ذهنية روحية يغصب الإنسان نفسه عليها ، أمـــا الثقـــة في التدين المسيحي هي وليدة اختبارات إيمانية تتراكم في القلب ، فيها ننفتح أولا علـــي وعـــود الله ودعوته فنثق فيها ونبدأ نحيا بها وعليها حتى يملأنا الفرح الروحي ، ثم نبدأ نختبر حياة التسليم ونتعلم فيها تسليم المشيئة لله وتوفيق مشيئتنا مع المشيئة الإلهية بالمحبة ، حينئذ ينفتح القلب بانسكاب نعمة الإيمان وتنكشف له الأسرار الإلهية فيحيا باليقين الإيماني ويبدأ يختبر قوة الإيمان وسر الحياة الأبدية .

التدين المسيحي عندما ينمي علاقتنا بشخص المسيح ، نستطيع أن نري فيـــه وعـــود الله وكيف تتحقق ، ولذا نحن نثق في وعوده ، كذلك في المسيح نري كيف يحقق وعوده بالخلاص لنا فنتمسك بها ونبدأ نحياها . كذلك عندما تنمو شركة محبتنا للمسيح نبدأ في اختبار حياة التســـليم ونبدأ نختبر تسليم المشيئة وتوفيقها مع المشيئة الإلهية . وحينما ننمو أكثر في الإيمان وينكشف لنا سر المسيح كما كشفه الآب لبطرس[٤٧] وندخل في سر معرفته العميقة ونأخذ من قوته ومن شخصه ما يجعلنا نحقق مشيئة الله علي الأرض ونحقق ذاتنا في آن واحد .

كيف نفهم المقدسات في المسيحية ؟

احتارت الديانات والفلسفات في تحديد من هو المقدس الذي ينبغي أن يرتبط به الإنسان ويتوجه نحوه ، والبعض حدد المقدس في المجتمع أو الإنسان نفسه أو المطلق ، ولكن في المســـيحية المقدس الثابت الذي نرتبط به ونتوجه نحوه هو المسيح ، ففي المسيح نري الآب ، ونـــري أنفســـنا صورة له ، ونرى المجتمع كنيسته وجسده . ففي المسيحية لا نعاني من مشكلة في تحديد توجهنا في الحياة ولا تتعدد اتجاهاتنا ، فنحن عندما نجعل المسيح هدف ثابت نتوجه نحوه ، نجد أنفسنا نتوجـــه نحو الآب ، وفي الوقت نفسه نتوجه نحو أعماقنا لنري المسيح فينا ، ونجد أنفسنا نرتبط بالناس ونري فيهم المسيح ونكون معا جسده .

---

[٤٧] متى ١٦ : ١٧

المسيح المقدس والثابت في حياتنا ، وهو مرساة للنفس مؤتمنة وثابتة[48] بحسب تعبير بولس الرسول فحينما نتمسك به ندخل في خضم الحياة بقلب ثابت وبرؤية ثابتة فنستطيع أن نحقق كل أحلامنا وطموحنا بثقة وهدوء ونجاح .

وإن كانت الأديان عرفت المقدس أنه هو من يجد فيه الإنسان خلاصه ويحقق سعادته ، إن كان الإله المطلق أو المجتمع أو الذات ، فإن المسيحية أكدت أن الذي يحقق خلاصك وسعادتك هو شخص المسيح ، فالمسيح خلصنا بالصليب ويعطينا الحياة الأبدية . فالمتدين المسيحي لا يصارع مع نفسه ليحقق خلاصه ولكنه يطلب خلاصه بتعلقه بشخص المسيح المخلص ، ولا يأمل من الناس والعالم خلاصا وحلا لمشاكله وصراعاته ولكنه يتقوي بالمسيح وبالكنيسة جسده التي تقويه بنعمة الأسرار وبمشاركة أعضاء المسيح ، وهو لا ينتظر خلاصا لا يفهمه ويحاول أن يتصوره بل يعرف مما خلصه ويخلصه المسيح .

كيف نفهم رسالتنا في الحياة في المسيحية ؟

أن وجود مقدسات وثوابت هي الركيزة التي بها يحدد عليها الإنسان غايته في الحياة ويتصور دوره في الحياة ويبدأ في السعي لتحقيقها . فالغاية من وجود المقدسات والثقة فيها مساعدة الإنسان أن تكون له غاية وهدف يحيا من أجله وتكون السعادة نصيبه النهائي .

في التدين المسيحي ، السعادة هي غاية الحياة ولكنها ليست سعادة مؤجلة نحصل عليها في الحياة الأخرى بعد الموت مكافأة لبرنا ، وليست سعادة مثاليات وسراب يسعى الإنسان نحوه ولا يحققه ، ولكنها سعادة تبدأ الآن وتمتد نحو الأبدية ، وسعادة أنت تبنيها بنفسك بالمعونة الإلهية وعمل النعمة . ففي المسيحية الحياة الأبدية تبدأ في القلب من الآن "هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُم" لوقا ١٧ : ٢١ ونؤسسها علي الأرض ونمتد بها حتى الأبدية . أن سر السعادة في المسيحية يكمن في المسيح ، فكلما عشنا في المسيح وكان المسيح غايتنا ورسالتنا في الحياة نلنا سعادتنا الحقيقية .

---

[48] عبرانيين ٦ : ١٩

يقول بولس الرسول " لي الحياة هي المسيح "[٤٩] فحين تكون الحياة محورها المسيح فهذا يعني ثلاثة أمور نحقق بها سعادتنا في المسيح .

الأول: أن نحقق ذواتنا في المسيح ، فنحن في الحياة نسعى أن تتطور شخصياتنا ، وحينما يكون المسيح مثالنا الذي نريد أن نكون علي صورته ، فأننا ننجح في تغيرنا لنكون علي صورته بعمل الروح القدس فينا .

الثاني: في المسيح تكون كل أعمالنا لمجد الآب ، فكما كان المسيح في خدمته علي الأرض يسعى لمجد الآب هكذا نحن عندما تصير غاية حياتنا هي مجد الآب ، فتتحول كل أعمالنا لمجد الله فيصير لها معني وغاية .

الثالث: في المسيح نحمل معه الصليب من أجل خلاص العالم ، فرسالتنا في الحياة خلاص الناس ، وأن يكون لهم حياة ويكون لهم أفضل ، فنحن لنا رسالة في العالم أن نسعى لنحسن الحياة ونقدم حياتنا ليحيا بها الآخرون .

٥- التدين المسيحي وشركة الله :

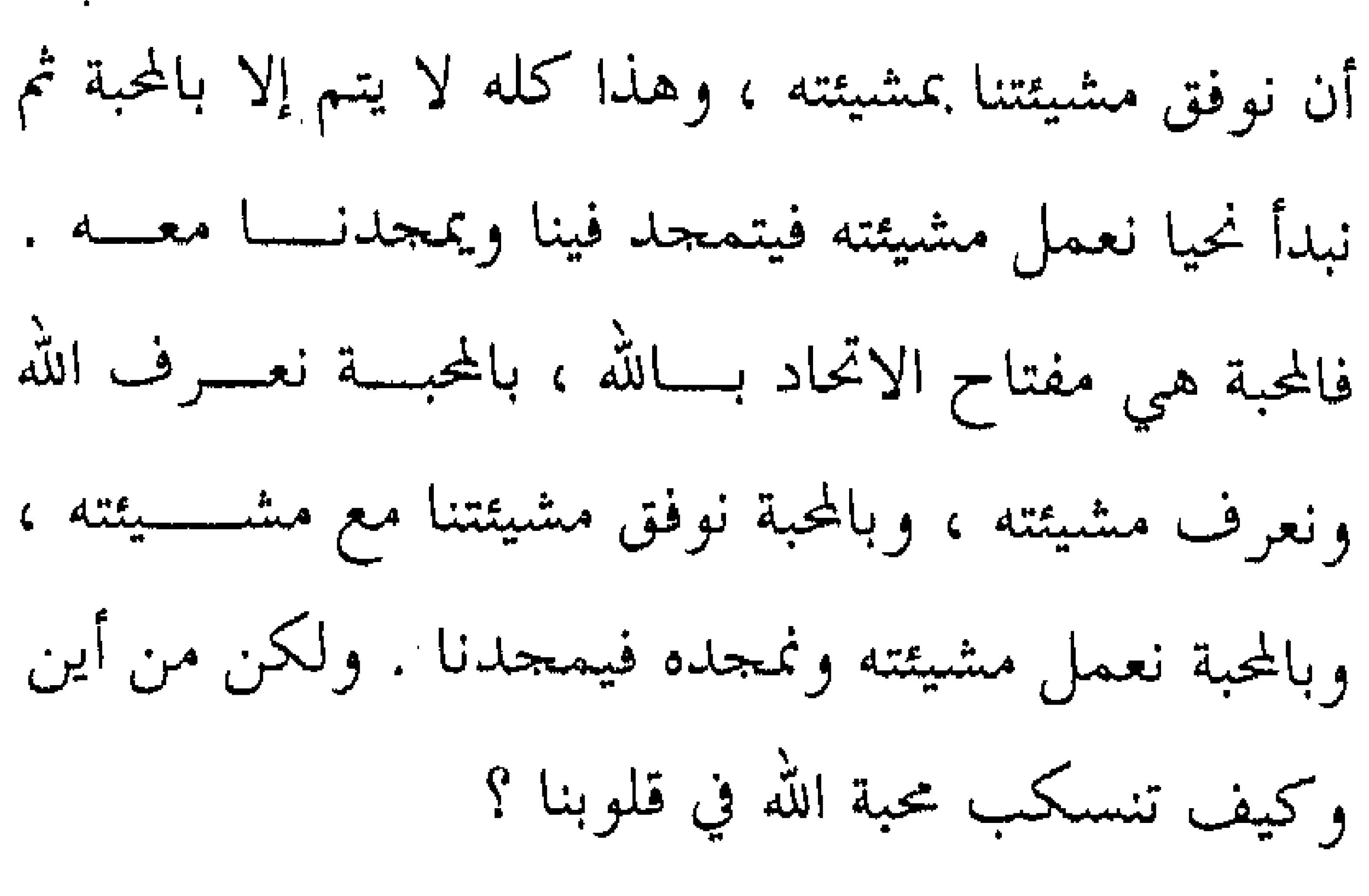
إن كان الإنسان في أعماقه يسعى للاتحاد بالله والوصول لحالة الكمال ومعرفة الحق ، ولذا يلجأ للطرق التصوفية ليختبر معرفة الله وليصل لحالة الاتحاد بالله . فالتدين المسيحي يشجع هذا الشوق وينميه في الإنسان ليس في المراحل المتقدمة من تدينه ولكن منذ بداية دخوله في الطريق الروحي . وإن كانت الرهبنة وطرقها التصوفية النسكية هي للخاصة من المتدينين ولكن في التدين المسيحي تتحقق هذه الأهداف بطرق بسيطة وعميقة جدا لكافة المتدينين ... فكيف يتحقق ذلك ؟

أن سر الاتحاد بالله والوصول لحالة الكمال والحرية في التدين المسيحي يكمن في خبرة **الثبات في المسيح** ، فهو الذي يدخلنا في شركة الآب وهو الذي يجعلنا نصل لحياة الكمال والبساطة . ولذا فأن تدينا المسيحي يدفعنا لتنمية علاقتنا بالمسيح حتى ما نثبت فيه بل ونحيا به .

[٤٩] فيلبي ١ : ٢١

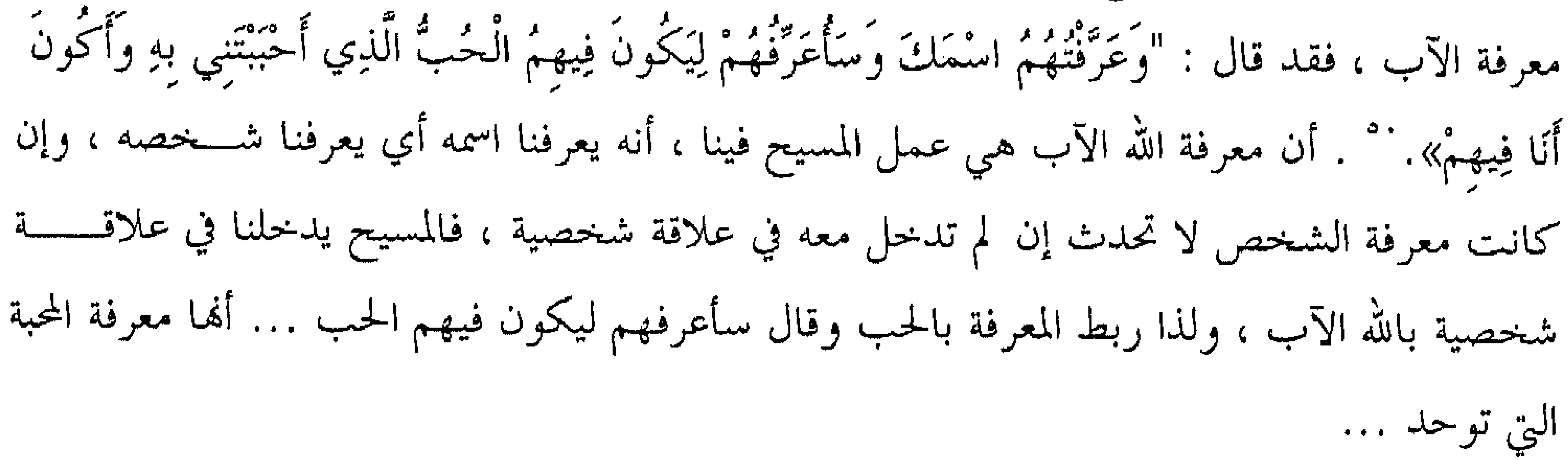
كيف يدخلنا المسيح لحالة الاتحاد بالله ؟

حتى ما ندخل في حالة الاتحاد بالله ، فلابد أن نعرف الله أولا ونعرف مشيئته ، ثم نرغب أن نوفق مشيئتنا بمشيئته ، وهذا كله لا يتم إلا بالمحبة ثم نبدأ نحيا نعمل مشيئته فيتمجد فينا ويمجدنا معه . فالمحبة هي مفتاح الاتحاد بالله ، بالمحبة نعرف الله ونعرف مشيئته ، وبالمحبة نوفق مشيئتنا مع مشيئته ، وبالمحبة نعمل مشيئته ونمجده فيمجدنا . ولكن من أين وكيف تنسكب محبة الله في قلوبنا ؟



المسيح هو الذي يسكب المحبة في قلوبنا بالروح القدس ، ونحن أن ثبتنا قلوبنا في محبة المسيح ، أدخلنا في طريق شركة الله وثبتنا في محبته .

كلما ثبتنا في المسيح كلما أدخلنا إلي سر



معرفة الآب ، فقد قال : "وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ».[٥٠] . أن معرفة الله الآب هي عمل المسيح فينا ، أنه يعرفنا اسمه أي يعرفنا شخصه ، وإن كانت معرفة الشخص لا تحدث إن لم تدخل معه في علاقة شخصية ، فالمسيح يدخلنا في علاقة شخصية بالله الآب ، ولذا ربط المعرفة بالحب وقال سأعرفهم ليكون فيهم الحب ... أنها معرفة المحبة التي توحد ...

معرفة الله في المسيح تدخل الإنسان في شركة محبة ، عكس المعرفة الروحية في الأديان الإنسانية والطرق الصوفية التي تدخل الإنسان في حالة الانبهار والذهول والفناء . ففي التدين المسيحي ومن خلال المسيح لا نسعى معرفة الله كمطلق ولكن كشخص إلهي نحبه وندخل معه في شركة محبة .. يعرفنا ونعرفه .

أن معرفة الآب معرفة مستمرة لا تتوقف ولذا يقول السيد المسيح " عرفتهم وسأعرفهم " فمعرفة الله ليست نهاية طريق كما في الطرق التصوفية ، ولكنها حياة تنمو باستمرار وليس لها نهاية ، وحب يتجدد وينقلنا من حال إلي حال ومن خبرة إلي أخري إلي ما لا نهاية .

---

[٥٠] يوحنا ١٧ : ٢٦

ولذلك المتدين المسيحي يدخل إلي حالة الاتحاد بالله من بداية طريقه الروحي ، وكلما ثبت في المسيح وضع فيه المسيح معرفة عن الآب ، وكلما تقدم روحيا زادت هذه المعرفة وزاد الحب وتقوت شركة المحبة بينه وبين الآب .

كلما ثبتنا في المسيح كلما أدخلنا في سر معرفة مشيئة الآب ، فإن كان الإنسان يجهل مشيئة الله أو يخاف من تعارضها مع مشيئته ويشعر في بعض الأحيان أنها تكبل حريته ، فأنه في المسيح يبدأ الإنسان يفهم مشيئة الله كتعبير عن محبة الله من نحوه ، ويبدأ يختار مشيئة الله عن حب لتكون مشيئته . وأعطانا المسيح نفسه مثالا "لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي"[51] ولذا هو يحفزنا أن نكون مثله قائلا "لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»"[52]. وقد علمنا أن نطلب مشيئة الله ونصلي قائلين "لتكن مشيئتك" .

أن سر الاتحاد بالله يكمن في توافق إرادتنا الحرة مع المشيئة الإلهية عن حب ، فالله يعلن مشيئته لنا لأنه يحبنا ومشيئته لنا هي تعبير عن عمل محبته من أجلنا ، ونحن لأننا دخلنا في شركة محبته في المسيح لا نخشى إرادته من نحونا ونتفهم محبته لنا ونقبل عليها بكل قلوبنا ، وتبدأ مشيئته تتناغم وتتضافر مع إرادتنا الحرة ورغباتنا المقدسة فتكون مشيئة واحدة تعبر عن شركة المحبة الإلهية الإنسانية وتفصح عن عمقها .

الاتحاد بالله في المسيحية ليس بحالة باطنية ولكنها حالة تقوية ، ليست اختبار صوفيا وجدانيا ولكنها حالة حياة وعمل ، نعمل فيها أعمال الله بحسب رؤيته ، ونعمل أعمال الله بقوته ، ومحبة الله تتدفق فينا لتخلق وتجدد الحياة وتوحدنا بالناس . فدلالة الإتحاد بالله هي أن نعمل أعمال الله ، ولذلك من خلال ثباتنا في المسيح نقدر أن نعمل أعماله " اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي."[53] ونعمله بقوته

---

[51] يوحنا ٦ : ٣٨
[52] مرقس ٣ : ٣٥
[53] يوحنا ١٤ : ١٢

ولذلك فهو يدعونا أن نثبت فيه كما تثبت الأغصان في الكرمة ويقول : الذي يثبت في وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا." [٥٤]

كيف يصل بنا المسيح إلي حالة الكمال والبساطة ؟

من خلال ثباتنا في المسيح نصل لحالة الكمال والاكتمال ونحيا حياة البساطة والحكمة التي نروق إليها ، فالمسيح نفسه يدعونا لحياة الكمال ويقول : كونوا كاملين " ويدعونا أيضا لحياة البساطة والحكمة ويقول " كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. "[٥٥] .

إن كان في الطرق التصوفية وفي الأديان الإنسانية ، الكمال الذي يسعى إليه المتدين هو كمال الذات ، والبساطة هي معرفة الحقيقية الكلية .. والحكمة تناغم معها ، فأن الأمر مختلف في المسيحية ، فالكمال ليس كمالا للذات ولكنه تكامل مع الآخر في المسيح ، والبساطة ليست حالة ذهنية ولكنها اختبار رؤية المسيح كحقيقة موحدة للحياة .. والحكمة أن أتعامل مع المسيح الذي في الآخر .

الكمال في المسيح هو أن ننفتح علي الآخرين ، فالمسيح يساعدنا علي تجاوز الذات والانفتاح نحو الآخرين ، ففي كل مرة يعطينا سر معرفته يطلب منا أن نتجاوز ذاتنا ونفتح قلوبنا علي الآخرين فعندما ظهر لتلاميذه بعد قيامته قال لهم أذهبوا إلي الأمم وبشروهم ، وقال لبطرس أتحبني ارع غنمي . فمن اختبر محبة الله واتحد به ينفتح تلقائيا علي الناس ويرغب أن يختبر الناس ما اختبره من حميمية العلاقة ، فينطلق يشعل محبتهم بنار محبة الله ويدعوهم للدخول في شركته ، فالمحبة لا تغلق علي ذاتها ، فلا تغلقك محبة المسيح علي ذاتك ، ولا حتى علي الله ، بل تفتحك علي الآخرين بالمحبة التي اكتسبتها منه ، فمحبة الله ومحبة القريب هي واحدة وخدمة الله وخدمة الآخر هي خدمة واحدة ، وهنا تبدأ تختبر سر الكمال الذي يكمن في المحبة الإلهية .

البساطة في المسيح هي أن تري المسيح في كل إنسان ، وتدرك سر المسيح الذي وحد نفسه بالآخر وقال كل ما صنعتم بأحد هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم . أن تري المسيح في أحبائك , وفي أخوتك ، وفي الغرباء ، والضعفاء والمساكين ، وفي كل محتاج ، وأن تعطي المسيح الذي فيهم ،

---

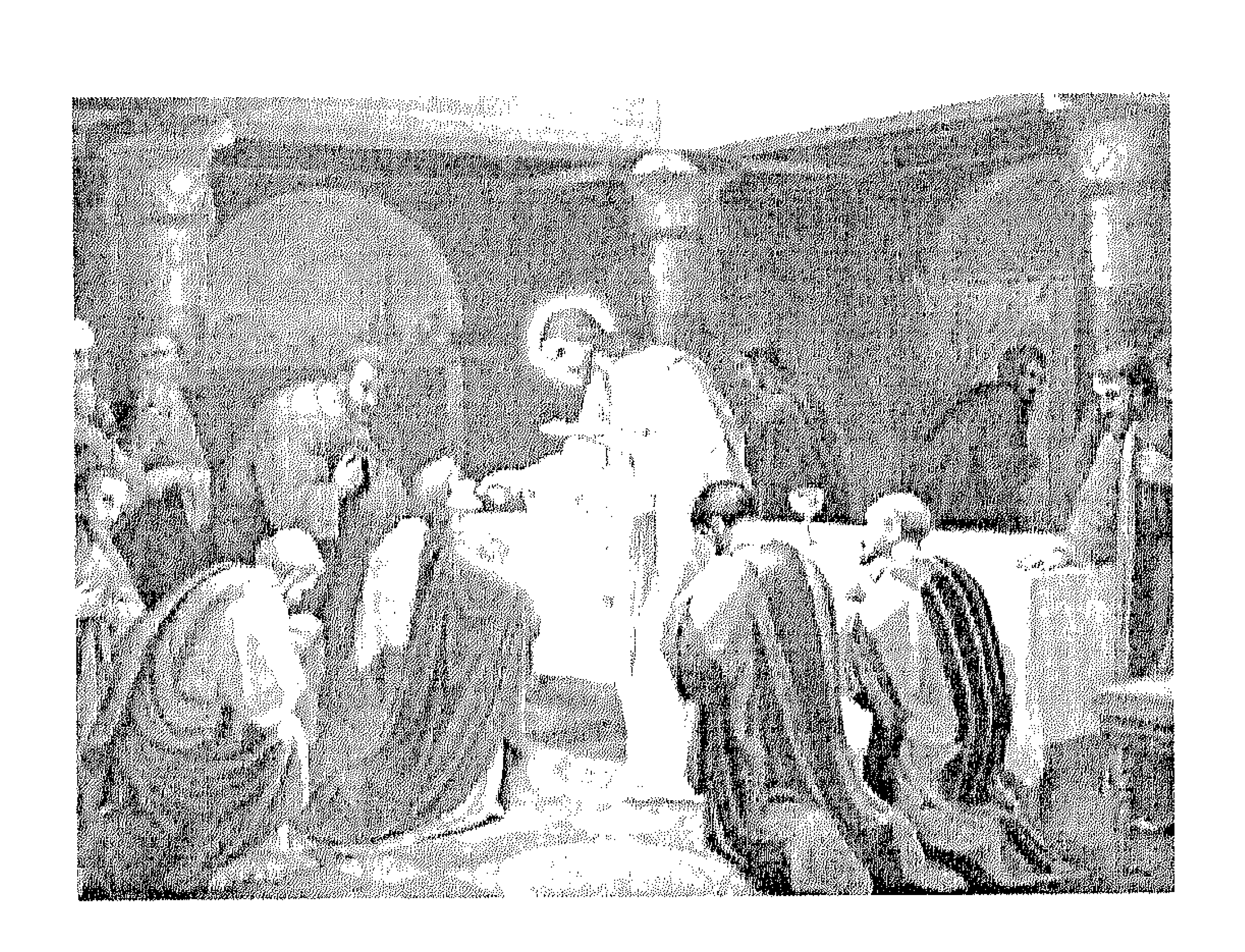
[٥٤] يوحنا ١٥ : ٥
[٥٥] متى ١٠ : ١٦

وتأخذ من المسيح الذي فيهم . البساطة أن تري المسيح علي وجوه الناس , والحكمة ليست أن تسأل أحد من أنت بل أن تركز لتري المسيح الذي فيه .

كيف نثبت في المسيح ؟

الثبات في المسيح عمل إلهي إنساني ، نجتهد لنثبت فيه وهو يثبتنا فيه بعمل نعمته ، فالثبات في المسيح لا تنجح فيه التمارين والتدريبات الروحية ولا تفرضه نعمة الله علينا . نحن نجتهد لنظهر استعدادنا بالسهر والانتظار والاتجار بالوزنات وهو يأتي إلينا ليدخلنا في سر فرحه .

في تدينا المسيحي يتم الأمر بفعل تصوفي بسيط ، وهو أن نأكل المسيح فيثبت فينا ونحن فيه . فهذه هي دعوته من يأكلني يحيا بي ، فنحن نتقدم لنتناوله ونظهر استعدادنا لذلك بالتوبة والصلاة ، وحينما نتناوله يعمل سرا فينا بنعمته ويثبتنا فيه ، أنه العمل النسكي السري الذي نكرره باستمرار إلي أن يتصور المسيح فينا .



احترس من أمراض التدين

أن تأكل فهو أمر طبيعي ولكن ماذا تأكل وكيف تأكل فهو أمر يعتمد علي وعيك لمفهوم الصحة فتعرف كيف تختار الطعام الصحي ويعتمد علي شخصيتك فتأكل بما يتناسب مع شخصيتك ورغباتك وميولك . هكذا التدين أمر طبيعي عفوي ولكن صحة تدينك يتوقف علي وعيك وصدق تدينك يتوقف علي صدق شخصيتك . وإن كنا نمرض حينما نخطئ في طريقة أكلنا وبسبب سوء اختيارنا لنوعية طعامنا ، فأننا هكذا نمرض روحيا حينما نخطئ في ممارسة تديننا وبحسب ما نغذي به معتقداتنا .

من الملاحظ أن مظاهر التدين في مجتمعنا في ازدياد مطرد ويتفاعل مع تديننا المسيحي ويؤثر عليه سلبا وإيجابا ، ولذا وجب أن نرصد حالة التدين في مجتمعنا المعاصر ونفهم ملامح هذه الظاهرة وكيف تؤثر علي صحة تديننا ؟

كذلك كان من المفترض مع انتشار التدين في المجتمع أن يزداد المجتمع انضباطا وتماسكا وتزداد القيم الأخلاقية الإيجابية ويزداد التفاني في العمل وتروج حالة الابتكار والتجديد ولكن مع الأسف أن العكس هو الحادث ، فمع ازدياد التدين ازداد العنف والتفكك المجتمعي والأسري وتدني قيم الالتزام والعمل والابتكار والتجديد والتطوير ، وزيادة الدعوات الأصولية والسلفية .

كما يلاحظ في مجتمعنا انتشار التدين الغيبي الذي يحاول أن يغرق الناس في العبادات والاحتفالات الدينية وتفريغ العبادة من مضمونها وهدفها الروحي ويصاحب ذلك انتشار المفاهيم

الدينية الغيبية والقصص الخرافية ، كذلك يلاحظ تغلغل الدين في الحركة السياسية للمجتمع وازدياد نفوذ رجال الدين وشعبيتهم وتأثيرهم السياسي .

أن أخطر ما يعاني منه التدين الحالي في مجتمعنا هو العنف والتغيب والاستغلال السياسي للدين ، ثم تأتي أمراض التدين الأخرى المظهرية والحرفية والتعصب وانحرافات التدين الفكرية والطقوس الشعبية .

لنناقش ظاهرة التغيب الديني وظاهرة استغلال الدين وانحراف التدين نحو العنف لنعرف كيف نقي تدينا من هذه الأمراض ونحاول أن نناقشها لنجد حلول روحية ومجتمعية لها .

١ – التغيب الديني

أن التدين يصير مريضا حينما يعمل علي تعطيل العقل عن أن يكون له دور في حياتنا عامة وخاصة حياتنا الروحية .

ما هي ملامح انتشار الفكر الديني الغيبي في المجتمع ؟

لقد انتشر في المجتمع شعار الدين هو الحل وأننا نحل مشاكل دنيانا بالدين ، وهذا الشعار مع واجهته إلا أنه يحمل خلط خطير افسد تدين كثيرين وافسد المجتمع ، أنه يدعو أن نحل مشاكلنا بالتدين ولكنه لم يحدد كيف يمكن أن يتم ذلك وترك الأمر في المفهوم المطلق ، وترك لكل واحد أن يفهمه كيفما شاء ويطبقه بالوسيلة التي تحلو له ، فكانت الكارثة الروحية علي الناس . لقد ظن كثيرين أن معتقداهم كفيلة بحل مشاكلهم وإن الإيمان يحل المشكلات ؟! و لم يعرف الناس إن الإيمان السليم يودي إلي النمو الروحي الذي يزيد من استنارة العقل ويساعد علي اكتساب الحكمة التي نستخدمها في حل المشكلات ، لقد تحول الناس من توظيف الاعتقاد الديني كقوة روحية تساعد علي نهضتهم الروحية إلي توظيفها لحل مشكلاتهم .

مع تزايد المشكلات الاقتصادية وما يصاحبها من انتشار الظلم الاجتماعي ظن الناس أن الحل في الدين وبدأ يتزايد طلب الناس لوجود حكومة دينية ظنا منهم أن رجال الدين سوف يكونوا

مثل الرسل والقديسين أمناء وعادلين وأهم سوف يفرضون الفضائل علي الناس والأخلاق علي المجتمع وسوف يحكمون بالشرائع الدينية فيتحقق العدل ويسود... وبذلك تنتهي مشاكل الفقر والظلم الاجتماعي ، انه تبسيط مخل في التفكير وتغيب عقلي يعقد عمل المجتمع في مواجهة مشاكله .

مشاكل الفقر لا تحل بالفضائل كالبر والإحسان ولكنها تحل بالتفكير العلمي والعمل الجاد ، والظلم الاجتماعي لا يحل بالدعوة للفضيلة ولكنه صراع سياسي يحتاج شخصيات سياسية تؤمن بالعدالة وتبذل الجهد لتحقيق هذه العدالة في أرض الواقع أو تقريب الواقع نحو العدالة المنشودة .

لو كان الدين هو الحل كما يدعي البعض فكان من المتوقع مع ازدياد التدين وتفاقم الأزمات الاقتصادية أن يقوم المتدينين بالإكثار من الأنشطة الخيرية التي تهتم بالطبقات الفقيرة لتخفيف معاناتهم ولكن ما الذي حدث في الواقع .. لقد انتشرت الأنشطة الاجتماعية والرأسمالية الدينية تحت مسميات دينية وخيرية وظلت في حقيقتها أنشطة رأسمالية تهدف للربح وتستغل الشعار الديني فقط في الترويج لها .

أن صراع فئات المجتمع المختلفة يساعد علي تفعيل أدوار هذه الفئات في المجتمع وتحديد واجباتها ويساعدها علي أخذ حقوقها . ومن المؤسف أن الفكر الغيبي أفسد هذا الصراع الصحي وحاول أن يفرض أفكار غيبية أصولية تحجم دور المرأة وتخرجها من الصراع حول حقوقها وواجباتها في المجتمع ويمنعها من المشاركة المجتمعية والسياسية ويحاول تثبيت ثقافة ذكورية أصولية .

حتى تعامل الناس مع مرضهم انتشر فيه التغيب وأصبح الناس تعتمد علي الاعتقاد في طلب الشفاء ، فبدل من أن يبحث الناس عن علاج أمراضهم عند الأطباء أصبحوا يطلبونه من أدعياء العلم ورجال الدين ، لذلك نجد في المجتمع ينتشر بسرعة الطب البديل والطب الديني والعلاج بالأعشاب والعلاج بالصلاة والدهن بالزيت وانتظار المعجزات . إنه نوع من الطب يعتمد علي الاعتقاد ويعتمد علي الأساطير والمعتقدات الدينية — أنه حل غيبي لمشاكل خطيرة ويعمي المجتمع عن مواجهة المشاكل الصحية ، فلقد أصبحت تكاليف العلاج باهظة وليست في متناول الغالبية العظمي من الناس ، كذلك عدم وعي العامة لمشاكل البحث العلمي وتكاليف البحث للوصول لطرق

علاجية وأدوية جديدة مؤثرة للأمراض وكيف أن الأمر يحتاج تكاتف الجميع وراء هـــذا البحـــث العلمي .

لقد زاد تعلق الناس بالمعجزات وقصص المعجزات والحلم بحدوث معجزات لهم ، هـــــذا الأمر يغيب الناس عن واقعهم ويخرجهم إلي عالم الأوهام ويبلد حسهم للواقع ويعطـــل إدراكـــهم لمشاكلهم ، ويضعف من قدراتهم علي التفكير المنطقي ، ويعطل وصولهم لحلول حقيقية لمشاكلهم .

أنه بديل ديني للمخدرات التي تذهب بالعقل فلا يشعر المرء بمشاكله وتخفف من معاناتـــه وقتيا وعندما يفيق يجد أن مشاكله مازالت موجود وتفاقمت فيهرب إلي المزيد مـــــن المخـــدرات لينفصل عن الواقع وعن مشاكله وهكذا يصير خارج الحياة بتحدياتها ويصير عبئا عليـــــها وعلـــي الآخرين .

لماذا يحاول البعض أن ينشر الفكر الغيبي في المجتمع ؟

السؤال الآن من المستفيد من ترويج الأفكار الدينية الغيبية والحلول الغيبية في المجتمع؟



أن من يحاول أن ينشر الأفكار الغيبية أي من كان هو يحاول أن يعطل قدرة الناس علـــي التفكير الصحيح ليسهل له خداع النـــاس وقيادهم ، أن التفكير الديني التغيـــبي يمـــهد الطريق للمجتمع الاستهلاكي ، فهو الـــذي يزيد من قابلية الناس للإيحاء وهذا يســـاعد علي **تعظيم دور وسائل الأعلام** وتأثيرها علي الناس والتي تعمل علي الترويج لأنماط اســـتهلاكية معينة تخدم المؤسسات الرأسمالية ، وكذلك يساعد انتشار التفكير الغيبي علي **تقديس الحكام** وقيـــام حكم ديكتاتوري مطلق كما يعوق قيام الديمقراطية في المجتمع . لذلك فأن أصابع الاتهام تتوجه نحو القوي الرأسمالية والأنظمة الديكتاتورية في انتشار هذه الظاهرة ، فمن مصلحة الرأسمالية الاستهلاكية والأنظمة الديكتاتورية انتشار التغيب والاستفادة منه .

ما هي خطورة انتشار التدين الغيبي علي المجتمع وعلي الحياة الروحية ؟

خطورة التدين الغيبي يكمن في التنصل من المسئولية والمواجهة ... حينما تفشل الحلول الدينية يعزو المتدين هذا الفشل إلي الإرادة الإلهية أو لأن المجتمع كافر لم يحقق التدين بالصورة التي ينبغي بها أن يكون ، وكما تنصل من مواجهة مشكلة بالدين هكذا وجد أيضا تبريرا دينيا مريحا لفشله .

هل يتعارض التفكير الديني مع التفكير العلمي ؟

العلم مختلف عن التدين ولكنه لا يتعارض معه ، فالعلم يقوم علي الافتراض ويستخدم الشك طريقا للوصول للحقيقية ، بينما التدين يعتمد علي التصديق ويعتمد علي التجربة الحياتية والاستنارة القلبية في الوصول لليقين . والتفكير العلمي يعتمد علي المنطق والتجريب بينما التفكير الديني يعتمد علي الإيمان والاختبار . التفكير العلمي والتفكير الإيماني مختلفان في طرقهم ولكنهم لا يتعارضان بل يكمل أحدهما الآخر . فأننا نؤمن فنتعقل ونعقل فنؤمن ، فالعقل هو الذي يساعد أن نحول إيماننا النظري إلي إيمان عملي . فالسيد المسيح أكد علي أهمية العقل في حياتنا الإيمانية عندما وضح قائلا : " فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هَذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ." (متى ٧ : ٢٤) فنحن بالإيمان نطيع أقواله وبالعقل نعرف كيف نطبقها ، بالإيمان نعمل وبالعقل نبني ، وبالإيمان نضع بيوتنا علي الصخر وبالعقل نصمم شكل هذه البيوت .

الإيمان يحدد لنا موضوعات الفكر ، وبالتفكير نعي أهمية الإيمان ومعناه . ونعرف متطلبات الحياة الإيمانية . يقول سفر الأمثال : العقل يحفظك و الفهم ينصرك (الأمثال ٢ : ١١) فالتعقل تدبر والتفهم إيمان وكلاهما نحتاجهما لاستقامة حياتنا .

كيف نستخدم العقل في حياتنا الإيمانية ؟

أن للعقل دور هام في تنمية حياتنا الروحية ، فهو يعمل علي تثبت العقيـــدة وتفهـــم معتقداتنا ، ويعمل علي أن تكون روحانياتنا روحانية عملية ، كذلـــك يســـاعدنا علـــي تفـــهم الاختلافات العقائدية وأسبابها فنتعلم التسامح ونقلل من التعصب الأعمي .

إن كنا بالإيمان نقبل دعوة الله ووعوده لنا فأننا بالعقل نفهم ما يعلنه الله لنا عن شخصه ، وكلما فهمنا ما يعلنه عن نفسه كلما تمسكنا بوعوده أكثر وتقوي إيماننا . فوعود الله للخـــلاص لا تناقش بل تقبل إيمانيا ونحيا روحيا عليها ولكننا بالذهن نستطيع أن نتفهم شخص الله المخلـــص ، ومعني خلاصه ، فنزداد تمسكا بوعود خلاصه . كذلك وعود الله للحياة الجديدة تقبل بالإيمان ونحيا نرجوها ولكننا بالعقل نتفهم طبيعة هذه الحياة الجديدة من فهمنا لطبيعة الله من إعلاناته .

أن الفهم الخاطئ للعقيدة يجعلنا نتمسك بأوهام ونظن أنها وعود الله ، وبذلك نبني حياتنـــا الإيمانية علي أوهام وأحلام وليس علي وعود الله الحقيقية . ينصح بولس الرسول تلميذه تيموثـــاوس قائلا : افْهَمْ مَا أَقُولُ. فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْماً فِي كُلِّ شَيْءٍ.[٥٦] فالفهم لازم لاستقامة حياتنا الإيمانيـــة ، ولذلك فمن واجباتنا الروحية أن نسعى للمعرفة الروحية ونجتهد فيها ، كما يفعل كل القديســـين الذين يسعون باستمرار لطلب المعرفة الروحية ويبذلون جهدا شاقا من أجل الوصول للمعرفـــة . أن معرفتنا السليمة لشخص الله يجعلنا نكون معرفة سليمة لأنفسنا ولرسالتنا في الحياة ، أما إن كـــانت معرفتنا مشوه عن الأمور الروحية تشوهت عقيدتنا عن الله وبالتالي معرفتنا لأنفسنا تكون مشـــوه ونكون صورة خاطئة عن أنفسنا تفسد علينا حياتنا ، كما تشوه فهمنا لرسالتنا للحياة فنحيا حيـــاة مضطربة وبلا قيمة .

أن الحياة الإيمانية هي حياة عملية نحيا فيها علي كلمة الله ، فكيف نطبـــق كلمـــة الله في واقعنا ، الأمر يحتاج إلي العقل ، وأن نستخدم قدراتنا الذهنية علي حل المشكلات في معرفة كيـــف تطبق الوصية في الواقع العملي ، كذلك نستخدم تفكيرنا الإبداعي في ممارسة الوصية عمليا ، فـــإن كان الله دعانا أن نحب الأخوة ولكنه لم يقل لنا كيف نحبهم وترك لنا الأمر لنبدع في ســـلوكنا في

---

[٥٦] ٢ تيموثاوس ٢ : ٧

محبة الأخوة . بدون التفكير العملي يظل إيماننا إيمانا نظريا محصورا في المجادلات والتأملات ولا يفيد في تغيير حياتنا ولا شخصياتنا ولا يقربنا من شخص الله .

التعقل في فهم الاختلافات العقائدية يمنع التعصب ويزيد من تمسك الشخص بإيمانه ، فالتعصب دليل جهل الشخص بإيمانه وعدم فهمه لعقيدته . نحن نحتاج أن نستخدم الاختلافات العقائدية لنعمق فهمنا لإيماننا بالفهم والتفهم ، فتباين النور مع الظلمة هو الذي يوضح الصور ويمكننا من رؤيتها بينما الإضاءة الشديدة تبهر العين وتمنع الرؤية وكذلك الظلمة الكالحة تظلم العين عن الرؤية ، فالتعصب والجهل يمنعان عن الفهم السليم للعقيدة .

الاختلاف يثير التساؤل ، والتساؤل يولد الانتباه ، ونحن نحتاج أن ننتبه لقضايا إيماننا حتى تكون في بؤرة اهتمامنا وتركيزنا فهذا أمر هام للحياة الروحية ، فالأخطر من الجهل هو عدم الانتباه للقضايا الروحية الهامة لحياتنا .

كذلك الاختلاف يساعدنا علي المقارنة ومعرفة الأمور المشتركة بين العقائد المختلفة والأمور المختلفة بينها ، فدراسة الأمور المشتركة في العقائد تساعدنا علي فهم أهمية هذه العقائد لحياتنا الروحية ، ودراسة الأمور المختلفة ومعرفة لماذا هي مختلفة تساعدنا علي فهم عمق إيماننا وخصوصيته ، وكلا الأمرين يساعدان علي تعميق فهمنا لعقيدتنا وتعميق حياتنا الإيمانية .

٣- الاستغلال الديني

من أخطر أمراض التدين ، أن يتخذ أحد التدين قناع ليتخفي وراءه ، ويحاول بتدينه أن يخدع نفسه أو الآخرين . لقد حارب السيد المسيح الرياء والاستغلال الديني بشدة وكل الذين يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس متدينين ووبخ الكتبة والفريسيين وقال لهم " وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا

الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ ... لِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ.[٥٧] فأنهم يصلون ويطيلون الصلاة لأسباب أخري غير الاتصال بالله !!

حينما لا ينبع التدين من القلب ولا يكون صادقا فأنه يكون تدينا خطيرا قد يخدع به الإنسان نفسه فيزيد من مشاكله النفسية والروحية ، وقد يخدع به الناس فيضللهم أو يستغلهم أو يسلبهم فيتأذي الناس من تدينه هذا .

قد يتستر البعض وراء التدين ليخفي مشاكله النفسية ، فيبدو البعض أنه مدقق في تنفيذ الوصايا وتتميم الطقوس الدينية وهو يخفي وساوس شخصيته فقد يكون يعاني من مرض الوسواس القهري وقد يكون ضعيف الشخصية ويعاني من فشل اجتماعي فيعوض ذلك بالتشدد الديني . ولابد أن نفرق بين الشخص الفريسي في تدينه والشخص الملتزم ، فالفريسي يتشدد في بعض الأمور الدينية بطريقة اختيارية كما وصفهم السيد المسيح يصفون البعوضة ويبتلعون الجمل ، أما الملتزم فهو يلتزم بكل الوصايا والطقوس ويحاول أن يحيا بروحها لا بحرفيتها .

قد يحاول البعض أن يتجمل بالتدين ليرضي عن نفسه أو ليعطيه التدين نوع من الاستحسان الاجتماعي ، وهو يخفي بتدينه المبالغ فيه ضعف روحي وأخلاقي ويصفهم الرب بأنهم مثل القبور المبيضة من الخارج وداخلها مملوء نتانة ونجاسة . لا يصلح التدين الشكلي في علاج الإحساس بالضعف الروحي والأخلاقي بل أنه يصير مثل المخدرات التي تخدر الإحساس بالمعاناة وبتأنيب الضمير وفي نفس الوقت يترك الضعف الروحي يزداد حتى يدمر الشخصية تماما .

كثير من الفاشلين عمليا أو اجتماعيا يلجئون للتدين ليجدوا فيه تعويضا ويحققوا فيه ناجحا ، فممارسة الطقوس سهل وتعطي شعورا زائفا بالرضي عن النفس . بينما التدين الحقيقي يجعل الشخص ناجحا نفسيا وعمليا ... التدين جهاد وانتصار.وليس استعراض ولا انكسار .

من أخطر صور الخداع الديني حينما يمارس علي الناس ، فيتدين البعض أمام الناس ويظهر تدينه ويوحي للناس بورعه ، ليحاول أن يحسن صورته في عيون الناس ، فالناس تحب المتدينين وتقبل علي القديسين ، وهو لا يملك من مهارات الاتصال والوصال مع الناس ما يكفي ليتفاعل مع الناس فيستخدم التدين طريقا لجذب الناس نحوه .

---

[٥٧] متى ٢٣ : ١٤

والبعض يستخدم التدين ليصنع له مكانه اجتماعية دينية ، فيسعي للشهرة من خلال التدين مثل الفريسيين الذين كانوا يسعون للمجالس الأولي ويحبون أن يشير الناس عليهم في الأسواق ويحيونهم ويقولون لهم سيدي. سيدي . فما أكثر الذين يسعون للزعامة والشهرة عن طريق التدين ، ويحاولون أن يكونوا زعماء روحيين ورؤساء دينيين وحينما يصلون لهذه المكانة يبدءون يمارسون تسلطهم وساديتهم المريضة علي الناس .

وهناك من يستخدمون قناع التدين ليوهموا الناس بأمانتهم وهم في حقيقتهم سارقين ولصوص ، ويستغلون الناس ماديا ويسلبونا الناس تحت شعارات دينية وباسم خدمة الدين ، أو يروجون لتجارتهم باسم الدين ، أو يستغلون الناس لخدمتهم وتسهيل مصالحهم ، أو يستغلون الناس لتأيدهم ليحققوا مكاسب سياسية .

من أسوء صور الخداع الديني ، حينما يحاول البعض أن يخدع الله بتدينه !! لقد تكلم عنهم الرب : «حَسَناً تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً[58] . أنه من الخطورة بمكان أن يشعر شخص أن يرضي الله بتدينه فأنه في اليوم الأخير سوف يقول لهم الرب ما أعرفكم ويغلق أمامهم باب ملكوته ويقول لهم ليس كل من يقول يارب يدخل ملكوت الله ، وهو فشل في أن يوحد إرادته القلبية مع المشيئة الإلهية .

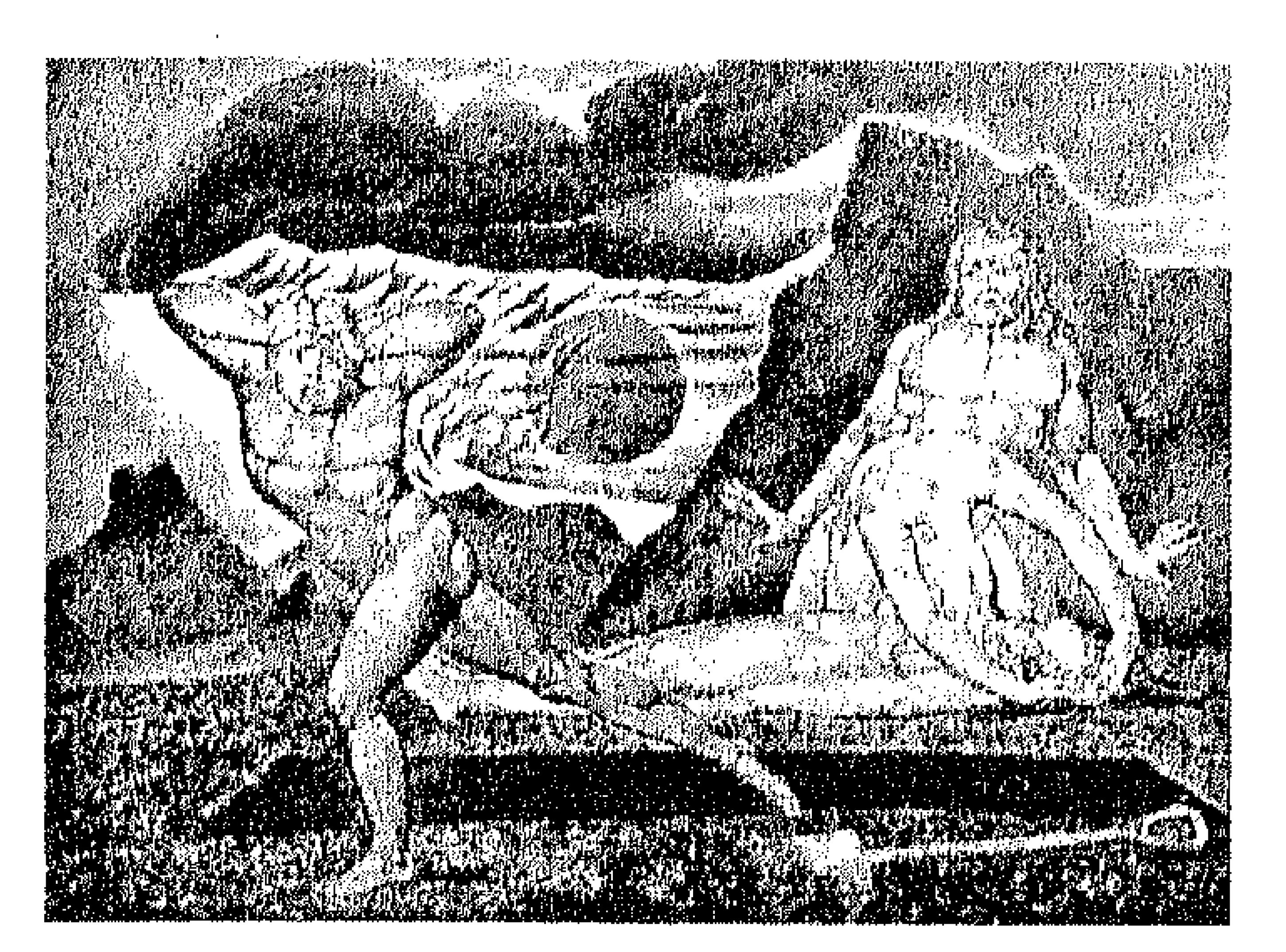
تمثيل التدين لا يفيد في شيئا بل هو مؤذي ويضلل الشخص نفسه قبل الناس ويكون مصيره ويلا وهلاكا أبديا .

---

[58] مرقس ٧ : ٦

٣- العنف الديني

أن أول قتل حدث في تاريخ البشرية كان بسبب الدين ، فقايين قتل أخـــوه هـــابيل لأن ذبيحة أخوه قبلت وهو لم تقبل عبادته ولا ذبيحته ، فبسبب الغيرة الدينية تولد لديه الحسد الـــذي دفعه لقتل أخوه . ومن هذا الزمن صار النـــاس يتنافسون علي الحصول علي رضـــي الســـماء ، وبدءوا يقاومون بعضهم البعض عقائديا ومذهبيـا ، ويتحرشون بعضهم البعض دينيا ، ويـــهدمون معابد بعضهم البعض ، ويتقاتلون دينيا ويقتلـــون بعضهم البعض ، ومازال مسلسل العنف الديني لم ينتهي بعد ، ومازالت الدماء تراق بسبب الدين !! ومازالت المضايقات لا تتوقف بسبب الدين !! ومازال الإرهاب لا ينتهي بسبب الدين !!



ما هو العنف الديني ؟

هو كل إكراه وتدمير يوجه نحو الآخرين بدوافع دينية ، وكل عنف يوجه نحو المؤسسات الدينية ودور العبادة .

ما هي أشكال العنف الديني ؟

العنف الديني قد يكون إرهاب دينيا ، أو اضطهاد دينيا ، أو حروب دينية . ويعمل العنف الديني علي محاولة أذية الآخر نفسيا أو معنويا أو بدنيا أو اجتماعيا ، أو يحاول تدمير الآخر بالقتل أو تدمير مؤسساته .

العنف الديني يقف وراء ظواهر التعصب المذهبي والطائفي ، ووراء التمييـــز الطـــائفي ، وتضيق العيش والظلم الاجتماعي ، ووراء العنف السياسي والاغتيالات ، والحروب الدينية .

والعنف الديني قد يكـــون عنفـــا منظمـــا أو عشوائيا ، فقد تقوم به دول أو مؤسسات ويكون لهـــا سياسيات وخطط في ممارسته وقد تكون هذه الخطـــط معلنة أو خفية ، والأمثلة الكتابية والتاريخية على هـــذا النوع من العنف الديني كثيرة جدا وليس لها حصـــر ، فكثير من الدول مارست الاضطهاد الديـــني وقـــامت بحروب دينية عديدة علي مدار التـــاريخ ، ومـــازالت الحروب العقائدية والمذهبية منتشرة في إرجاء المســـكونة حتى الآن .

أما العنف الديني العشوائي فهو الذي يقوم به بعض المتدينين بدون تخطيط وليـــس لـــه إستراتيجية وهو وراء ظواهر الإرهاب والعنف الطائفي الذي يظهر ويختفي من آن لآخر .

ما هي أسباب نشأت العنف الديني ؟

كان من المفترض أن يكون التدين سبب سمو المتدين روحيا وأخلاقيا واجتماعيا ، ولكننـــا نجد كثير من المتدينين كلما تعمقوا في التدين كلما تحولوا نحو التشدد والعنف ورفض الآخر !!! فما هو سر هذا التحول الخطير في حياة المتدينين ؟

العنف الديني له أسباب عديدة منها أسباب عقائدية ، وأسباب اجتماعيـــة ، وأســـباب شخصية ، فبعض الأشخاص يتحولون نحو العنف الديني بسبب عقائدهم الدينية ونوعية تدينـــهم ، والبعض الآخر بسبب ظروفهم الاجتماعية التي تهيئ الفرصة لظهور العنف في مجتمعهم ، والبعـــض بسبب استعدادهم الشخصي وميولهم العدوانية .

العنف الديني الصريح لا يظهر إلا إذا اجتمعت هذه الأسباب معا ، فالأسباب العقائديـــة قد تولد فكر ديني متشدد وعنف مذهبي فكري ، وإذا اجتمعت الأسباب العقائدية مع الأســـباب الاجتماعية قد تولد حكومات دينية وحكم ثيئوقراطي أو ديكتاتوري متشدد ، أما إذا اجتمعـــت الأسباب الثلاث في مجتمع ما تكثر حالات الإرهاب والعنف الطائفي والحروب الدينية .

أولا : الأسباب العقائدية :

أن بعض العقائد الدينية لبعض الأديان تحض علي العنف وتكرسه في أذهان وضمائر المتدينين ، وكذلك الفهم اللاهوتي الخاطئ لبعض الإشكاليات الدينية والمتعلقة بمفهوم الخطيئة والعقوبة والقصاص والدينونة ولدت عقائد تكرس العنف وتبرره في نفس الوقت .

من المؤسف أن العنف له لاهوته وله فكره الديني الذي يدعمه ويزيد من انتشاره ولذلك فهو يحتاج أن يقاوم ويصحح بلاهوت مضاد يدعو للتسامح وقبول الآخر ولندعوه "لاهوت المحبة" . وإن كان الذين يرجون للعنف الديني ويمارسوه لهم تبريراتهم الدينية والعقائدية القوية فأن توقفهم يحتاج إلي تفنيد تبريراتهم وفضح مغالطاتهم أيضا علي أساس عقيدي أعمق وأقوي ، وهذه مهمة اللاهوتيين المستنيرين .

ما هو لاهوت العنف ولماذا الاعتقاد في العنف ؟!

هناك نصوص دينية في بعض الأديان تدعو للعنف ، وهناك طقوس عنيفة لبعض الأديان كانت تقدم فيها التضحيات والقرابين البشرية ، ومازال هناك احتفالات دينية تستخدم فيها السيوف يجرحون بها أنفسهم وتسيل فيها دماءهم ، وهناك أحكام دينية عنيفة تدعو لاستخدام الرجم والقتل في العقاب .



وتصور بعض العقائد في بعض الأديان الله علي أنه إله منتقم جبار بل وأنه رئيس المنتقمين ويحاول البعض تفسير عمل الله الخلاصي علي أنه عمل تكفيري عنيف استغل فيه ابنه ودفعه للقتل ، وتحاول أن تصور أن العنف هو أسلوبه والوفاء بالقصاص هو هدفه ، وتصور بعض الديانات القديمة والحديثة الله كإله للحرب يدعو للجهاد وللحرب ويقود عمليات إبادة وقتل وحروب مقدسة وينصر مؤمنيه فقط علي أعدائهم . أنه عنف عقيدي ... يشوه صورة الله ويحاول أن يضفي هالة من القداسة علي العنف .

*****



كذلك تصور بعض العقائد "الآخرين" الذين لا يؤمنون بعقائدهم علي أنهم أعداء الله ، وتدعوا لمحاربتهم وقتلهم وإبادتهم .. وتاريخ البشرية مليئ بمآسي هذه المعتقدات ، فكل الذين دخلوا هذه الحروب كانوا يظنون أنهم يقاومون أعداء الله ، وأنهم يدافعون عن الله ، ويقدمون خدمة وشهادة لله !! ولنا في شاول الطرسوسي مثلا ، فقد كان واحدا من هؤلاء ...

*****

التفسيرات الدينية الخاطئة تحول دائما المختلفين إلي كفار وأعداء الله وأعوان الشياطين ، ومادامت صورهم تشوهت إلي هذه الدرجة في عقول المتدينين ، فمن البديهي رفضهم ومقاومتهم لتجنب ضررهم ، وهنا تبدأ سلسلة رفض الآخر واضطهاده ومحاولة أبادته والتخلص منه .

*****

كذلك هناك إشكالية في الاعتقاد نفسه تولد العنف ، فكل شخص يعتقد أن إيمانه هو الإيمان السليم والمعتقد الحق ، وأن كل المعتقدات الأخرى هي معتقدات باطلة وخاطئة ؟!! وإلا فلماذا اعتقد هذا الاعتقاد ولماذا أمن بهذا الإيمان ؟!

المشكلة أنه لا يمكن التوفيق بين المعتقدات فهذا ضد طبيعة الاعتقاد نفسه ... ولا يعرف معظم المتدينين أن يفرقوا بين رفضهم للمعتقد الآخر وبين رفضهم لشخص الآخر ، قد نرفض معتقد الآخر لأن هذا إيماننا ولكننا لا ينبغي أن نرفض الآخر بسبب إيمانه .

أننا يمكننا أن نتعايش ونحن مختلفين ، ولكن المشكلة أن الناس تجعل الدين والعقيدة أسس للتعامل الاجتماعي وليس القيم والأخلاق المبنية علي دينهم .

أنه من الخطر أن تبني المجتمعات علي أساس ديني ومذهبي وليس علي أساس أخلاقي روحي ، فالجماعات الدينية تقام علي الاتفاق بينما المجتمعات المدنية تقوم علي التفاعل والمشاركة . أن القيم الدينية الأخلاقية هي وحدها التي تقيم المجتمعات وتحفظ سلامتها الاجتماعية ، بينما العقائد الثابتة هي التي توحد المؤمنين وتصنع جماعاتهم الدينية .

كيف تولد الممارسات الدينية الخاطئة العنف ؟

ليس تقديس العنف وإضفاء صبغة إلهية عليه ورفض الآخر فقط هما اللذان يولدان العنف الديني عند البعض ولكن هناك في ممارسة التدين أمور روحية قد تحرف المتدين نحو العنف ؟! فمثلا :

كل الأديان تدعو للجهاد الروحي وأن نحارب الشر وأن ننشر البر والخير ، وأن نشهد ونستشهد من أجل الله ومن أجل الخير ، ولكن كيف يفهم المتدينين الجهاد وكيف يمارسوه هو أمر مختلف وقد تحدث فيها انحرافات كثيرة .

فالإيمان والاجتهاد يولدان في المتدين قوة روحية كبيرة ورغبة عارمة في التغيير (التوبة) ويجتهد كل واحد في إحداث تغيير في شخصيته وفي واقعه ومجتمعه . هذه القوة الروحية أن لم يجتهد المتدين في حفظها مقدسة وطاهرة لتدفعه في طريق البر والفضيلة فإنها تنقلب إلي قوة شر خادعة وغاشمة وظالمة . ولا ينبغي أن ننسي أن قوي الشر دائما تتستر بالخير ، فيظن المتدين أنه مازال سائر في الطريق الروحي وهو لا يدري أنه تحول نحو الشر ، ويصنع كل شر باسم الدين .. يتسلط ويضطهد ويقتل باسم الغيرة الروحية وباسم الجهاد في سبيل الله .

وإن كانت الأديان تدعو للتغيير وتشجع علي التغيير ، ولكن ما هو التغيير المطلوب حدوثه ، وكيف يتم ذلك ؟

١- أن التغيير إن كان في النفس البشرية أو في المجتمعات عملية معقدة وصعبة وحساسة في نفس الوقت ، ولا تصلح بالعنف ولا بالقوة ولا بالإكراه . ولذا تحاول الأديان أن تضع تصورات كيف يتم التغيير وكيف يحدث الخلاص ، وكذلك رجال الدين واللاهوتيين يضعون تفسيرات وشروحات لطرق التغيير ، ولكن إن كانت التفسيرات متشددة ، أو إن حاول المتدين نفسه أن يجتهد ويضع تصوره الخاص للتغيير والخلاص ، فأنه حتما يقع في مستنقع العنف الروحي والديني ضد نفسه وضد المجتمع .

٢- يحلم كل المتدينين بحكم الله علي الأرض وقيام ملك الله ، وسيادة العدل والرحمة بين الناس ، وكل الأديان تدعو لتطبيق شريعة الله وسيادة النظام الإلهي للحياة لتستقيم الحياة ويعم

الخير علي الجميع ، ولكن المشكلة كيف يطبق حكم الله وتسود شريعة السماء علي الأرض وكيف يتحقق ملك الله ؟

يحاول البعض أن يقيم حكومة دينية تحكم باسم الله وتفرض شريعة الله علي الناس والمجتمع ، والبعض ينصب نفسه متحدث باسم الله أو حاكم وقاضي باسم الله ويحاول أن يفرض ما يتصوره أنه فكر الله وشريعته علي الناس أو يحاسب الناس علي التزامهم بالشرائع الإلهية كما يتصورها هو . ومن المؤسف أن التاريخ مليئ بمثل هذه المحاولات المتكررة بالرغم أنها كلها باءت بالفشل و لم ينتج منها إلا تشويه للدين وفساد المجتمع وانتشار العنف وتنشيط الحركات الإلحادية .

٣- كل الأديان تشجع المتدينين أن يدعوا الناس للتوبة والخلاص والتغيير ، وأن تكون الدعوة بالقدوة والشهادة ، ولكن البعض يتطرف في شهادته ودعوته للناس فعندما يفشل في شهادته بالقدوة وبالإقناع يحاول أن يكره الناس بالعنف والإرهاب الفكري والمعنوي والبدني علي قبول دعوة التوبة والخلاص والتغيير !!!! ويمكن أن تلاحظ ذلك مع الوعاظ الذين يفشلون في التأثير الروحي فيلجئون للتأثير النفسي ويصير الترغيب والترهيب أسلوبهم في الدعوة والوعظ .

٤- أن حالة الرعب التي تصيب بعض المتدينين بسبب خوفهم من الدينونة والعقوبات الإلهية ، تجعلهم يحاولون أن ينفثوا عن رعبهم وعن هلعهم النفسي بأن يرعبوا الناس بالحديث عن العقوبات الإلهية والقصاص الإلهي ، والبعض الآخر منهم بسبب اضطرابهم النفسي يحاولون أن يخلقوا حالة الدينونة في الواقع ويدعون يقتصون باسم الله ويفرضون العقوبات الإلهية علي الناس ويتلذذون برؤية رعب الناس وخوفهم وهلاكهم . أن العنف الديني هو تعبير عن رعب روحي مريض يصيب بعض المتدينين .

٥- كذلك الحماس الديني والغيرة الروحية إن لم تضبط روحيا فأنها تتواجه نحو العنف الديني ، فكل الإرهابيين يبررون أفعالهم بأنها غيرة دينية ، لذلك في التعليم الروحي لابد أن نوجه المتدين ليفهم أن الغيرة الدينية لابد أن يواجهها نحو الحسم مع الذات ، والحماس يوجه نحو الالتزام الشخصي ، والغيرة لابد أن تتحول للنشاط الروحي والشهادة والقدوة وليس نحو التحفز والتحرش ، وأن الكرامة الدينية نحافظ عليها بالمواقف القوية والشهادات القوية وليس بالاقتتال . فالشهداء في المسيحية كانت مواقفهم القوية وصمودهم أقوي بكثير من قوة معذبيهم .

ما هو موقف المسيحية من العنف ؟

المسيحية ديانة اللا عنف واللا استسلام في نفس الوقت ، المسيحية ديانة جهاد اجتهاد ، وحمل صليب لا سيف ، وديانة شهادة واستشهاد .

إن كان السيد المسيح يدعو لاغتصاب ملكوت الله ، ولكنه لا يؤسس ملكوت الله بالعنف ولا مكان للعنف في ملكوت الله .

ا- ملكوت الله يغتصب[٥٩] والغاصبون يدخلونه[٦٠] ، فملكوت الله طريقه ضيق وكرب وبابه ضيق ويحتاج الأمر أن نجاهد[٦١] لنصل إليه ونغصب أنفسنا علي السير في طريقه الكرب ونحتمل ضيقه لنستطيع دخوله ، فالجهاد من أجل الملكوت هو جهاد مع النفس للسير في طريقه ، فنحن لا نقيم الملكوت ولا نضع قواعده ، فالله قد أسسه ، ونحن مدعون فقط لدخوله لا تأسيسه .

ب- ملكوت الله لم يؤسسه السيد المسيح بالعنف ، لقد رفض السيد المسيح أن يسيطر علي البشر عن طريق القوة ولا حتى عن طريق إبهارهم بالمعجزات ورفض أن يكون سياسيا ثائرا[٦٢]. لقد أسس ملكوته عن طريق صليبه وبموته وقيامته . ولقد رفض اقتراح تلاميذه بأن تنزل نار من السماء علي السامريين الذين لم يقبلوه (لوقا ٩: ٥٤) ، وحذر أن كل من يأخذ بالسيف فانه بالسيف يهلك (متى ٢٦: ٥٢) .

[٥٩] لوقا ١٦ : ١٦
[٦٠] متى ١١ : ١٢
[٦١] متى ٧ : ١٤
[٦٢] يوحنا ٦: ١٥

ج- قوتنا في ملكوت الله لا نظهرها بالعنف بل بإظهار قدرة الله التي أثبتتها بالانتصار على الموت ، وكما قام الرب يسوع فسنقوم نحن معه . لذلك يسلك تلاميذ يسوع بالوداعة لا بالعنف كما كان يسوع وديعا وقال : احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. (متى ١١ : ٢٩) فالوداعة هي الطريق الوحيد لميراث الأرض (متى ٥: ٤) .

كل تلميذ ليسوع ينبغي أن يجعل نفسه "خادما" للآخرين (متى ٢٠: ٢٥- ٢٦) ولا يكون رئيسا ولا متسلطا علي أحد . وإن كنا تلاميذ ليسوع وخدام لله فسوف نواجه اضطهاد ولابد أن نجتازه ونحمل صليبه بإرادتنا ، ونستسلم لإرادة الله : فنغفر للأعداء ، ونسعى لمصالحة مضطهدينا من خلال قبولهم برغم ظلمهم ، والموت من أجلهم . حينئذ فقط نقوم من الموت ونقيم ملكوت الله ونثبته في الأرض وحياة الناس .

*****

المسيحية تدعو للجهاد مع النفس ومقاومة الشر الذي فينا لا الشر في ذاته ، ولا الشر الذي في العالم .

أن حلم استئصال الشر من العالم هو يوتوبيا روحية ووهم خطير قد يؤذي الناس الأبرار قبل الأشرار ، فنحن ندعو لاستئصال الشر من القلوب ونعد الناس للحياة الأبدية التي ليست فيها شر ، ولكن أن نخلق أرض ومجتمع خالي من الشر فهذا وهم ديني يسبب الكثير من المشاكل الدينية والاجتماعية والمآسي الإنسانية .

هل معني ذلك إلا نقاوم الشر ؟ وما هو موقفنا المسيحي إذا من الشر الموجود في العالم ؟

أن العالم وضع في الشرير ، فالشيطان وأعوانه من الأشرار موجودين في العالم ولا يمكن اقتلاعهم من الأرض ، فالدينونة لم تأتي بعد والانتصار النهائي علي إبليس وأعوانه لم يتحقق بعد . وأننا لسنا مدعوين لقتل الشيطان ولا لقتل الأشرار ، بل نحن مدعون أن نقاوم انتشار الشر وأن نحترس من السقوط في شباكه .

أننا نفضح شر الأشرار ونشير عليه ونحذر منه ، كما نفضح الشر نفسه بأن نوضح لماذا هو شر .. ونحذر من خداعه وبريقه .. ونحذر من أثاره .

ونحن لا نغلب الشر بقتل الأشرار بل بعمل الخير واحتمال الأشرار وطلب خلاصهم .

كذلك نواجه أثار الشر ، فنصلح كل فساد نتج عنه ولا نستسلم للظلم الذي يتسبب فيه الشر .

لذلك فأن السيد المسيح يدعونا لمواجهة الظلم لا الاستسلام له ، وتركيز كل طاقاتنا في مواجهة الشر بالحسم وليس بالعنف ..

أن يكون حسمنا كالسيف لفض إي سلام زائف وخادع حتى وإن كان في اقرب علاقاتنا وخاصة الأسرية ، وليكن لنا مواقفنا الإيمانية المعلنة حتى وإن صار لنا أعداء ، وأن تكون اختياراتنا معلنة وواضحة حتى وإن اختلف معنا الآخرين .

الحزم في مواجهة استغلال الدين وانحرافات التدين ، ولكن بحرص فالحزم يكون ضد الفعل وليس ضد الناس حتى وإن كانوا أشرار ، فعندما طرد السيد المسيح الباعة من الهيكل لم يحكم عليهم و لم يدينهم ولكنه منع شرهم ومنع امتداد عملهم الذي يهين بيت الله .

أما العنف الديني فأنه يقتل الناس بدعوي أنهم نجسوا بيت الله أو تتطاولوا بالقول علي بيت الله ...الخ .

*****

أن استخدام أسلوب الانتقام وشريعة العين بالعين في سبيل استعادة العدالة المنتهكة لا يوقف دائرة العنف والعنف المضاد ، لذلك تعلم المسيحية الصفح والغفران في مواجهة العنف والعدوان لكسر دائرة العنف عامة والعنف والاضطهاد الديني خاصة . فالصفح المسيحي ليس تهاون في الحقوق الشخصية أو الإلهية ولكنه علاج مسيحي فعال في كسر دائرة العنف ، فالشهداء بدمائهم أوقفوا عصور الاضطهاد و لم تشهد أيامهم حروب دينية تحمل فيها المسيحية السلاح لتكرس وجودها وتدعم بشارتها .



لذلك علمنا الرب يسوع كيف نكون ضحية أمام العنف ، وكان هو أول ضحية أمـــام العنف . فلم يشاء أن يدافع عنه تلاميذه بالسيف والقوة ، بل شفي خصمه الذي أصيب عند القبض عليه[٦٣] . فلم يريد أن يسفك دم البشرية عنه وهو قد جاء ليسفك دمه من أجلهم .

لقد أرسي السيد المسيح مبدأ هام لعلاج العنف وهو الاستشهاد وأكد أن المحبة والتضحية هي السبيل الوحيد للصلح بين الجائر وضحيته .

ثانيا: الأسباب الاجتماعية

ليست كل المجتمعات يقوم فيها عنف ديني وليس كل العصور يزداد فيها العنف الديني ، العنف الديني لابد لظهوره من أسباب مهيأة له في المجتمع نفسه .

العنف قد يقوم به فرد أو جماعة غير منظمة سياسيا أو مؤسسات سياسية أو دول شرعية ، ولكن في كل الأحوال كل واحد منهم يريد تبريرا دينيا لما يقوم به مـــن إرهـــاب وعنـــف . أن الإرهاب قد يكون انتحارا بمبرر ديني ، وقد يكون الإرهاب عبارة عن عملية ترويع الضعفاء مـــن أجل إثبات القوة ومحاولة لإثبات الذات والوجود أيضا بمبرر ديني .

أن التاريخ والأحداث المعاصرة تشهد الكثير من حوادث الإرهابيين الذين تحولوا إلي قنابل بشرية وقصص الجماعات التي انتحرت جماعيا أخرها جماعة توم جونز الشهيرة . وكذلك التـــاريخ مليء بحوادث الاضطهاد الديني وبالحروب الدينية .

- فما هي أسباب اليأس الذي يدفع بفرد أو جماعة للانتحار الفردي أو الجماعي ؟!
- وما هي الأسباب التي تؤدي بفرد بمحاولة إثبات الذات أو الوجود بالعنف ؟
- ولماذا تمارس بعض المؤسسات التميز الطائفي وتدعم دول الإرهاب الديني بل وتمارسه في بعض الأحيان ؟

لابد أن يكون في المجتمع الكثير من الأسباب المحبطة والعوامل المهيأة والتي تدفعهم نحو هذا الانتحار الديني وهذه الممارسات العنيفة . ونرصد من هذه الأسباب الأتي :

---

[٦٣] (لوقا ٢٢: ٤٩... راجع ٢٢: ٣٦- ٣٨)

١- **غياب آليات الصراع السلمي في المجتمع** ، حينما لا يجد الناس قنوات شرعية حقيقية يستطيعون من خلالها المطالبة بحقوقهم وتحقيق مصالحهم ، فإنهم يلجئون للعنف ويستخدمون الديني كغطاء شرعي للمطالبة بحقوقهم وتحقيق مصالحهم . لذلك فإن وجود الديمقراطية وتعميقها في المجتمع وفي كل المستويات يقلل من حدة العنف في المطالبة بالحقوق ويحرر الدين من استغلاله هذا الاستغلال المهين .

٢- **ضعف المجتمع** : فالإرهاب والعنف الديني يمارس فقط علي الضعفاء ولترويع المدنيين الضعفاء ، فعندما يكون المجتمع ضعيفا فإن الفرصة تكون مهيئا لظهور الجماعات الإرهابية وممارسة الإرهاب والعنف الديني . والمجتمع يصير ضعيفا حينما يغيب فيه القانون ، فلا يعرف الناس حقوقهم



ولا واجباتهم وحينما لا تُحدث فيه القوانين لتتناسب مع مصالح الناس ومطالبهم ، وحينما يضعف الأمن في تنفيذ القانون وفرضه علي الجميع ، وحينما تكثر في المجتمع وجود جماعات ضعيفة يسهل ممارسة العنف عليها مثل التجمعات النسائية والأقليات والمهمشين .

ولذلك فإن نشر الثقافة الحقوقية والقانونية والحزم في تطبيق القانون يقوي المجتمع ويمنع ظهور الإرهابيين والهواة الذين يحاولون فرض سطوتهم علي المجتمع تحت مسميات دينية ، وكذلك حينما نعمل علي تقوية الجماعات الضعيفة ويكون لها وجود علي الساحة السياسية وتبدأ في الدفاع عن حقوقهم فلا يجد الإرهابيين أوساطا تصلح لممارسة إرهابهم عليهم واضطهادهم .

٣- **غياب الأمل** : فحينما يشعر الناس بيأس من وجود حل لمشاكلهم السياسية يظهر العنف السياسي ويتقوى بالعنف الديني مثلما يحدث الآن في المجتمع الفلسطيني . وحينما يزداد الظلم الاجتماعي وتزداد مشاكل الفقر وتنعدم فرص الأمل في حياة كريمة ، فمن الطبقات المطحونة في المجتمع وخاصة المتوسطة يبدأ يتحول اليائسين منهم نحو الإرهاب والانتحار الديني .

قد تكون المشاكل صعبة ولا توجد حلول لبعض المشاكل السياسية والاجتماعية والناس تعلم ذلك ولكن الذي يشيع روح اليأس بين الناس هو عدم جدية مواجهة المشاكل في المجتمع علي

الصعيد السياسي أو الاجتماعي ، فالتقاعس عن حل المشكلات وتأجيلها لأسباب سياسية ضيقة الأفق يولد الإحساس بالإحباط واليأس المولد للعنف .

٤- **انتشار ثقافة العنف** : فإن كان العنف الديني يغذي كل أشكال العنف الأخرى في المجتمع فأن انتشر ثقافة العنف في المجتمع أيضا تزيد من انتشار العنف الديني . فالعلاقة بين ثقافة العنف والعنف الديني علاقة تبادلية وكل منهما يغذي الأخر ، لذلك العنف الأسري يغذي العنف الديني والعنف الديني يزيد من العنف الأسري ، والعنف الأمني يزيد من العنف الديني ، وعنف العلاقات يزيد من العنف الديني والعنف الديني يزيد العنف في العلاقات بين الناس .

لذلك لابد لوقف العنف الديني من نشر ثقافة التسامح وقبول الآخر من زاوية دينية روحية ومن زاوية اجتماعية أخلاقية .

٥- **عدم استقرار المجتمع** ، فأن سرعة التغيير في المجتمع تعمل علي عدم استقراره ، فالتغييرات الثقافية السريعة بسبب وسائل الاتصالات الحديثة ، والتغييرات الاجتماعية والسياسية المتلاحقة ، والتغيرات الاقتصادية الحادة ولدت عناصر عدم استقرار في المجتمع ، فالقيم المجتمعية والعادات والتقاليد في حالة تغير سريع و لم تستقر بعد ، وثقافات الناس أصبحت متباينة ، واهتمامات الناس تنوعت بشدة وبالتالي كثر التعارض بين مصالحهم ، وهكذا ظهرت العشوائيات في المجتمع وكثرت ، فهناك تجمعات بشرية لا يجمع بينهم قيم ولا تقاليد ولهم ثقافات مختلفة وعندهم صراعات حادة من أجل البقاء . هذه البيئة العشوائية هي بيئة مهيأة لظهور عنف العلاقات والعنف الديني . لذلك لابد أن نتعامل بجدية مع مشكلة العشوائيات بعمق وليس من الناحية الاقتصادية ولا البيئة بل من الناحية المجتمعية والثقافية والروحية .

٦- **كثرة وجود رموز دينية متشددة تشجع علي الإرهاب وتباركه** ، فالإرهاب يحتاج إلي من يشعله ويحركه فالإرهابيين يائسين وضعفاء فشلوا في إثبات الذات ، فالإرهاب لا يقوم بوجود الإرهابيين بل يقوم بوجود قيادات إرهابية . الإرهاب لابد أن يكون له أبطاله وقديسيه في نظر المتطرفين الدينين كي ما يستلهمون منهم القدوة والقوة .

في حرب الإرهاب لابد من محاربة القيادات الإرهابية لا الإرهابيين فهم ضعفاء وبلا حول ولا قوة بدون قيادهم ، لابد من محاربة كل من يدعو للتشدد الديني والعنف الديني والطائفي ، وفضح أفكاره وأهدافه للحد من تأثيرهم علي الشباب الذين يميلون للتطرف الديني والعنف . كذلك

لابد أن يساعد الإعلام علي إبراز نجوم للمجتمع من المعتدلين الدينيين والشخصيات الناجحة والموهوبين لنقلل التعلق بالنماذج الشاذة من النجوم والأبطال في المجتمع .

ثالثا: الأسباب الشخصية :

لا تتحول كل الشخصيات المتدينة نحو العنف الديني ، فالتحول نحو العنف الديني يحتاج إلي استعداد شخصي ، أي يكون الشخص تكوينه النفسي يسمح بذلك وأن تكون لـه دوافع شخصية تدفعه لممارسة العنف .

أ- التكوين النفسي

تجمع الشخصيات التي مارست أو تمارس العنف الديني سمات نفسية مشتركة منها قابليتهم للإيحاء واضطراب في شخصيتهم توصف نفسيا بأنها شخصيات مضادة للمجتمع " anti-social personality"

فشخصية المضطهد الديني أو الإرهابي من سماته قابليته للإيحاء ، فهو يتقبل الأفكار ويقبلها كما هي ولا يناقشها ولا يحاول فهمها أو نقدها ، فهو يقبلها وجدانيا بسبب تعلقه النفسي الوجداني بشخصية معلمه ، ويبدأ في تنفيذها على أرض الواقع ومن النتائج التي تحدث يبدأ يتبصر صحة وجدوى هذه الأفكار .

كما نجد أن للشخصيات الإرهابية أو العنيفة دينيا ميول إجرامية وتدميرية وهذا بسبب انحراف حدث لهم أثناء نموهم النفسي جعلهم شخصيات سيكوباتية مدمرة .

لذلك مواجهة العنف الديني ومحاربة الإرهاب يحتاج أن نعلم الناس كيف يستخدمون عقولهم في تقيم الأفكار والحكم علي الأفعال ونغير من أساليب التعليم من التلقين والصم إلي تعلم مهارات التفكير وخاصة التفكير النقدي .

وكذلك بنشر ثقافة التربية السليمة حتى لا تحدث انحرافات نفسية واضطرابات في الشخصية ، وكذلك لابد من وجود وسيلة ما كي ما يساعد الأخصائيين الاجتماعيين والمشيرين الوالدين في تربية الأبناء ، فالأمر أصبح صعب علي الوالدين القيام به وحدهم به .

ب- الدوافع الشخصية

لماذا يحاول البعض أن يتسلطوا علي ضمائر الناس ويتحكموا في حريتهم في الاعتقاد ، لماذا يحاول البعض أن يفتشوا في ضمائر الناس ويحكموا عليهم ؟!

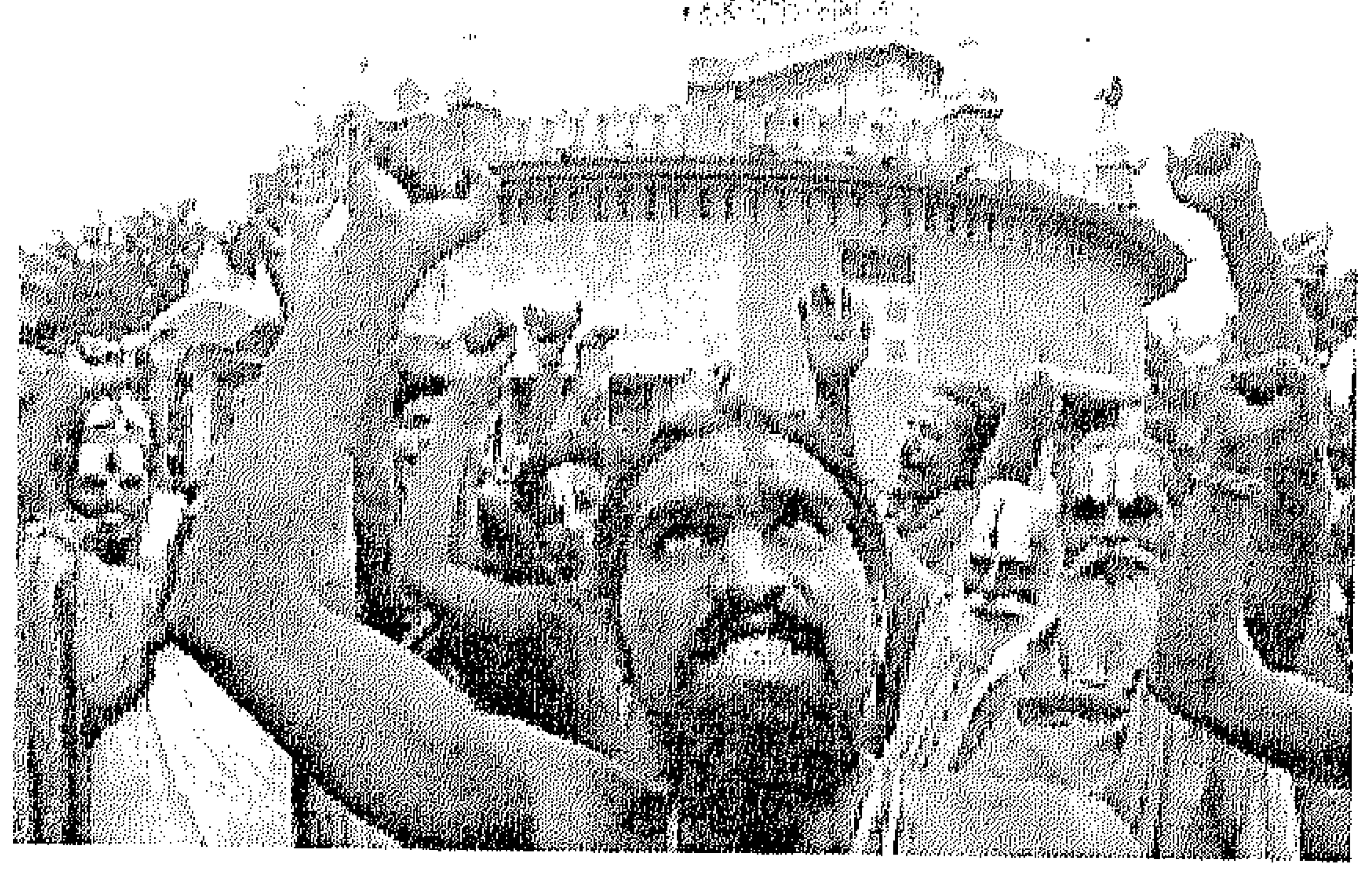
ذلك يحدث لأنها شخصيات تعاني من مشكلات نفسية أو اجتماعية أو روحية ، فـــهي شخصيات لم تشعر بالأمان في علاقتها الخاصة ، أو شخصيات تسقط علي الناس معاناة ضميريـــة لديهم تجاه بعض الخطايا الخافية ... فبدلا من أن تمارس العنف علي نفسها وفي جهادها تمارسه علي الناس !!

لقد حذر السيد المسيح من محاولات البعض التسلّط والتعدّي على ضمـــائر الآخريـــن ، ووبخ الكتبة والفريسيين الذين يغلقون الملكوت أمام الناس بتشددهم وفتواهم وتفسيراتهم الدينيـــة (مت ٢٣ :١٣-٣٥).

أن الإكراه الديني هو نوع من الاغتصاب الروحي ، فإن كان انتهاك جسد الآخر بـــدون رضي جريمة بشعة تستحق عقوبة مشددة ، فكم وكم انتهاك ضمائر النـــاس الـــتي هـــي أخـــص خصوصيتهم ومحاولة تفتيشها والحكم عليها ، أو محاولة إكراه ضميره علي قبول ما لا يرتاح لـــه . نحتاج أن نتصدى بشدة للاضطهاد والإرهاب بقوانين ومواقف جماعية وعقوبات تعيد للمجتمع أمنه وسلامه الروحي .

كيف يتحول المتدين إلي إرهابي ؟

لا يتحول المتدين إلي إرهابي بين يوم وليلة ولكنه يمر بمراحل وظروف تجتمع معا فيصير مع الوقت إرهابيا ، فإن كنا نريد أن نحمي أنفسنا من التحول نحو العنف الديـني أو نريد أن نساعد الناس من الوقـــوع في التطرف والعنف والديني فلابد أن ننتبـه لهذه الأمور ومعالجتها قبل أن تتجمـــع وتشتد فتحول المتدين إلي إرهابي .



أن مدخل التحول من التدين نحو الإرهاب هو عندما **يفشل المتدين في فهم روح الوصية وممارسة العبادة بالروح ويبدأ يتحول نحول التدين الشكلي والحرفي** ، فيحفظ الوصايا ولا يفهم روحها ويتمسك بالنص ولا يفهم مغزى النص ولا يعرف كيفية تطبيقه . ويدقق في ممارسة العبادة ولا يسمو روحيا بعبادته . أنه فشل روحي يحاول تعويضه أو إخفاءه بالتشدد الديني ، فيزداد تمسكا بالأشكال الدينية الخارجية فيهتم بالمظاهر الدينية : مظهره كمتدين ، ولغته الدينية ، واهتمامه بأماكن العبادة وشرعيتها وأزمنة وتوقيتات العبادة وكيف يفي بفروضه وواجباته الدينية وكيف يعشر الشبث والكمون (متى ٢٣ : ٢٣) .

هذا التشدد يؤدي إلي انغلاق الفكر وجموده ويسجنه داخل ناموس ضيق ، كما وضح بولس في تجربته مع الإرهاب الديني قبل تحوله نحو المسيحية فقال : أَنِّي حَسَبَ مَذْهَبِ عِبَادَتِنَا الأَضْيَقِ عِشْتُ فَرِّيسِيّاً. (أعمال ٢٦ : ٥) ، التشدد يجعل المتدين يرتد فيصير أصولي الفكر ، متمسكا بالآباء والأقدمين دون وعي لروح كتاباتهم أو ظروف زمانهم ، ويحاول أن يطبق فكرهم متناسيا أن الظرف تغير ، ولا يستفد من روحهم ولا أسلوبهم في التفكير و لم يتفهم التغيرات الحادثة حوله ، وكأن التدين هو لزمن معين ولظرف محدد وبيئة معينه ويبدأ يحاول أن يغير البيئة لتكون كما كان الحال وهذا محال . ولما يفشل في تغيير الأحوال أو تطبيق الأفكار الدينية الأصولية علي الواقع الحالي يزداد عنفا ويلجأ للقوة والعنف الديني محاول تحقيق ما لا يتحقق .

العامل الثاني في عملية التحول هي **الفشل في الحرب الروحية مع النفس** ، فحينما يفشل شخص متدين في حربه الروحية ضد أهوائه ونقائصه وفي مواجه روح الشر التي تحاول تضليله وإسقاطه يبدأ في التخبط الفكري والروحي ، وإسقاطا لفشله يبدأ يحارب نقائصه في الناس فمن فشل في الأمانة مثلا يدعي أن كل الناس غير أمناء ويحارب بعنف السارقين ، وعندما يفشل في مقاومة إغراء روح الشر وأهواء نفسه يبدأ يسقط ذلك علي شيطان يحاربه وعلي أشخاص يدعي أنهم سبب كل الشرور التي في العالم وفي المجتمع ويبدأ في محاربتهم .

هناك ميل عام عند المتدينين في تجسيد الشر في شيطان أو أشخاص واتهامهم بكل شر يقعون فيه ويحدث لهم ثم يبدءون في محاربتهم وينسون أن الميل للشر هو موجود في النفس ، وأننا ننقي القلب من الشر في جهادنا ولا نستأصل الشر من العالم . عندما يبدأ المتدين في اختراع شياطين وتصنيف الناس إلي أشرار وإبرار يبدأ في الدخول في طريق العنف الديني والإرهاب .

العامل الثالث في عملية التحول هو **الانغلاق الاجتماعي** ، فعندما يعاني متدين من العزلة الاجتماعية وفشل علاقاته ، يتحول لاشعوريا نحو التعصب ورفض الآخر ليغطي علي فشله الاجتماعي . ويبدأ يتحول من الدفاع عن عقيدته إلي تكفير الآخر والسخرية منه . ولأنه فاشل اجتماعيا فهو يميل للعلاقات الشاذة الغير سوية والسرية فلذلك يسهل تجنيده من قبل الجماعات الإرهابية الذين تتميز العلاقة بين أفرادها بالسادية - الماسوشية فهناك شخصيات متسلطة عنيفة وشخصيات انقيادية ضعيفة . ثم يبدأ في الانخراط في الأعمال السرية وينعزل أكثر عن المجتمع ، ويبدأ في معاداته .

كيف يعود المضطهد ويتحول إلي شاهد وشهيد ؟

أننا يمكننا أن نمنع تحول المتدين إلي إرهابي ، وكذلك يمكننا أن نساعد الإرهابي والمضطهد الديني ليصير مرة أخري شاهدا وشهيدا من خلال :

١- تنمية ثقافة الاختلاف وقبول الآخر ؟ لابد أن نعمل علي إبراز الاتجاه المسيحي في التعامل مع الاختلاف وفي قبول الآخر ، فنحن متميزين ولكننا نتكامل ، ومختلفين ولكننا نتفاهم . هذا الكتاب يحاول أن يبرز خصوصية المسيحية وتميزها وفي نفس الوقت نفهم كيف نستفيد من اختلافنا عن الآخرين في تعميق رؤيتنا لممارساتنا الدينية وتصحيحها ، كذلك نحن مختلفين ولكن هناك أمور مشتركة بيننا يمكننا أن نتفهمها .

٢- معالجة مشكلة الصراع العرقي والديني لإثبات الهوية ، فلابد أن نساعد الشباب علي تحقيق الهوية ليس من خلال الانتماء الديني فقط ولكن من خلال الانتماء للمجتمع و تحقيق الهوية فيه من خلال إثبات الذات بالتعبير عن الذات واتخاذ مواقف وتحقيق إنجازات حقيقية . كذلك تنمية قيم احترام حرية الآخرين .. في التعبير والاعتقاد .

٣- إن كان الفشل الديني هو أصل العنف الديني فأن النجاح الديني هو الحل . فلا ينبغي أن يحمل رجال الدين الناس أحمال عسرة[٦٤] لئلا يفشلوا ، كذلك يشيعون روح الرجاء والفرح لا روح اليأس ويكفوا عن جلد الذات والتأنيب المستمر .

---

[٦٤] متى ٢٣ : ٤

٤- تحويل جانب من النشاط الديني نحو العمل التطوعي الاجتماعي والثقافي المجتمعي . وفيه ينفتح المتدين علي الآخر ، ويتعرف علي مشاكل المجتمع الحقيقية ويبدأ يشارك في حلها ، وتخفيف شيئا من معاناة الناس ويشارك في رفع الظلم عن بعض الفئات .



الباب الثاني

الروحانية

ما هي الشخصية الروحانية ؟

أ- ما هي المعرفة الروحية؟

ب- ما هو الاتصال الروحي وما هو التأثير الروحي؟

ج- كيف تسيطر الروح علي الجسد؟

ما هي ملامح الروحانية المسيحية ؟

المعتقدات المسيحية في الروحانية

أهداف الروحانية المسيحية

الممارسات المسيحية للروحانية

أن كلمة دين في الإنجليزية " Religion من مصدر لاتيني" *re-ligare* to re-connect أي يعيد الاتصال ، فالتدين هو الذي يعطي الوسائل التي تجعل الروحانية ممكنة لكافة النـــــاس[٦٥] . فلماذا يدفعنا الدين نحو الروحانية ولماذا يهدف التدين أن يقوى قدراتنا الروحانية ، كما أننا أنفسنا نتساءل كثيرا عن حالتنا الروحية ونقيس نجاح تدينا بمدي نمو حالتنا الروحية .

وقد نشأت اليوم اتجاهات عالمية للاستفادة من قدرات الإنسان الروحية في علاج أمراضه ومشاكله الطبية والنفسية ، وبدأت دراسات جادة تتناول هذا الأمر وهناك مؤتمرات علمية لجمعيات الطب النفسي لاستفادة من قدرات الإنسان الروحية[٦٦] ، كما انتشر في الآونة الأخيرة أدعياء الروحانية الذين يدعون العلاج الروحي ويقيمون جلسات لتقوية الروح ويروجون للفلسفات الروحية لجنوب شرق أسيا .

من هنا نحتاج أن نفهم ما هي الروحانية التي نسعى لاكتسابها ، ونتفهم الاتجاهات الدينية والغير دينية للروحانية في العالم لئلا يحدث خلط عندنا مع روحانيتنا المسيحية .

ما هي الشخصية الروحانية ؟

الروح ليست لها تعريف محدد ولكنها هي كل ما هو ليس مادي أو جسدي في الإنسان وكل ما ليس من العالم المنظور أو العالم الحسي .

الروح تختبر أكثر من أن تدرك ، وهي التي تجعلنا نرفض أن نكون محصورين في هذا الوجود المادي وهذا الوجود الزمني ، وتجعلنا نحيا حياتنا بطريقة أعمق من أن نحياها بالقوانين المادية الفسيولوجية الغريزية .

أرواحنا هي التي تجعلنا نرغب في التحرر من سيطرة المادة والجسد والزمن وأن نحيا الحياة في ملء الحكمة ، وفي ملء القدرة علي التعبير الحقيقي عن أعماق أنفسنا ، وأن نتصل بالحياة اتصالا حقيقيا ، اتصالا روحيا تلتقي فيها أرواحنا مع روح الله ، ونلتقي روحيا مع أرواح الآخرين ونحقق الاكتمال والوحدانية .

---

65 http://www.liturgy.co.nz

66 http://www.rcpsych.ac.uk/college/specialinterestgroups/spirituality.aspx

الروح هي التي تدفعنا نحو الحقيقية ، فنحاول أن نفهم حقيقية أنفسنا ، ونحاول أن نفهم حقيقية أحاسيسنا ومشاعرنا وأفكارنا وأن نتخلص من أوهامنا الحسية والوجدانية والذهنية التي تتسبب فيها محدودية أجسادنا بكثافتها المادية .

ولذلك يمكن أن نحدد سمات الشخص الروحاني في :

١. من حسنت حكمته وقوة إرادته .
٢. من كان علي اتصال وثيق وقريب من الله ، وله قدرة الاتصال الروحي بالآخرين وبالأرواح الأخرى .
٣. من تخلص أو قادر علي التخلص من الضلالات والأوهام وخداع الأفكار الخاطئة التي تتسبب فيها الحواس والمشاعر والأفكار .

قوة الشخص الروحية تكمن في قوة حكمته وقوة إرادته ، وقدرته علي التواصل الروحي ، وسيطرته علي جسده فلا يخدع بأوهام حسية فيحيا علي مستوى اليقين لا مستوي الظنون ، ولا يصاب باضطراب وجداني بل يسيطر علي مشاعره وتعبيراتها ويتمتع بهدوء نفسه وسلامة روحه ، ولا يعاني من الصراعات الذهنية ولا اضطراب مسارات التفكير ويتمتع بسلامة الفكر وصفاء الذهن ووضوح الرؤية .

الروحانيون في كل العالم سواء كانوا متدينين أو غير متدينين يسعون نحو الحكمة والمعرفة الكلية ويحققون درجات متفاوتة من الحكمة . كذلك نجد عندهم رسالة أو طريقة حياة يحيونها كما أرادوا ويركزون كل قواهم ومهاراتهم علي رسالتهم ولا يحيدون عنها . تتصف شخصية الروحانيين بالتركيز ولا تعرف التشتيت أو العشوائية ، ورسالتهم في الحياة تجعلهم يحيون فوق الزمان وفوق الظروف ، فلا تشيخ رسالتهم مع الزمن ولا تلين إرادتهم من طول الانتظار .

الروحانيون يجيدون التواصل الروحي ويجيدون وسائله ، فيعرفون كيف يتواصلون روحيا مع الأرواح ، وكيف تنسجم نفوسهم مع أرواحهم ، وكيف يتلاقون مع الأحباء علي مستوي روحي عميق ، وكيف ينفتحون ليلتقوا مع روح الله (أو الأرواح الإلهية أو الذهنية بحسب اعتقاداتهم) .

الروحانيون يحاولون السيطرة علي حركات الجسد لئلا تخدعهم حواسهم ولئلا تخرج غرائزهم عن مساراها وتجعلهم شخصيات حيوانية ولئلا تجرفهم مشاعرهم عن رؤية طريقهم ولئلا يتعكر صفاءهم الذهني فلا يرون الحقائق ويخدعون بالمظاهر .

عكس الروحانيون الماديون ، الذين تجد عندهم علم وليس عندهم حكمة ، فيهتمون بقوانين الطبيعة لا بقوانين الوجود ، وكيف تعمل الأشياء لا لماذا تعمل الأشياء . يهتمون باستمرارية الحياة ولا يهتمون إلي أين تمضي بهم الحياة . ليست لهم رسالة ولا هم إلا أن يحيوا اليوم ويجيدون استهلاكه وشعارهم لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت ، فالذي يحكمهم هو اليوم بمشاكله وظروفه وفرصه ، فالزمن له سلطان كثيف عليهم ويحاربونه بزيادة سرعة إيقاع حياتهم والسرعة في أعمالهم وبكثرة إنجازاتهم .كذلك تحكمهم الظروف ويحاولون استغلال كل فرصة متاحة ويحاربون العوائق .

يحاولون أن يربحوا العالم حتي لو خسروا أنفسهم ، يجمعون المال علي حساب سلامتهم النفسية والضميرية ، يستثمرون حياتهم في بناء مجدهم الشخصي بطريقة مادية تصنع له أسم ويحقق لهم شهرة ، أو يكنزون له كنوز وممتلكات ليشعروا أنهم ملوك ، ويسعون للسلطة ليشعرون أنهم حكام ومتحكمين في سير الحياة ومسيطرين علي الآخرين .

الماديون يجيدون التفاوض لا التواصل لتحقيق مكاسب شخصية وفي أفضل الأحوال يحققون منفعة مشتركة أو متعة مشتركة .

الماديون يهتمون بإشباع الحواس بكثرة النظر لا بعمق النظر وبكثرة التجارب الحسية السطحية لا بالخبرات الروحية العميقة ، وكذلك يهتمون بإشباع الغرائز ولا يهتمون بتسامي الغرائز . ويهتمون بتفريغ مشاعرهم .. والتعبير عنها .. ويحكمهم التفكير المنطقي والنفعي ، والحقيقية عندهم هي ما يدركونه فقط وما يقدر ذهنهم علي فهمه ، ولا يهتمون بالحقائق الكلية ولا الحقائق الغير المدركة .

******

في الحياة الواقعية لا يوجد شخص روحاني فقط ولا شخص مادي فقط ولكن شخصياتنا هي مزيج من الروحانية والمادية ، ولكن هناك شخص ميوله الروحية أعلي من ميوله المادية ، وهناك شخص ميوله المادية أعلي من ميوله الروحية ... فالتقسيم لمادي وروحي هو تقسيم نظري للفهم

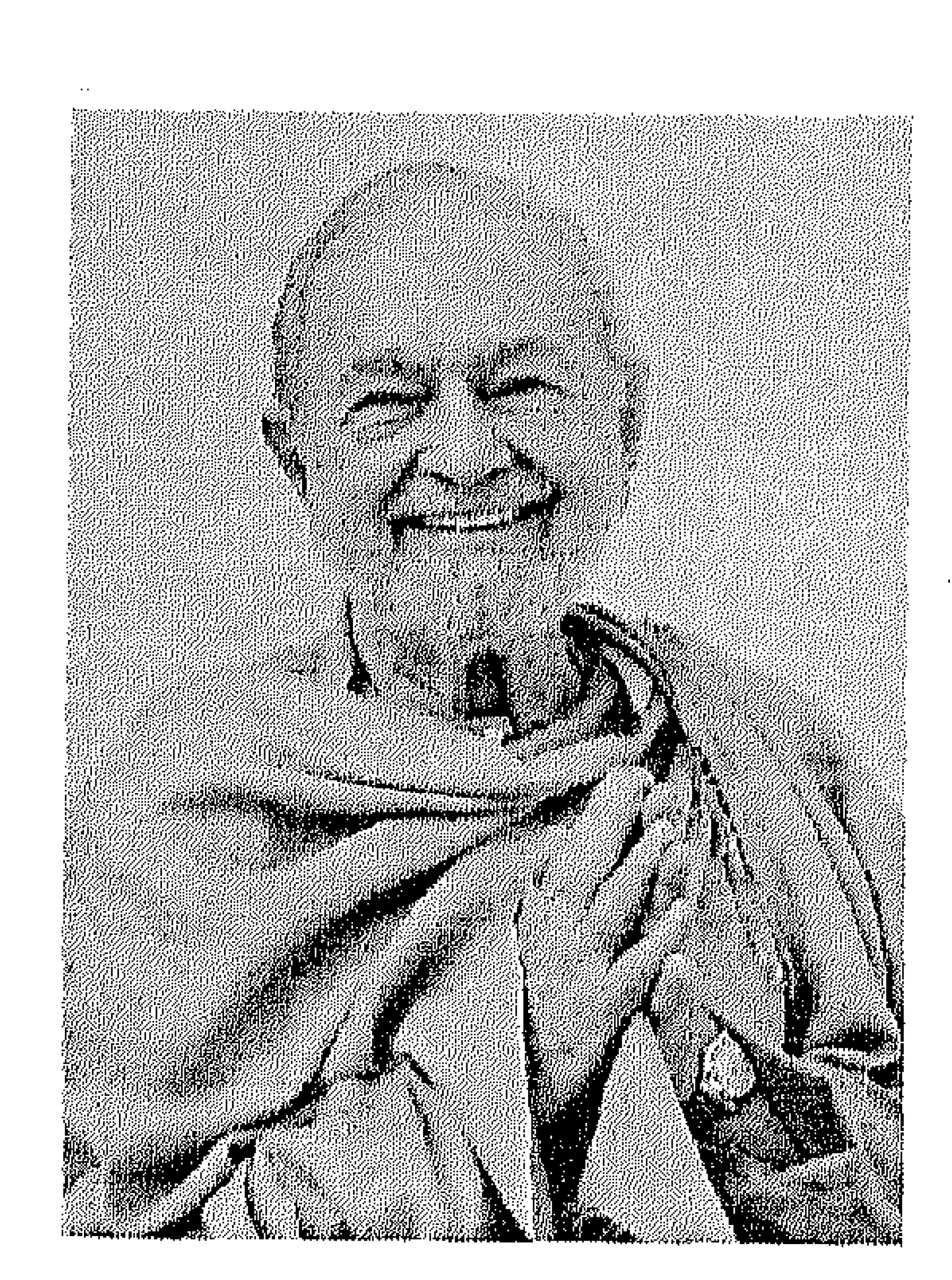
وليس واقع عملي ، لذلك من الطبيعي أن تجد في نفسك بعض من سمات الشخصية الروحانية وبعض سمات من الشخصيات المادية ، ومن الطبيعي أن تجد داخلك صراعا ما بين ميولك الروحانية وميولك المادية ، فالجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد بحسب التعبير الكتابي .

******

تحاول الأديان والفلسفات أن تدفع الإنسان للدخول في الطريق الروحي وتحاول تزكية الميول الروحية لديه . ولكي ما نعي جيدا قضية الروحانية والمادية لابد أن نفهم الفروق بين مفهوم الروحانية من منظور ديني ومن منظور لا ديني ، وكذلك أن نتفهم الشخصية المادية بطريقة أعمق فقد فرق الكتاب المقدس بين الشخصيات الروحانية والشخصيات الجسدانية ، وقسمهم إلي شخصيات شهوانية ، وشخصيات نفسية ، وفي النهاية سوف نناقش خصائص الروحانية المسيحية واختلافها عن الروحانية الغير مسيحية في المعتقدات والأهداف والوسائل .

ما هو الفرق بين فهم الروحانية عند المتدينين وعند الغير متدينين؟

يتفق المتدينون وغير المتدينون في الممارسات الروحانية ، ولكنهم يختلفون في الدافع للروحانية فغير المتدينين لا يؤمنون بعقائد روحية ولا بالروح ولا بالأرواح ، ولكنهم يهتمون بالحياة الباطنية الداخلية ويهدفون من ممارساهم الروحانية الوصول للسعادة ، فالتدريبات الروحية عندهم هي من أجل تحسين نوعية حياهم أكثر منها سعى للوصول إلي مكاسب روحية . بينما المتدينون يهدفون من الحياة الروحية الوصول إلي حياة أفضل فوق الزمن وغير محصورة بالإطار المادي بل ويتطلعون إلي الحياة الأبدية والارتباط بالأرواح وخاصة روح الله .



ما هي علاقة التدين بالروحانية ؟

أن هدف كل الأديان والممارسات الدينية هو اندماج الإنسان في الحياة الروحية وتنشيط روحه وتقويتها ، وأن يحيا حياته علي مستوي روحي أخلاقي أكثر منها مادي وغريزي . ولذلك يعمل الدين علي تكوين معتقدات الشخص عن مفهوم الروح وعن طبيعة الحياة الروحية ويشجع عليها ، كما تعمل الممارسات الدينية علي دخول الإنسان في حالة روحية تتقوى فيها روحه وتتطور حتى تصل إلي مراحل روحية أعمق وأعلي ، لذلك نجد أن التصوف هو أعلي مراحل التدين وفيه يسعي الإنسان نحو الدرجات العليا في الروحانية .

وإن كانت الأديان تتفق علي هدف روحاني مشترك إلا أنها مختلفة في عقائدها عن مفهوم الروح والروحانية وعن عالم الأرواح وعن كيفية الوصول إلي حالة الروحانية .

حتى في الدين الواحد يعتقد البعض أن المسارات الروحية متعددة وكل شخص يجد طريقة الروحي الذي قد يختلف عن ما يظنه باقية المتدينين أنه الطريق المناسب ، وأن الطريق الروحي الأفضل للشخص هو الذي ينجح في جعله شخصية متماسكة وفي وصال روحي دائم مع الله .

الروحاني في مفهوم المتدينين هو الشخص الذي أصبح إيمانه أيمان شخصي أكثر منه إيمان عقيدي وعلاقته بالله صارت علاقة شخصية أكثر منها طقسية ، وصلاته صلاة شخصية لا طقسية . ومعرفته الروحية معرفة اختباريه أكثر منها معرفة عقائدية ، والتزامه الديني التزام شخصي يصنعه بفرح وتلقائية وليس التزام واجب يصنعه بغصب وجهاد .

ما هي خصائص الروحانية ؟

حينما نناقش مفهوم الروحانية فسوف نبحث معني المعرفة الروحية التي يسعي إليها كل الروحانيون سواء المتدينون وغير المتدينون ، كذلك سوف نناقش قضية الاتصال الروحي الذي يحاول به الروحانيون الاتصال بالأرواح أو بالله وما هي علاقتنا بالأرواح وكيف تؤثر فينا ونؤثر عليها . ثم نختتم بمناقشة كيف يمكن أن تقوي الروح وتسيطر علي الجسد وما أهمية ذلك علي تكوين شخصيتنا وعلي صحتنا الروحية والنفسية والجسدية والعقلية .

أولا: المعرفة الروحية

ما هي المعرفة الروحية ؟

هناك فرق بين المعرفة الذهنية التي تعتمد علي عمل العقل البشري ووصلاته العصبية وبين المعرفة الروحية التي تعتمد علي نشاط الروح وانفتاحها .



العقل البشري وجهازه العصبي يساعد علي التفكير المنطقي ويستخدم المدخلات الحسية في عملية التفكير ، كما يستخدم قدرته علي التصور والتخيل في التفكير الإبداعي ، وبواسطة الجاذبية الجنسية تتم عملية التجاذب بين الناس فيحدث التعارف بينهم ، ومن خلال تراكم خبرات الحياة العملية نختبر الآخرين فنعرف من نثق فيهم ومن يمكن الدخول معهم في علاقات .

ولكن إن تحكمت الروح في عمليات التفكير الإنساني ، فأن الروح تستطيع أن تنقل الذهن إلي مستويات أعلي من المعرفة الحسية والمنطقية والجنسية والتجريبية إلي معرفة تعتمد علي الاستنارة والإلهام والكشف والانفتاح ...

فكيف تقوي الروح قدراتنا علي المعرفة وتنقلنا لمستويات أعلي من المعرفة والفهم ؟

١- معرفتنا من المعرفة المنطقية إلي الاستنارة الذهنية

أن التفكير المنطقي تفكير مادي محدود مهما برع فيه الفرد وإجادة لأنه يعتمد علي الأمور التي نستقبلها عن طريق الحواس ويستخدم أنماط من التفكير المنطقي : الاستدلال والتحليل والربط وهي عمليات محدودة بمحدودية عدد الخلايا العصبية للمخ البشري وبقدر التدرب عليها وإجادتها ، وهي مرتبطة بالظروف النفسية التي يعمل فيها الذهن ، فالاضطرابات النفسية تؤثر علي عمليات التفكير وتفسدها ، وكذلك بالظروف البيئة التي توفر للعقل المثيرات التي تحفز الذهن علي التفكير وتوفر له الموضوعات التي ينشغل بها ويحاول فهم منطقها .

ولكن إن تحكمت الروح في عمل الذهن توفر له التركيز والهدوء النفسي ونشطت الحواس الداخلية للإنسان فيعمل التفكير المنطقي بطريقة أفضل ويصل إلي نتائج أعمق .

ولأن الروحي يهتم بقضايا اشمل فإن مجالات تفكيره تكون أوسع ، وينشغل ذهنه بموضوعات أعمق ، ولأهداف أفضل ، فينتج معرفة اشمل وأعمق عن أمور الحياة .

هذه النوعية من المعرفة الأوسع والأعمق التي تتم بمنطق سليم هادئ تسمي **استنارة** Enlightenment . وتسمي حالة الاستنارة في الأديان المختلفة بأسماء مختلفة ففي الهندوسية تسمي Moksha, Jnana وفي البوذية تسمي Nirvana, Bodhi, Satori, Dzogchen, Kensho وفي اليانية تسمي Moksa ، وفي بقية الأديان تسمي استنارة أو كشف . والروحانيون يعرفون كيف يصلون إليها من خلال تدريب أذهانهم علي الهدوء والتركيز العميق . ولهذا السبب نجد أقوال الروحانيين الذين وصلوا لحالة الاستنارة دائما أقوال مأثورة ومملوءة بالحكم والنصائح المفيدة .

٢- معرفتنا من التصور إلي الإلهام :

ما لم نستطيع أن نمنطقه في تفكيرنا نبدأ في تصوره وتخيله ومن خلال عمليات التفكير التخيلي نجد حلول لمشاكلنا التي يعجز المنطق عن إيجاد حلول لها ونبدأ نبدع ونبتكر الحلول .

ومن المؤسف أن تفكيرنا التخيلي الإبداعي يضعف مع الزمن وكذلك يضعف إن لم يجد بيئة تشجعه وتحفزه برغم أنه وسيلتنا القوية لحل مشاكلنا ، ولذلك دائما الحلول التي يصل إليها تفكيرنا في حل المشكلات أما أن تكون حلول ضعيفة أو حلول ناقصة أو حلول تولد المزيد من المشكلات ، فكل المخترعات والابتكارات تجد لها أثارا جانبية .. وبعد فترة ننتبه لخطورة ما نفعله .. ونحاول أن نجد حلولا لنصلح ما أفسدناه بحلولنا السابقة .

ولكن إن حدث تحكم روحي في عمليات التصور والتخيل ، فأن لحظات الاستشراق التي نجد فيها الحلول والأفكار المبدعة نجدها تتحول إلي لحظات **إلهام روحي** ، وإن كان الإلهام تركيب وتوحيد للوصول للجمال والكمال فإن الإلهام الروحي يوصل للبساطة والبراءة .

الإلهام يحتاج إلي تركيز عميق جدا وهدوء شديد وهو لا يحدث إلا من خلال الاتصال الروحي بعالم الروح ، ومن خبرة الروحانيين نعرف أنهم يجدون حلول مشاكلهم دائما في صلواتهم وأن القديسين يواجهون مشاكلهم بالصلاة .

أن إبداعات الروحانيون مؤثرة أكثر من إبداعات غير الروحانيين وتستمر أعمالهم لسنين طويلة إن كانت في شكل كتابات أو إنجازات أو مخترعات .

٣- معرفتنا من الجذب إلي الكشف :

أننا نتعرف علي شخصية الناس ونتعرف علي شخصيتنا الاجتماعية من خلال التجاذب الغريزي الذي يحدث بيننا ، فننجذب لمن يشابهنا تارة ولمن يكمل نقصا فينا تارة أخري . ومن خلال عملية انجذاب الناس لنا وانجذابنا لهم نبدأ في فهمهم وفي فهم أنفسنا ونبدأ في تكوين علاقاتنا الاجتماعية .

ولكن إن سيطرت علينا شهوتنا في عملية التجاذب انجذابنا إلي أجسادهم ولا نصل أبدا لشخصيتهم ، وإن سيطرت علينا عواطفنا تأثرنا بأحوالهم ولا نفهم أعماقهم ، فمعظم الناس تعجب ببعض وتحاول أن تمتلك بعضها البعض أو تتأثر عاطفيا وترتبط بمن يشبع عواطفهم ، ولذلك يظل معظم الناس في علاقاتهم عند أبواب شخصية الآخر وليس أعماقه ولذلك تتبدل العلاقات وتتغير العواطف علي مر الأيام ولا تصمد العلاقات طويلا مع تغير الأحوال .

أما أن حكمت أرواحنا شهواتنا وانفعالاتنا العاطفية استطعنا أن نتجاذب روحيا فندخل إلي عمق معرفة شخصيتهم معرفة حقيقية تصل حتى جذورهم ، وهذه يسميها البعض شفافية روحية .

ويتميز الروحانيون الذين يملكون الشفافية الروحية بقدراتهم علي قراءة الأفكار والتواصل الروحي والتخاطب الخ . كذلك نجد أن العلاقات الروحية علاقات قوية وثابتة ومؤثرة وتدوم مع الأيام .

٤- معرفتنا من الثقة إلي المحبة

هناك معرفة في حياتنا نجنيها من حصيلة تجاربنا في الحياة وهذه التجارب أما أن تزيد ثقتنا في بعض الأمور أو تشككنا في جدوى أمور أخري وتسمي هذه المعرفة معرفة اختباريه ، ومن خبراتنا نكون الثوابت في حياتنا ونبدأ نبني عليها منطلقنا في التفكير وفي التخطيط وتدبير حياتنا وتكوين علاقتنا .

الثقة في خبرة حياتنا أمر حساس وحينما تفقد لا تعود بسهولة ، ومن المؤسف أننا نبني كل خبراتنا في الحياة علي الثقة ، ونصنفها إلي تجارب موثوق فيها تزيد ثقتنا في الله وفي أنفسنا وفي الحياة وفي الآخرين وإلي تجارب أخري مخيبة للأمل أضعفت ثقتنا وأصابتنا بخيبة الأمل وولدت فينا الشك والحيرة والقلق والخوف الخ .

الروحانيون يعمقون معرفتهم الحياتية من خلال خبرات المحبة فهم يرتبطون بالله والحياة والآخرين وحتى بأنفسهم بالمحبة ، وهم يجيدون مهارات المحبة ومنها تتولد معرفتهم لله وللحياة والناس وأنفسهم .

أنها معرفة ليست علي المحك ولا تمتحن بما تولده من ثقة أو شك ولكنها معرفة تبني علي الارتباط والتوحد . فالروحاني في حالة وحدة مع ما يختبره ، فحينما يختبر محبة الله لا يختبرها بالثقة ولا يتساءل هل الله معه أم لا ولكنه يختبر كيف يحبه الله ويرتبط به بالمحبة ...

الروحاني يختبر الأمور من الداخل ولا يتوقف عند الأحداث يستخلص منها ما يبعث علي الثقة أو الشك ، فهو يبادر بالمحبة وبالمحبة يبدأ الفهم .. وإليك هذا المثل الغريب أن الشخص العادي حينما ينظر لشجرة يحاول أن يعرف كيف يستفيد منها وأن وجدها مفيدة له يبدأ يستخدمها ،

ولكن الروحي حينما يبدأ معرفته بالشجرة باعتنائه بها ومن خلال عنايته بها يبدأ يفهم احتياجاتها وإمكانيتها ويرتبط بها ويعطيها ... فتعطيه ، هكذا في كل أمور حياته يبادر يحب ويعطي فيفهم ... وتتعمق علاقاته ... ويبدأ العطاء والأخذ ... وتكوين الخبرات والذكريات .

الروحاني يثق لأنه يحب بينما الشخص العادي يحب عندما يثق ، لذلك تجد الروحاني لا يعادي أحد وليس له أعداء بينما الشخص الغير روحي أعداءه كثيرون ويتوجس من كثيرين ويخاف من الناس ومن الحياة ومن المستقبل .

الشخص الروحاني بسبب معرفته الحياتية المبنية علي المحبة تجده عميق جدا في خبرته لدرجة البساطة ، تجد شخصيته سلسلة وسهلة ومثل الأطفال في بساطته وبراءته .

*****

أن الذين يحصلون علي هذه النوعية من خبرات المعرفة الخاصة ركزوا حياتهم للوصول لهذه الدرجات من المعرفة ، فهل هذه الخبرات الروحية متاحة للعامة والبسطاء من الناس ؟

أن الهدف الذي ينبغي لأي شخص يريد تنمية حياته الروحية أن يكون سائر في اتجاه الوصول لهذه النوعية من المعرفة فلا يكتفي بمعرفته المنطقية المحدودة بل يسعي للاستنارة ويكون مستعدا لها فيصير شخصية منفتحة الذهن ويتحرر من ضيق الأفق ومن التعصب . وإن يتقدس خياله وتصوراته فيسير في طريق الإلهام الروحي ويمتلئ بالحكمة ويعرف يحل مشكلاته بطريقة أصوب لا تسبب المزيد من المشكلات ، كما تعطيه أن تكون إنجازاته أكثر فائدة وتأثيرا . وأن تسمو جاذبيته نحو الآخر فتعتدل الإثارة عنده وتهدأ انفعالاته فيقل الغموض في لقائه بالآخر وأن يعرفه بعمق فلا يصاب بخيبة الأمل كثيرا ولا يعاني من سوء الفهم أحيانا . كذلك يحتاج أن ينمي خبرات المحبة فهي الأفضل في بناء خبراته الحياتية وهي الخبرات التي تدوم ولا تسقط أبدا .

ما هي الغاية من المعرفة الروحية ؟

من الأمور المشتركة التي تجمع بين كل الشخصيات الروحية هي سعيهم الدءوب للمعرفة ، فما من شخص روحاني إلا وتجده تلميذا يطلب المعرفة .. وفي سعيه للمعرفة يسعى

لنوعية خاصة وعميقة من المعرفة ، ويستخدم طرقا مختلفة للحصول علي المعرفة ... فما الذي يسعى لمعرفته وما الذي يبذل كل هذا الجهد من أجل الحصول عليه ؟!

أنه يبحث عن " **الحقيقة** " ويسعى ليكتسب " **الحكمة** " ....

الشخص الروحاني يسعي دائما ليدرك الحقيقية فهو لا يريد أن تكون حياته استجابة لظواهر الأشياء والتي يستقبلها حسيا ، ولا يريد أن يحيا بحسب أوهامه وما يتصوره عن الآخرين وعن الحياة وبما يخدعه به عقله ويضلله به ذهنه . أنه يريد **الحقيقية كما هي** ... وأن يتعامل معها **بصدق وواقعية** ، هذا عكس ما يتخيله البعض أن الأشخاص الروحانيون يعيشون في تأملات ذهنية وأفكار مثالية ويحيون الحياة في أذهانهم منفصلين عن الواقع .

ولكن ما هي الحقيقية التي يسعي الروحاني لمعرفتها ؟ وما هي الحكمة التي يسعى لاكتسابها ؟

أن الشخص الروحاني يسعى لمعرفة **الحقيقية الباطنية** والداخلية التي بها يزداد وعيه لذاته وللحياة وللناس والله . ويريد أن يعرف **كيف يتعامل معها** ليكون في توافق وسلام معها .. وهذا عنده قمة الحكمة ، كذلك يريد **معرفة هويته** المميزة ورسالته الخاصة وهدف حياته .

١- معرفة الحقيقة الداخلية :

إن كان الإنسان العادي يسعي لمعرفة الحقيقية فأن الروحاني يسعي لمعرفة الحق . معرفة يستند عليها وتعطيه يقين ذهني وقلبي وتصل به إلي هدف ومعني لحياته . الروحاني عكس المادي فهو لا يريد الحقيقية التي يتمناها والتي يقدر عليها ولكنه يريد الحقيقية كما هي ليبني حياته عليها ، فهو يريد أن يعرف تحديدا حقيقية نفسه ، وحقيقية الحياة ، وحقيقية الله ...

كل الروحانيين يتفقون علي مبدأ "معرفة الحقيقية الباطنية كما هي" ، ولكن هل نجحوا في ذلك ؟ وما هي الحقائق الباطنية التي توصلوا إليها ؟ وكيف عبروا عنها ؟

الحقيقية لها وجوه متعددة ولا أحد يستطيع أن يلم بكل وجوهها ، فهو يعرف بعض وجوهها ويعتقد أنها الحق ، ويبدأ يحيا بما يعتقد ، ولكنه يفاجئ بأن عقائده متناقضة ، فالحقائق الناقصة تبدو متناقضة ، وعمليا لا تتوافق مع الحياة ، فمثلا إن اعتقد أنه مسير ومحكوم بقواعد محددة لحياته ، فأنه علي المستوي العملي الحياتي يجد نفسه يرفض القيود ويميل إلي الحرية ، فهذا ما يتفق مع طبيعته فيشعر بوجود تناقض بين ما يعتقد فيه وبين ما يحيياه ويرغب فيه ...!!

إن الإنسان يعاني داخله من وجود التناقض بين معتقداته ومفاهيمه وواقعه ، ولذلك هو يعاني من صراع ذهني مستمر وصراع ضميري وروحي ، و يحتاج إلي معرفة تنسجم فيها منظومة معتقداته ومفاهيمه مع بعضها البعض حتى يستطيع أن يحيا في سلام مع نفسه ومتوافقا مع الحياة .

أن الروحانيين في مختلف الأديان والحركات الروحية في حقيقة الأمر لا يسعون لبحث صحة المعتقدات بقدر ما يسعون لتحقيق الانسجام بين معتقداتهم ، وحل الصراعات الذهنية بين المتناقضات الفكرية والعقائدية عندهم ليصلون لحالة السلام الذهني .

أن المجتمع بقيمه ، والدين بمعتقداته ، والإنسان بخبراته ، يولد في الذهن بمجموعة متفرقة ومجزئة لحقيقية الحياة ويصعب علي المرء فهمها ووضع تصور واضح لحياته ومعناها ، إنها في ذهنه مثل قطع البازل المتفرقة التي لا تكون صورة لها معني ، وتحتاج منه إلي جهد كبير لوضع كل قطعة في مكانها المناسب ولتتناسق مع جاراتها من القطع حتى تكتمل فتظهر الصورة ويعرف معناها .

إن لحظة الاستنارة عند الشخص الروحي هي اللحظة التي يستطيع فيها أن يوحد معارفه وقيمة وعقائده في إطار واحد ، وقمة الاستنارة هي اللحظة التي تتوحد فيها رؤيته لنفسه وللحياة والله في إطار واحد ، إطار متصالح وغير متصارع .

أننا نحتاج في حياتنا الروحية أن نصل إلي حالة سلام الذهن ، وأن نقلل من الصراعات الذهنية والعقائدية في حياتنا ، فأن سلام الذهن يعطينا سلاما نفسيا وينشط كل قوانا ومهاراتنا وبذلك يمكننا أن نحيا في سلام مع أنفسنا وفي توافق وفاعلية مع الحياة .

الوصول لحالة السلام الذهني المبنية علي توافق المعتقدات وحل صراعاتها أمر يستحق أن نبذل فيه الجهد وهو يمكن الوصول إليه من خلال تدريبات روحية تساعد علي الوصول لصفاء

الذهن وهدوءه ، وكل الأديان والحركات الروحية تقدم تدريبات وممارسات روحية تساعد علي ذلك .

*****

أن الحق لا يستطيع أحد الوصول إليه ولا يستطيع أحد أن يلم بكل جوانب الحقيقية ، ولذلك فإن سعي الإنسان لمعرفة الحق والحقيقية المطلقة هو أمر صعب المنال ويكاد يكون مستحيلا ، لذلك حينما أراد موسى يوما أن يري الله (الحق) قال له الله (الحق) لا يستطيع أحد أن يراني ويعيش . ولذلك سعي كل الروحانيين نحو الحق هو سعي يقترب بهم من الحقيقية ولكنه لا يصل بهم لمعرفة الحق ، لذلك ما يصلون إليه من معرفة ويسميها البعض "المعرفة الكلية " ليست هي الحق ولكنها اقتراب من الحق .

الروحانيين المتدينون وخاصة في التدين المسيحي يقرون أن معرفة الله لا يمكن الوصول إليها مهما بلغ الإنسان من قامات روحية ، وهي تحتاج إلي إعلان إلهي ونعمة وقوة روحية إلهية تمنح للإنسان ليقوي علي هذه المعرفة وعلي قبولها .

٢- معرفة الحكمة والاستنارة :

الجهل يجعل الإنسان في حالة من الغربة ، فهو يحيا في عالم يجهله ويقيم علاقات مع أناس لا يحسن معرفتهم ، ومع الأيام يكتشف أنه لم يكن يعرفهم حق المعرفة .. وحتى نفسه غريبة علية...!! لا يفهم جسده ! ولا كيف يعمل؟ ولا يفهم نفسيته وتقلباته المزاجية ؟! ولماذا تحدث؟! ولماذا هو مملوء بالعقد والمشكلات النفسية ؟! وما هو سر كل هذه التعقيدات النفسية ؟!! وهو يشعر بوجود الله ولكن عقله يشككه في وجوده !! ولا يعرف كيف يتصوره ؟! ولا يعرف كيف يتصل به ؟! ويتساءل ماذا يريد منه ؟! ولماذا يحبه ؟! وكيف يمكن أن يحبه ؟!.... أمور كثيرة يجهلها الإنسان وتسبب له الخوف والاضطراب وتجعله يخطئ كثيرا ... فهو يتخبط لأنه يسير في ظلمة... ولا يعرف طريقه فيها .

الشخص الطبيعي يقاوم جهلة بالمعرفة ولكن معرفته لا تخرجه من حالة الغربة ، لأنه يحاول فهم ما حوله كأشياء منفصلة وكذوات مستقلة ولا يدرك العلاقة بينهم ، يدرس جسده ويفهم عمله ويعالج مرضه ، ويدرس ويحلل نفسه ويفهم المشاعر والانفعالات وكيف تنشأ وكيف تتعقد

وكيف تعالج ، ولكنه لا يعرف علاقة جسده بنفسه ، ولا يعرف حقيقية تأثير جسده علي نفسه ولا نفسه علي جسده ولا كيف يقيم الانسجام في عملهما معا ..وهكذا يحاول أن يفهم الآخر ولكنه لا يعرف كيف يفهم نفسه بالآخر ولا كيف يتكامل مع الآخر ، فالناس كثيرا ما تتزاوج وقليلا ما تتوحد ؟! تنجح في التجاذب وتفشل في الحب .

الشخص المادي الطبيعي يعرف نفسه ويعرف الآخر والأشياء كأشياء منفصلة ولا يدرك العلاقة بينهم ، والعلاقة الوحيدة التي يدركها هي العلاقة النفعية ، كيف يستفيد من الأشياء.. كيف يستغل الآخرين.. كيف يحقق مكاسب شخصية .

الشخص الروحي يسعي ليفهم كيف تتوحد الأشياء المنفصلة في الحياة لتكون في وحدة واحدة ، فلا وجود في الحياة للأشياء المنفصلة ولا للذوات المنفصلة ، فالحياة تكمن في الوحدة والقدرة علي التوحد .

الشخص الروحاني يسعي ليعرف ويقدر أن يتوافق مع نفسه ومع جسده ويتوافق مع الطبيعة وحتى مع الحيوانات وكثيرا مع نسمع قصص خضوع الحيوانات للقديسين ، ويسعي ليتوافق مع الناس والأرواح ، ويعرف كيف يحيا في سلام مع الله .

الشخص الروحاني يسعي ليفهم سر المحبة ، والحكمة عنده هي حكمة المحبة ، ولذلك نجد لغة المتصوفين لغة الحب والعشق ، والروحاني هو عاشق للحياة وعاشق لله ويعشق الناس والطبيعة .

أن تحقيق المحبة هو أمر روحي ويحتاج إلي قوة روحية عالية وحكمة روحية خاصة ، وهذا ما يسعي إليه الروحانيون ... الروحاني يحاول أن يكون دافعه لكل عمل هو المحبة وإن تكون حكمته حكمة المحبة التي توحد .

التفكير العقلي تفكير تحليلي أو تركيبي بينما التفكير الروحي تفكير بسيط يوحد ويبسط ويعود به إلي حالة البساطة ويحقق طلب السيد المسيح " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال فلن تدخلوا ملكوت الله " .

٣- معرفة هويته ومعني لحياته :

من أكبر مشكلات المعرفة في حياة الإنسان هي مشكلة معرفته لذاته ، وسؤاله الشهير **من أنا ؟!** فمحاولة الإنسان لاكتشاف هويته وبالتالي معني وجوده ومعني الحياة نفسها من المشكلات التي تؤرق الإنسان عامة .

والإنسان الطبيعي يحاول أن يعرف نفسه من خلال تعاملاته مع الآخرين ، فالناس هم مرآة نفسه ويكون صورته الذاتية عن نفسه من خلال تفاعله معهم ومن خلال رد فعلهم وتعليقاهم وقبولهم ورفضهم له ومن خلال وجود أعداء وأحباء حوله . وقد يكون الناس مرآة جيدة أو سيئة ليري فيها الشخص نفسه فلذلك كثيرون لم يصلوا إلي فهم أنفسهم أو كونوا صور مشوه عن ذواهم .

يحاول الإنسان الروحي أن يفهم نفسه من خلال تفاعله الروحي مع " المطلق " أو " الله" ويحاول أن يري ذاته فيه ، ليصل إلي ما يسمي الذات العليا أو الأنا العليا أو صورة الله . فيدرك حقيقية نفسه . هذا التفاعل يتم باطنيا من خلال الممارسات الروحية ، سواء كانت اليوجا أو التأمل أو الصلاة ...الخ

فهم الروحاني للهوية مختلف تماما عن فهم المادي للهوية ، فالمادي يري أن الهوية هي الخصائص التي تميز شخصيته عن الآخرين وتجعله مميزا ومختلفا عنهم ، ويمكن أن نسميها هوية انفصالية تساعده علي اكتشاف تميزه ولكنها في الوقت نفسه تزيد انفصاله عن الآخرين ولذلك لسان حال المادي " أنا لست مثلهم ... " بينما الروحاني يري أن الهوية تكمن في الخصائص المشتركة التي تجمعه بالآخر ، بالحياة ، بالأشياء ، بالناس ، بالله ، ولذا يحب أن يتحدث بصيغة الجمع " نحن ... "

فالهوية عن الروحاني تكمن أكثر في التفاعل والشركة أكثر من الخصائص الذاتية ، وفي صيغة أخري الهوية تكمن في عوامل المحبة وليست في الفضائل ، فالهوية مثلا ليست أنك " وديعا " بل أنك" تحب بوادعة " أي ليس ما يقول عليك الناس من أنك رقيقا في معاملاهم أي كان الغرض من وراء هذا التعامل ولكن لأنك تبني محبتك لهم بوادعة . الفرق أن الأولي هي ما يطلقه الناس علي ظاهر تصرفك معهم أما الأخرى هي طريقتك التي تنجح تلاقي المحبة بينك وبين الآخرين . فليست كل وداعة دليل محبة وليست كل محبة هي وديعة .

هوية الروحاني تكمن في خصائص محبته والتي تبرز شخصيته كمحب وتبرز قدرته علـــي الحب .

*****

من الأمور العجيبة ، أن الروحاني الذي يسعي لمعرفة الذات معرفة عميقة ، يبـــدأ هـــذه الرحلة بإنكار الذات ومحاولات إماتة الذات !!

نعم أنه ينكر ما كونه عن صورته الذاتية من خلال الطرق الاجتماعية والنفسية لأنه يعلم أنها صورة مملوءة بالخدع والتشوهات التي تتسبب فيها النفس بخداعها لنفسها وبسبب الحيل النفسية الدفاعية وبسبب نفاق الناس ومجاملاتهم وأغراضهم الخفية وعدم صدقهم وجهلهم . كـــذلك هـــو يميت الذات أي يرفض أن يحيا بهوية يعلم أنه ليست بحقيقية ، أنه مثل ممثل علي مسرح و فجـــاءه نجده يثور علي الدور المرسوم له ويخرج علي النص لأنه شعر بتفاهة النص وعدم صدقه .

في الروحانية المسيحية يحاول الروحاني أن يكتشف صورة الله التي فيه ، وهويته التي تربطه بالله ، ويبدأ تساؤله الروحي الشهير ، ما هي أرادة الله لحياتي ؟ وماذا تريد يارب أن افعل ؟

ما هي طرق الروحانيين للوصول للمعرفة الروحية ؟

بسبب كثرة المثيرات الحسية ، الأشياء التي نراها والأصوات التي نسمعها والأحداث التي تتغير حولنا كل لحظة ، فان ذهننا في حالة تشتيت مستمر بسبب سرعة وتنوع ما يســتقبله مـــن مثيرات ، وهذه الأمور تعطل عملية التركيز الذي هو بداية التفكير العميق ، كذلك أذهاننا في حالة صراع لا يتوقف بين المتناقضات التي نفكـــر فيها ، فكـــثير مـــن الأفكـــار والمفـــاهيم والمعتقدات تتناقض في أذهاننا ، وكثير مـــا تتناقض أفكارنا عن حالتنا ومفاهيمنا عـــن واقعنا ومعتقداتنا عن سلوكنا ، ولذا فأذهاننا تعاني من حالة صراع ذهـــني لا يهـــدأ في الشعور وفي اللاشعور ولا يعـــرف الراحـــة



وبالتالي تفكيرنا يتعبنا ولا نعرف كيف نفكر بهدوء ....بينما الهدوء والتركيز هو أساس التفكير الروحي العميق .

ولذلك يستخدم الروحانيون "**التأمل**" كتدريب علي التركيز العميق والاسترخاء العقلي ، وهو موجود في كل الأديان كنوع من العبادة ، ويمارس منذ حوالي خمسة الآلف سنة ويستخدم فيه تدريبات نفسية جسمية وتدريبات روحية للوصول لدرجة عالية من التركيز الذهني وتحقق صفاء الذهن والتفكير العميق الغير اعتيادي .

ويعرف التأمل بأنه تحكم إرادي في الانتباه لزيادة الوعي للحظة الحاضرة . أن أساليب التأمل تختلف بحسب محور التركيز في التأمل . فإن كان تركيز المتأمل علي أشياء في البيئة المحيطة والأحداث يسمي "**انتباه**" "mindfulness"meditation وإن كان التأمل يتم علي أمر مختار مسبقا يسمي "**تركيز**" "concentrative" meditation

في تدريب الانتباه mindfulness meditation كما في اليوجا ، يجلس المتأمل مسترخيا وصامتا ويركز كل وعيه علي شيء أو حركة لها إيقاع ، مثل التنفس أو صوت معين أو تمرين له حركات إيقاعية متكررة . أن التركيز يعطي صفاء للذهن من كل تطفل للأفكار والخيالات والمثيرات الحسية ، حتى يعتاد المتأمل أن يظل هنا والآن (يعي اللحظة ويظل محصور فيها) بدون أي عناء ويستخدم التركيز كركيزة ليظل محصور في الحاضر ، فيتجنب التحليل الذهني ، والخيالات (أحلام اليقظة) ويركز علي موضوع الوعي ، ويزيد تكرار التدريب واستمراره من تكيف العقل واسترخائه في هذا الوضع .

أما التركيز concentrative meditation علي موضوع مسبق فهو المستخدم في كل الديانات والتدريبات الروحية ، فبينما في تدريب الانتباه موضوع التركيز مفتوحا يمكن أن يكون أي شيء فأنه في التأمل بالتركيز يكون المتأمل يركز علي شيء محدد مثل صلاة متكررة بدون تشتت وكلما تشتت الذهن يعيده المتأمل للموضوع عينه . ويمكن أن يتم التأمل أثناء المشي أو أثناء عمل حركة إيقاعية بسيطة وتركيز الذهن علي هذه الحركة المتكررة بغض النظر عن هدفها أو نتائجها .

وهناك نوع من التأمل انتشر في السنين الأخيرة يسمي التأمل التجاوزي Transcendental Meditation ومن خلال تدريباته يحدث أن تقل معدل نبضات القلب والتنفس

ويقل إفراز هرمونات التوتر ويستخدم هذا النوع من التأمل لمعالجة التوتر والألم فتحسن من الحالة النفسية والصحية للمتأمل .

إن كان الأساس في التأمل هو الاسترخاء الذهني والتركيز العميق فهو كذلك في تقليد الآباء الرهباني ، فالراهب المسيحي يسعي لحياة الخلوة والصمت ليصل لحالة السكون ويتعمق في التأمل ليصل لحالة الرؤية ، ويقول القديس اغريغوريوس الكبير[٦٧]: (إن أول خطوة هي أن يثوب العقل إلى نفسه وينجمع إلى ذاته ، والخطوة الثانية أن ينظر ذاته مجموعاً .. مصلوباً .. خالياً من التصورات الجسدية ، وبهذا يصنع من ذاته سلّما لذاته ليصعد إلى الخطوة الثالثة التي هي فوق ذاته وهي التأمل) ويستخدم الراهب ترديد المزامير أو الصلوات أو صلاة يسوع للدخول في حالة السكون ويركز في القراءة ليصل لحالة الصلاة كما يقول : الأسقف ثيوفان الناسك "*غرض القراءة هو أن نصل إلى موضوع يسترعي انتباهنا ويحتفظ بهذا الانتباه بلا تشتت ، أما اللهج الفكري في معاني الكلمات المقروءة فهو قنطرة العبور من القراءة إلى الصلاة* ، ثم هو يلازم الصلاة بعد ذلك ليعين الإنسان على الاستمرار في صلاة طويلة . أنه جيد في الصباح أن نعكف بعد الصلاة على القراءة ، نقرأ قليلاً لنلتهب، ولكن الحرارة في القراءة ليست هي النهاية المقصودة ، **ولكن القصد هو أن نصل إلى حالة الصلاة ، حينئذ نكف عن القراءة لأن العقل يكون قد كفَّ عن طوافه .**

أن التأمل بوسيلة اللهج هو وصية كتابية في العهد القديم فقد ورد في سفر يشوع١: ٨ "لاَ يَبْرَحْ سِفْرُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ مِنْ فَمِكَ , بَلْ تَلْهَجُ فِيهِ نَهَاراً وَلَيْلاً , لِتَتَحَفَّظَ لِلْعَمَلِ حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِيهِ . لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تُصْلِحُ طَرِيقَكَ وَحِينَئِذٍ تُفْلِحُ ."

أن التأمل بكل تدريباته هو وسيلة يستخدمها البعض للوصول لمعرفة عميقة للذات والحياة ويستخدمها البعض الأخر لرؤية الله (المطلق) أو كوسيلة تجعله مستعدا لرؤية الله .

أن التأمل هو جيد ومفيد لعمل أذهاننا ، ولكنه مفيد أكثر إن أحسن استخدمه لتقوية أرواحنا ، ويكون ذو معني أن نجح في اتصالنا بالله ورؤيتنا له .

---

[٦٧] كتاب "حياة الصلاة الأرثوذكسية"

ثانيا : الاتصال والوصال الروحي

يقول الكتاب المقدس في البدء خلق الله السموات والأرض ، لقد خلق الله عالم روحـــي وخلق عالم مادي ، فكما أنه يوجد عالم مادي وكون ندركه فهناك عالم روحاني لا ندركه ولكنـه يؤثر علينا ونختبر وجوده ، فكل الأديان تؤكد وجوده وحتى الروحانيين الغير متدينين . ولكن ما هو هذا العالم الروحاني وكيف يؤثر ذلك العالم الروحاني علينا ؟ هنا اختلفت العقـــائد والتصـــورات البشرية لماهية هذا العالم وكيفية تأثيره علينا وإمكانية الاتصال به .

لقد أجمعت معظم العقائد أن هذا العالم الروحاني هو الذي يستمد منه الكون المادي طاقة الحياة وكذلك البشر ، فهو مثل الشمس التي تزود الأرض بالطاقة اللازمة لكل نشاط حيوي علـــي الأرض ، فالطاقات اللازمة للنشاط الحيوي - الجاذبية والنور والحرارة - مســتمدة مــن خـــارج كوكب الأرض و بها تنشأ الحياة علي الأرض ، وكما أن جسدنا لكي يعمل يبدأ يـــتزود بطاقـــة يأخذها من الطعام والهواء وهذه يستمدها من العالم خارجه ، هكذا الكون المادي كله يستمد طاقة وجوده من العالم الروحي ، وهكذا نحن نستمد طاقة حياتنا ووجودنا من العالم الروحي .

حينما نقول أن الله روح وأبو الأرواح فهذا يعني أنه الينبوع الحي الذي يعطي كل طاقات الحياة ، لذا فهو الذي يخلق ويحي الأرواح ، الروح الإنسانية هي منحة إلهية ومصدرها إلهي وهـــي مرتبطة بمصدرها ، وهذه الروح الإنسانية هي التي تعطي الحياة للإنسان المادي (الجسد) ولذلـــك

لابد للجسد أن يكون تحت سيطرة الروح ليحيا ويظل مرتبط بالروح ، فإن فارقت الروح الجسد يفني الجسد ويتحلل ويصيبه الموت ، وإن فقدت الروح اتصالها بالله مصدر قوتها وحياتها أصابها الموت الروحي فتتحول إلي روح مظلمة شريرة مدمرة وتدمر ذاتها .

إن العالم الروحاني الغير مرئي والغير مدرك في كل المعتقدات والتصورات هو عالم أرواح ، به أرواح صالحة وأرواح شريرة وفيه أرواح الأموات الصالحين وأرواح الأموات الأشرار . وهذه الأرواح تتميز بعضها عن البعض فلكل روح شخصيتها ، أي لها قوتها ونشاطها ، فتتميز الملائكة مثلا إلي رتب: عروش ورياسات وسلاطين وكراسي وقوات [٦٨] وبعضها لها أسماء شخصية مثل رؤساء الملائكة ميخائيل وغبريال وروفائيل ، فهي أرواح متميزة جدا ، وأرواح المنتقلين تعرف بأسمائها فهي أرواح لها شخصيتها فروح إبراهيم مثلا متميزة ومعروفة ، وفي معتقدنا المسيحي أننا في السماء سوف نأخذ أسماء جديدة[٦٩] أي سوف تكون لنا شخصيتنا المتكاملة والمميزة .

أما كيف تحيا هذه الأرواح في عالم الروح (السموات) وكيف تتفاعل مع بعضها البعض فهو أمر غير مدرك وتحاول المعتقدات الدينية والأساطير البشرية أن تقدم بعض من ملامح هذه الحياة وتختلف في وصف هذه الحياة في طبيعتها ونشاطها ، ولكن تجمع كل المعتقدات والتصورات علي أمر مشترك وهي أن هذه الأرواح هي في حالة صراع ...الأبرار ضد الأشرار[٧٠] ، وان نشاط هذه الأرواح يؤثر بطريقة ما علي حياتنا علي الأرض ، والكتاب المقدس نفسه يؤكد ويحدد أن الملائكة هي أرواح بارة خادمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص ، وأن الشيطان وأعوانه من أرواح الأشرار يحاولون أن يفسدوا الحياة ويدمروها ، ويحاولون أن يسقطوا الإنسان في الشر ويفسدوا حياته ويحولوا روحه إلي روح شريرة .

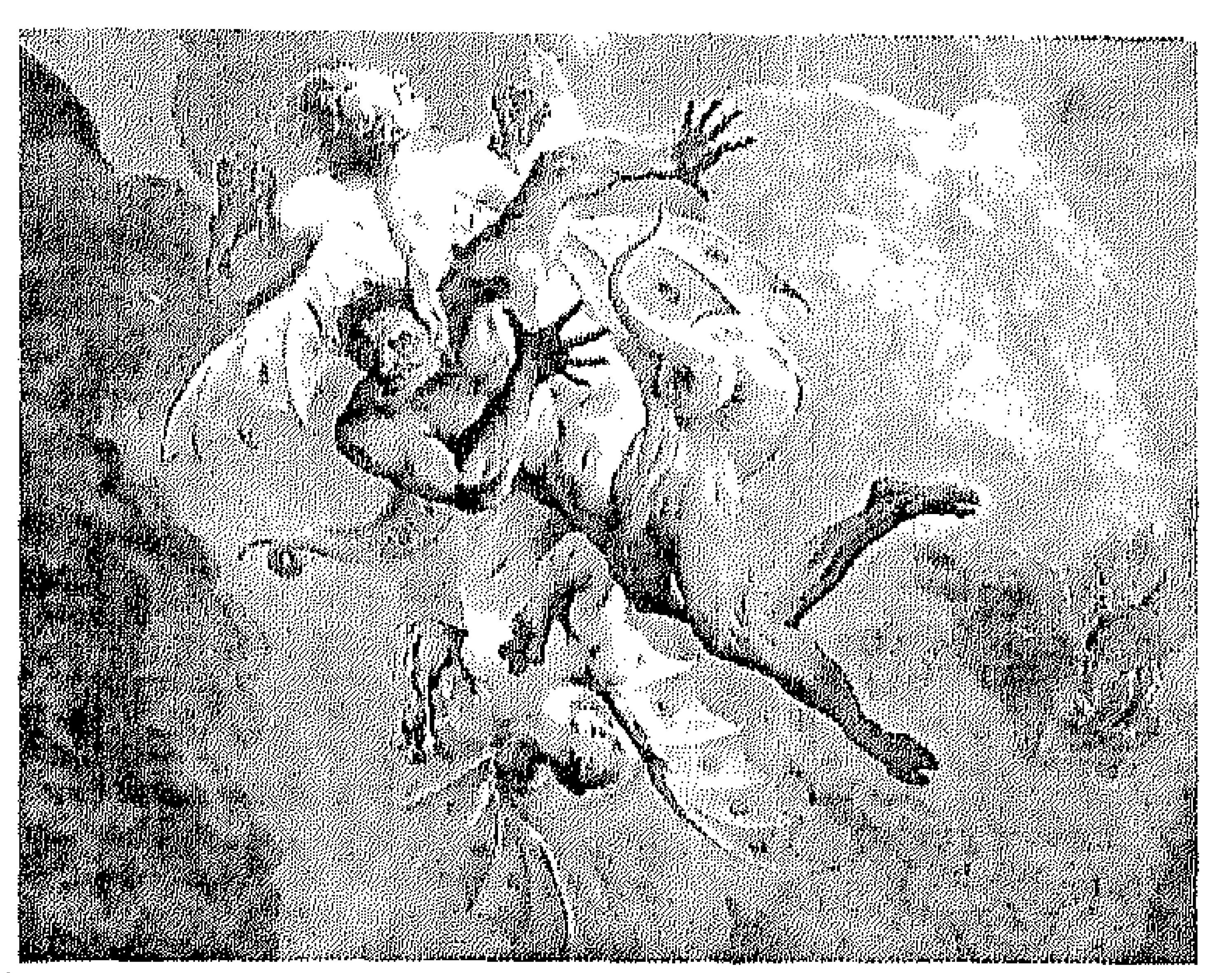
بعض المعتقدات والأساطير تصور أن هذا الصراع علي أنه صراع عبثي بين الأرواح ويكون الإنسان المسكين ضحيتها ، وبعض المعتقدات تصور أنه صراع بين الأرواح الشريرة والإنسان ، وإن الله سلط هذه الأرواح علي الإنسان لاختباره .

---

[٦٨] كولوسي ١ : ١٦
[٦٩] اشعياء ٦٢ : ٢ - رؤيا ٢ : ١٧
[٧٠] (زك ٣ :١-٢)

أما المفهوم المسيحي فهو يؤكد أن صراع الأرواح ليس صراع مطلق بل هو صراح محكوم وهو تحت السيطرة الإلهية ويحقق غرض إلهي ... وأن الله يتدخل فيه لصالح الأبـــــرار والخـلاص الإنسان . فالشيطان حينما أراد أن يجرب أيوب لم تكن له مطلق الحرية في تحديد نوعية التجربة ولا توقيتها بلا تم ذلك بسماح من الله ، وقد استخدم الله تجربة الشيطان لتزكية أيوب وتنقية روحـــه أكثر وأكثر . وينبغي أن نؤكد هنا أن الله لم يدعو الشيطان ليجرب أيوب ، ولكن الله وجه تجربـة الشيطان واستغلها لفائدة أيوب وتزكيته .

حتى الملائكة فأن عملهم يتم بحسب مشيئة الله ويتم بحسب إرسالية الله لهم فهم مرســلون ليحققوا إرادة الله ويبلغوا رسائله للبشر ، وفي حرب الملائكة مع الشياطين يتدخل الله لصالح ملائكته



كما ورد في سفر زكريا : وَأَرَانِـــي يَهُوشَـــعَ الْكَاهِنَ الْعَظِيمَ قَائِماً قُـــدَّامَ مَـــلاَكِ الـــرَّبِّ وَالشَّيْطَانُ قَائِمٌ عَنْ يَمِينِهِ لِيُقَاوِمَهُ. فَقَالَ الـرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: [لِيَنْتَهِرْكَ الرَّبُّ يَا شَيْطَانُ. لِيَنْتَـهِرْكَ الرَّبُّ الَّذِي اخْتَارَ أُورُشَلِيمَ. أَفَلَيْسَ هَذَا شُـعْلَةً مُنْتَشَلَةً مِنَ النَّارِ؟]. (زك ٣ :١-٢)،

والملائكة تعين بعضهم البعـــض في حرب الشيطان كما أعان المـــلاك ميخـــائيل الملاك الذي كان يحمل بشري لدانيال النبي فيذكر الكتاب المقدس " وَرَئِيسُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ وَقَـــفَ مُقَابِلِي وَاحِداً وَعِشْرِينَ يَوْماً وَهُوَذَا مِيخَائِيلُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ الأَوَّلِينَ جَاءَ لِإِعَانَتِي وَأَنَـــا أُبْقِيـــتُ هُنَاكَ عِنْدَ مُلُوكِ فَارِسَ (دانيال ١٠ : ١٣)

هذا الأمر يثير فينا الكثير من التساؤلات الروحية ، فكيف تؤثر علينا هذه الأرواح ، وما هو شكل هذا التأثير ، وهل يمكن روحيا أن نتصل بهذه الأرواح ونستمد منها طاقات نتقوى بها ؟!

إن الإنسان عبر تاريخه الروحي علي مدي خمسة آلاف سنة يحـــاول أن يتصـــل بالعـــالم الروحي بطرق مختلفة وأشهرها ممارسة الصلاة ، فما من دين عبر التاريخ لا يمارس فيه مؤمنيه الصلاة

وما من حركة روحية سحرية أو أسطورية خرافية إلا وكانت الصلوات والتلاوات احدي وسائلها في الاتصال بالأرواح .

كذلك حاول الإنسان عبر التاريخ أن يصف خبراته في تأثير الأرواح عليه من خلال قصص أدبية أو أسطورية أو تفسيرات لظواهر حياته التي يعجز عن تفسيرها ولا يجد لها تفسير منطقي ، ويصف هذا التأثير بتعبيرات هذا مس شيطاني وهذا يسكنه روح شرير وهذه زيارة النعمة وهذه كرامة ... الخ من التعبيرات التي سوف نناقشها لاحقا .

سوف نناقش الآن كيف تؤثر فينا الأرواح وتؤثر علي حياتنا ؟ كذلك سوف نناقش كيف نحقق التواصل الروحي مع الأرواح ؟

كيف تؤثر الأرواح علينا ؟

حينما نناقش تأثير الأرواح علينا فلابد أن نفرق بين تأثير أرواحنا علي شخصيتنا ونشاطنا في الحياة ، وتأثير الأرواح الشريرة علينا وعلي حياتنا ، والتأثير الروحي المتبادل بين أرواح البشر – تأثير أرواح البشر علي أرواحنا وتأثيرنا عليهم ، وتأثير أرواح الأبرار والقديسين المنتقلين علينا ، والأهم في الأمر كله تأثير روح الله علينا وكيف نستمد منه قوتنا وكل طاقات حياتنا .

وسوف نناقش هذا الأمر من منظور مسيحي مع مقارنة مع المفاهيم السائدة حول هذه الأمور داخل وخارج الأوساط الدينية المختلفة .

١- تأثير أرواحنا علي شخصياتنا وعلي نشاطنا .

أن الروح فينا مثل غرفة التحكم التي تحكم حركة سفينة الفضاء أثناء رحلتها في الفضاء الخارجي ، فإن فقد الاتصال بين السفينة وغرفة التحكم تصير حركة السفينة عشوائية وتنحرف عن مسارها وتتوه في الفضاء ولا تحقق غرض رحلتها ولا تعرف كيف ترجع مرة أخري إلي قاعدتها ، هكذا نحن ... فكل أنشطتنا الحيوية والذهنية والنفسية والروحية لابد أن تكون تحت تحكم أرواحنا

وإلا صارت أنشطتنا الحياتية أنشطة عشوائية وغير مؤثرة ولا تحقق أهدافها . والكتاب المقدس يعلن " وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ لاَ يُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ."[٧١]

الشخص الروحاني يعرف كيف يتحكم في تفكيره ويستنير ذهنه بالروح ، فكل معرفة يحصل عليها يعرف كيف يستغلها في تيسير أمور حياته وتحويل كل معرفه إلي انجازات تطور شخصيته وتطور حياته وحياة الآخرين . حينما يخضع الذهن للروح فأنه ينتج حكمة ، وإن لم يخضع للروح فأنه يجني معرفة فقط ، وإن كانت الروح طاهرة وصالحة فإن حكمته تكون حكمة صالحة ، إما إن كانت روحه مظلمة فأنه ينتج حكمة شريرة ومنطق فاسد يفسد ويدمر .

من مشاكل انتشار المادية في الحياة أن الناس تسعي إلي المعرفة والاستزادة من المعرفة ويبحثون باستمرار عن كل ما هو جديد وبلا توقف حتى يصاب ذهنهم بالتشتيت والاضطراب ، فالفضول سمة الإنسان المادي ، والفضول دليل علي معرفة بدون تحكم .

أما الإنسان الروحي الذي يسعي نحو الحكمة فهو يحكم شهوة الفضول ، ويبحث عن ما يفيد وما يبني فقط ولا يهتم بالبحث عن الغريب والمثير من المعارف .

الحكمة قوة روحية تستمد من قوة الروح وهي تزداد قوة حينما تقوي أرواحنا وتشتعل بروح الله ، فالحكمة هي أيضا هبة روحية يمنحها روح الله لمن يطلب الحكمة ، كما يمنحها الله لمن يقوم بعمله وخدمته ، كما حدث مع " يَشُوعُ بْنُ نُونٍ كَانَ قَدِ امْتَلأَ رُوحَ حِكْمَةٍ إِذْ وَضَعَ مُوسَى عَلَيْهِ يَدَيْهِ فَسَمِعَ لهُ بَنُو إِسْرَائِيل وَعَمِلُوا كَمَا أَوْصَى الرَّبُّ مُوسَى. (تثنية ٣٤ : ٩) . الحكمة قوة روحية تقوي بها الروح الذهن ، والحكمة قوة روحية يمنحها روح الله لتقوية أرواحنا واستنارتها .

الشخص الروحاني يعرف كيف يتحكم في انفعالاته ، وروحه تجعل نفسيا هادئا ، فلا يصاب باضطراب نفسي بسبب خوفه أو قلقه أو حزنه أو إثارته ولا يبالغ في تعبيراته وردود أفعاله ، فهو دائما يتمتع بالتوازن النفسي وعليه يعيش في انسجام مع الظروف ومع الناس ، ولذلك نجد الهدوء سمة من سمات الروحانيين ، فهم يتمتعون بالسلام ويمنحون السلام لكل من يلتقون بهم .

السلام الروحي قوة روحية يهبها الله لقديسيه كما وهبها السيد المسيح لتلاميذه وقال لهم " سلامي أنا أعطيكم سلامي اترك لكم . ومن سلام المسيح حفظت قلوبهم ونفوسهم وأذهانهم في

[٧١] ١ كورنثوس ٢ : ١٥

كل الأحوال وظلوا يعملون بنجاح وبدون اضطراب حتى في زمن الاضطهاد . السلام قوة روحية يقوينا الروح القدس بها حينما يعمل فينا فهو ثمره من ثمار عمله في أرواحنا [٧٢].

الشخص الروحاني يعرف كيف يؤثر في كل من يتعامل معهم ويترك أثر في نفوسهم ، وتجده قوي في معرفة الناس يقرأهم بسهوله لأنه لا يخدع بمظهرهم ولا بحسن كلامهم ولكنه يجيد فهم قلوبهم . ويعرف كذلك كيف يمس قلوبهم ويتواصل بعمق معهم .

الشفافية والتأثير هما قوى روحية تنجح علاقات الروحاني ، وهذه القوي تزداد فينا بقوة الروح القدس ، فبطرس يوم الخمسين وبعد حلول الروح القدس استطاع أن يكلم الجنسيات المختلفة بلسان يفهمه الجميع ... والأهم أن كلماته كان لها قوة تأثير روحي نخست القلوب وجعلت الناس تؤمن وتتوب ، وكذلك استطاع بشفافيته الروحية أن يقرأ خدعه حنانيا وسفيرة اللذان حاولا خداع الكنيسة .

الشخص الروحاني يعرف كيف يتحكم في تصوراته وخياله ولذلك فهو مبدع ، وأفكاره قيمة واختياراته موفقه ودائما يطور الواقع ويعرف كيف يجدده .

الروحي تقوى قدراته علي الإبداع حينما يتقوي بروح الله ، فالروح القدس هو روحي محيي ويستخدم كل من يتقوي به في الخلق والإبداع ، ولذلك نجد كل القديسين هم مبدعين يجددون الحياة ويحفظونها من الشر والفساد .

*****

الشخص الروحاني شخص قوى يحكم تفكيره فينتج الكثير من الأفكار المفيدة وتفكيره إيجابي وحكيم ، وهو قوي يحكم انفعالاته ، وبهدوئه يمنح سلاما لكل من يتعامل معهم ، وهو مسيطر علي جسده وحركاته ، وهو مؤثر وينفذ لقلوب الناس بسهولة ، وهو فعال ومبدع وكل قول له وفعل يعمله له قيمته ويملح حياة الآخرين ويحفظها .

---

[٧٢] أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ....

الشخص الروحاني علي المستوي الروحي يحيا مع الله علي مستوي اليقين لا علي مستوي الثقة التي تحتمل الانهيار ، ويحيا الحياة في بعدها المنظور والغير منظور فهو يحيا القيامة وهو في الجسد ، ويحيا في شركة المحبة التي يكتشف فيها هويته وتميزه ويمنح محبيه من نفسه فيحيا فيهم .

*****

كما أن حيويتنا نستمدها من قوة أرواحنا كذلك قوة شخصياتنا نستمدها من قوة أرواحنا ، وأرواحنا تقوي وتضعف ، وحينما تقوي أرواحنا فأننا نزداد حيوية ونشاطا وتأثيرا وحينما تضعف أرواحنا نفقد نشاطنا وصحتنا وتصيبنا الأمراض [٧٣] وتقل فاعليتنا ويقل تأثيرنا في الحياة .

أن علاقتنا الاجتماعية نستمدها من قوة تأثير أرواحنا في الآخرين ، فمن له قوة تأثير روحي يبدأ يتجاذب ويتواصل مع الناس بسهولة ويسر أم من كان لا يملك قوة التأثير فأنه يتنافر مع الناس ويفشل في التواصل معهم . ومن قوة المحبة نمنح من سمات شخصيتنا لتقوي بها شخصية الآخرين .

أرواحنا تقوى وتضعف بتقوية طاقاتها من قربها أو بعدها من الله ، وكذلك من اقترابها أو بعدها عن الأرواح البارة أو الشريرة ، وكذلك باقترابها أو بعدها من أرواح القديسين أو الأشرار .
السؤال الآن : لأي الأرواح نتجه ونحاول أن نتصل بها ؟ وأي طاقة نستمدها منهم طاقة الحياة أم طاقة التدمير ، طاقة لعمل الخير أم طاقة لعمل الشر ؟!

٢- تأثير روح الشر وأرواح الأشرار علينا .

يقر جميع الناس بوجد الشر في الحياة ويعاني الكثيرين منه .... ولكن ما هو مصدر هذه الشرور ؟ ولماذا يصير بعض الناس أشرار ؟

انه سؤال يعذب الناس كثيرا ... و لم يجد أحد إجابة قاطعة شافيه عليه !!

---

[٧٣] يوحنا ٥ : ١٤

فالماديون يعللون سبب وجود الشر بالجهل وأن الخلاص يكمن في المعرفة ، بينما يقـــــر الروحانيون بأن هناك علة أولي للشر تكمن خارج الإنسان وخارج الطبيعة وأن الخلاص يحتـاج إلي قوة روحية تقاوم هذا الشر وتحفظ الحياة من الفساد . وبدأت الأساطير والأديان تحاول أن توضـــح معني الشر وما هو مصدره واصله وتضع تصورات لكيفية الخلاص منه .

صورت الأساطير الإغريقية القديمة أن الإلهة تتصارع وإن الشر وليد صراع هذه الإلهة التي تختـــلف رغباتها عن بعضها البعض وتحاول أن تفرضها علي الإنسان ، فيصير ضحية لصراع هـــذه الإلهة . وصورت الديانات القديمة الفرعونية والفارسية أن الشر يسببه إله شرير ويقاومه إله الخـــير ، ورفضت ديانات أخري الثنائية الإلهية وأقرت بالوحدانية ورفضت مبدأ وجود إله للشر ، وبـــدأت تعلل وجود الشر في روح الإنسان وإن الإنسان الشرير حينما يموت تعاد روحه تتجسد في جســـد لمخلوقات أدني بينما عندما يصير بارا ويتطهر تنسخ روحه في مخلوق أفضل وهكذا تعـــاد دورات حياة هذه الروح حتي تتطهر تماما فتقدر أن تتحد بالروح الإلهية[٧٤] . وأقرت أديان أخري أن الشـــر هو وليد مخلوق روحاني شرير ، ملاك ساقط ، أو جني مارد ، أو هو ملاك مهلك يستخدمه الله في عقاب البشر ...... وقد حاولت الأديان أن تعلل لماذا يحارب روح الشر (أي كان أسمه أو طبيعته) الإنسان ويحاول أن يسقطه ويفسد حياته ، كذلك حاولت أن توضح كيف يحارب الإنسان ، وقـد بالغت بعض الديانات في وصفه ووصف قوته وتأثيره وهونت ديانات أخري من وجوده وأثـــره . ولكن كان هناك شبه إجماع علي عدة أراء أهمها :

أن الشر هو نتيجة اختيار حر وتعبير عن حرية الأرواح وحرية الإنسان . والشر هو اختيار ضد إرادة الله وضد طبيعة الحياة التي خلقها الله ، والبعض يعرف الشر علي أنه غياب الخير وضعف إرادة الخير ، وإن كان الخير يكمن في الخلق والتجديد فإن الشر في طبيعته الهدم والتدمير

وإن كان سر الحياة يكمن في الوحدة والترابط فان الشر في طبيعته يعمل علـــي التمـــزق والتشتيت والانفصال ، فهو يفصل بين الناس ويمزق علاقة الإنسان بالطبيعة وعلاقة الإنسان بـــالله ويمزق علاقة الأرواح بالله .

---

[٧٤] عقيد تناسخ الأرواح في الديانات الهندية

أما كيف يعمل الشر علي التدمير والتفتيت ؟ فالشيطان ليس له قوة للعمل المباشر بل يعمل من خلال وسيط .

إن روح الشر تحاول أن تدمر الكون الذي خلقه الله من خلال الإنسان ، فإن نجح في السيطرة علي الإنسان استخدمه كوسيط ليفسد الحياة ...... ففي إيماننا المسيحي أن سقوط الإنسان الأول بإرادته الحرة وغواية الشيطان هو الذي أدخل الموت والفساد إلي العالم ، فالله قال لآدم الساقط " ملعونة الأرض بسببك " ويقول بولس الرسول " كما بخطية إنسان دخل الموت إلي العالم ..." فالشيطان تسبب في دخول الفساد إلي الحياة حينما نجح في غواية آدم وأسقطه . الشيطان ليس له قوة أن يميت أحد أو يفسد الطبيعية ولكن كل من سقط في غوايته بإرادته الكاملة يسير هو في طريق الموت وينشط الفساد في حياته .

أما عن أسلوبه في العمل فأن قوة تأثيره تكمن في قدرته علي الإيحاء وزرع أفكار الشر ، قوته تكمن في قوة تأثيره علي الفكر ، فتحدث أفكاره تأثير علي فكر الشخص فتفسد ذهنه ، وهذه الأفكار تسبب له اضطراب نفسي وتفسد قدرته علي الاختيار والتمييز .

******

وبسبب محاولة الشيطان استخدم الإنسان كوسيط لينشر الشر والفساد والتدمير وبسبب قوة الشيطان علي الإيحاء والخداع ، وبسبب خبرات الناس في هذه الحرب الروحية ، عبر الناس عن خبراتهم بتعبيرات مختلفة وكان من أشهرها اعتقاد كثيرين أنهم ممسوسون من الشياطين أو الأرواح الشريرة أو الجان ، كذلك اعتقاد البعض أنه ملبوس من الشيطان أو أن جني أو روح شرير يسكنه ، وبدءوا يعللون اضطرابهم العقلي أو النفسي بأنه من فعل الشيطان ، وأن سيطرة أفكار شريرة بعينها عليهم هي سيطرة شيطانية عليهم وأن اضطرابهم النفسي وفقدانهم توازنهم النفسي هو



بسبب فعل شرير (عمل شرير) يؤثر علي نفسيتهم وإن كل إدمان وضعف لأرادهم هو بسبب تقيد الشيطان لهم ، وإن كل مرض وضعف في الجسد هو بسبب شيطان يسكنهم . وبسبب هذه المعتقدات أصبحت الناس تخاف من الشيطان كثيرا وتنسج حكايات وأساطير تبالغ في قوته وتمجد في قدراته حتى أن البعض بدأ يعبده وظهرت عبده الشيطان ، والبعض الآخر حاول أن يحتمي ويتحصن منه ولجأ للعرافين والسحرة والمشعوذين ليحموه من الشيطان ومن أعمال الناس الأشرار .

أننا نحتاج أن نحلل خبرات الناس عن هذه الأمور ونتفهم معتقداهم عن المس الشيطاني وعن سكني الشيطان للأجساد وعن عبادة الشيطان ، لنفهم حقيقية تأثير روح الشر علينا وكيفية التعامل الروحي معها ؟

*****



مما لا شك فيه أن العلة الأولي لكل شر واضطراب ومرض وفساد في الحياة هو ناتج عن غواية شيطانية ، ولكننا نحتاج أن نفرق في الحياة الروحية بين الحرب الشيطانية وبين الضعف البشري والمرض النفسي ، لأن لكل أمر منها وسائل مناسبة للتعامل معه وعلاجه .

ما المقصود بدخول الشيطان في شخص ؟ وهل يمكن أن يسكن الشيطان إنسان ؟

الدخول وسكني الشيطان تعبيران للدلالة علي نجاح الشيطان في التأثير علي شخص ما . فالشيطان يدخل بأفكاره ويسكن ويستقر في شخص حينما ينجح في جعله ينفذ كل ما يوحي به دون أي مقاومة فيصير أداه في يديه لصنع الشر ونشره . والشيطان حينما يدخل شخص يمس ذهنه بأفكاره الشريرة والضلالات الذهنية الروحية ، ويمس رغبته بإثارة الشهوات ، ويمس إرادته بزرع روح الكسل والتواكل ، ويمس نشاطه بالتشتيت .

الشيطان يدخل ويخرج من محاربة الشخص بحسب مقاومته له وبحسب حالته الروحية والنفسية والذهنية ، فكلما كان الشخص في حالة روحية جيدة لا يقدر الشيطان علي مس أفكاره

ولا رغباته ولا إرادته ولا نشاطه . ولكن إن كان الشخص في حالة روحية ضعيفة أو في حالة حزن شديد أو في حالة سرحان أو تشتت ذهني فيسهل عليه القيام بهجوم مباغت بأفكاره ويجد الشخص نفسه يقبلها بدون مقاومة ويبدأ رحلة سقوط .

الشيطان يتملك الشخص حينما ينجح في السيطرة علي ذهنه ويجعله يقبل كل أفكاره دون مناقشه ودون مقاومة بل ويصدقها ويؤمن بها فيبدأ يملي عليه أعماله ويقود خططه وأحلامه ، ويملك عليه حينما يشعل شهواته ويؤججها فيفقد الشخص سيطرته علي شهواته وتبدأ شهوته تقوده فيحيا من أجل إشباعها وهي لا تشبع فيصاب باضطراب نفسي ويقوده نحو الجنون[٧٥] . وكذلك حينما ينجح في زرع روح الكسل فتضعف الإرادة تدريجيا حتى تصل لمرحلة الشلل والضعف التام[٧٦] . ويملك الشيطان علي الشخص حينما ينجح في تشتيت الشخص وإصابته بالتفكك فلا تقوم عناصر شخصيته بوظائفها الطبيعية فمثلا يجعل طاقات الجنس لا تعمل علي تحقيق الحب بل يدفعه في طريق إشباع الشهوة ، ويجعل الشخص يأكل لإشباع شهوة البطن وليس من أجل الصحة وهكذا في كل أنشطة الإنسان الحياتية ، فحينما تحدث للشخص حالة التفسخ يصاب بالأمراض الجسدية والنفسية وتصير أعماله باطلة وبلا جدوى .

سكني الشيطان لإنسان ما ، تعني أنه يحكم سيطرته عليه ويمارس نفوذه بنجاح عليه ، ولا تعني أنه تجسد في ذلك الشخص . الشيطان قد يقيد الشخص بقوة تأثيره عليه ولكنه لا يصير ذهن الشخص ولا نفسه ، فحينما يتكلم أو يعبر فهو يتكلم عن نفسه ويعبر عن نفسه التي تلوثت بالشر ولكن لا يتكلم الشيطان منه ولا يعبر عن شخصه به ، فحرية الإنسان لا تفقد حتى لو نجح الشيطان في سكناه والتأثير الشديد عليه ، ولذلك يظل الإنسان مسئولا عن نفسه وما صنعه بنفسه بتجاوبه مع الشيطان وسماحه له أن يدخله ويسكنه ويقيده ، وهو إن قبل روح الله بإرادته فأن الشيطان يخرج منه ويستطيع أن يتحرر من قيوده . وكما أكد القديس يوحنا ذهبي الفم قائلا : ليس للشيطان سلطان عليك ما لم تسمح أنت له .

---

[٧٥] مرقس ٥ : ٢- ١٥

[٧٦] لوقا ١٣ : ١١

ما الفرق بين الوساوس الشيطانية والوساوس المرضية ؟

لكي نفهم كيف يقحم الشيطان أفكاره ويجعلها تتسلط علينا لابد أن نفهم أولا كيف نفكر ولماذا نعاني في بعض الأحيان من الوساوس والأفكار التسلطية علينا .

يقول بعض علماء النفس أنه هناكَ نوعين من أنواع التفكير البشري أحدهما هوَ التفكير على الخط On-Line Thinking ويقصدُ به النشاط العقلي الموجهُ لمشكلةٍ يواجهها الشخص في اللحظةِ المعينة وأما النوع الآخرُ فهوَ التفكير خارج الخط Off-Line Thinking ويقصدُ به النشاطُ العقلي الهادفُ إلى حل المشكلات التي قد يواجهها الشخص في المستقبل .

فحينما يتعرض الشخص لمشكلة ما يكون الذهن مشغول تماما ومنحصر في إيجاد حل لمشكلته ، وعندما لا توجد مشاكل حقيقية في الواقع يبدأ يتحول النشاط العقلي حول احتمالات حدوث مشكلات ويبدأ يفكر الشخص ولسان حالة يقول ماذا لو ... ويبدأ يستشعر الخطر ويحاول أن يضع سيناريوهات لحلول لهذه الأخطار المحتملة ويبدأ يتخذ إجراءات لتجنب حدوث هذه الأخطار .

ويبدأ يتمسك الشخص بهذه الحلول فتتسلط علي تفكيره وترسخ في ذهنه ويعتقد فيها وتكون معتقداته ، ولا ينبغي أن ننسي أن المعتقدات في أحدي أوجهها هي حلول لمشكلات الإنسان في مواجهة الحياة والمصير .

كذلك نجد الشخص يتخذ سلوكيات يعتقد أنها تجنبه مخاطر محتملة وترسخ هذه السلوكيات وتتحول إلي عادات سلوكية .

كل شخص سوى لدية حاسة لاستشعار الخطر المستقبلي المحتمل وكذلك عنده أفكار راسخة متسلطة نحو كيفية مواجهة الأخطار المحتملة ومواجهة المستقبل ، وأيضا لدية سلوكية ثابتة يمكن أن نقول أنه اجبر نفسه عليه وتحولت إلي عاداته السلوكية لأنه يظن أنها يمكنها أن تحميه من الأخطار المستقبلية المحتملة .

في بعض الأحيان تزداد حساسية الفرد لاستشعار الخطر والاحتمالات المستقبلية بسبب القلق النفسي أو الاكتئاب فيزداد وعي الشخص لهذه الأفكار وكلما زاد تفكيره فيها زادت وساوسه وتبدأ هذا الأفكار تتسلط عليه وتزيد من تمسكه ببعض الأفعال حتى تصير أفعال قهرية مسيطرة عليه .

وفي أحيان أخري يخرج الأمر عند حد السيطرة ويصاب بعض الأشخاص باضطراب نفسي ويتحول الأمر إلي مرض نفسي يسمي الوسواس القهري والذي يتميز بوجود أفكار متسلطة قهرية يحاول الشخص أن يتخلص منها ولا يقوي علي ذلك ، وكذلك يتميز بأفعال قهرية في هيئة طقوس وحركات لا يقوي علي الكف عن القيام بها وتكرارها .

أما نوعية الوساوس التي تدور في الأذهان فهي تختلف من شخص لآخر ، بحسب درجة إحساسه بالمسئولية أو بحسب رغباته المكبوتة ، فكلما كان الشخص ملتزما يحاول أن يحافظ علي التزامه فتكثر لدية التساؤلات والمخاوف بحسب مجال التزامه ، فالملتزم دينيا تكثر وساوسه الروحية وأسئلته الدينية ، والذي يكبت رغباته الجنسية تكثر وساوسه الجنسية وتكثر محاولاته للحفاظ علي طهارته . لذلك ينبغي أن ننتبه لأهمية البيئة والتربية في كون الشخص موسوس أم لا ، فهي تتدخل في نوعية الأفكار التطفلية والوساوس التي يعاني منها .

إن كانت الوساوس المعتدلة هي مفيدة للإنسان فإن الشيطان يحاول أن يفسدها ويجعلها أفكار تسلطية ليقهر سلوكه ويدفعه نحو الشر ، فما هي إستراتجيته في ذلك ؟ وكيف يؤثر علي تفكير الإنسان ويفسده ؟

ا- يحاول الشيطان أن يفسد حاسة الاستشعار بالخطر ، فبرغم أن كل أفكار الشر هي لتدمير الإنسان فأنه يحاول خداع الإنسان وينفي عنها صفة الخطر كما خدع حواء في تجربته وقوله لها لن تموتا . فكل الخطايا تحمل في ذاته فسادا وتدميرا لحياة الإنسان إلا أنه يخفي هذا الأمر عن الإنسان ويحاول نفيه . ولذلك ينجح بسهولة مع الأشخاص الفاقدين الإحساس بالمسئولية والذين لا يستشعرون الخطر ولا ينتبهون لمستقبلهم .

ب- إن كان لكل شخص قناعات وحلول ومعتقدات يحيا بها ليتجنب الأخطار المحتملة ، فإن الشيطان بأفكار الشر يبدأ يشكك الإنسان في معتقداته ليبدأ يتساءل ويتساءل ويدخل في دائرة الوساوس المستمرة ، ولا يكف تفكيره عن محاولة الوصول لحلول ولا يستطيع تكوين معتقدات ثابتة لحياته ، ويستمر علي هذا الحال حتي يمزقه الشك .. ويجهد تفكيره فيصاب باضطرابات ذهنية .

ج- يحاول الشيطان أن يثير الرغبات الإنسانية بإيحاءات مثيرة ، فيثار التفكير في اتجاه معين وتبدأ الأفكار تتركز وتتسلط وتكثر الأحلام وتثار الرغبات وتشتعل أكثر فأكثر حتى تتحـــول إلي أفعال قهرية .

د- يحاول الشيطان استخدام أسلوب الهجوم المباغت بأفكار مقلقة أو نجسة في أوقـــات يكون فيها الإنسان في حالة روحية جيده ، ففي وقت الصلاة يزعجه بأفكار إلحادية أو أفكار خطية أو ذكريات شر ، حتى ما يحدث نوع من الشوشرة الذهنية ويفقد الإنسان هدوءه ويخرجه من حالته الروحية[٧٧] .

الخلاصة : الذهن الإنساني وعمليات التفكير العقلي بها مناطق ضعـــف عديـــدة يمكـــن للشيطان أن يتسلل منها ويؤثر علي سير تفكيرنا وعمل أذهاننا ، لذلك فـــأن الروحـــانيين دائمـــا ينصحون بأن نحصن الذهن بالتركيز علي أمور جادة في حياتنا وبتجنب حالة كسل الذهن وتشـــتته بالسرحان وأحلام اليقظة . وكما يقال في الأدب الرهباني: العقل الكسلان معمل للشيطان .

كذلك تحصين الذهن بالأفكار المفيدة وبالوصايا الإلهية ، فالسيد المسيح واجـــه حـــرب الشيطان وأفكاره وإيحاءاته بالوصية وفي كل تجربة كان يقول له " مكتـــوب " ويذكر له وصيـــة كتابية . أفكار الشر تواجه بكلمة الله ، فكلما كان الذهن ممتلئا بكلمة الله ومتفكرا فيها كلما كان متحصنا من هجمات أفكار الشر وحرب الشيطان .

ما الفرق بين الصرع الشيطاني ومرض الصرع ؟

مرض الصرع هو مرض يحدث بسبب خلل كهربائي في المخ وله أسباب عديـــدة ، وفي نوباته يصاب المريض بتشنجات وقد يعقبها فقدان للوعي وقتي ويخرج لعاب من الفم وقد يفقـــد التحكم في التبول وقتيا .

لقد ربط الناس في ثقافات عديدة بين الصرع والشيطان ، وذلك لأن الصـــرع يحـــدث بطريقة مفاجئة ويفقد المريض سيطرته علي نفسه ويتركه في حالة مزية ، وهكذا الشيطان يبـــاغت

77 http://www.copticpope.org/modules.php?name=News&file=print&sid=515

الإنسان في أوقات لا يكون المرء مستعدا له وحينما ينجح يفقده سيطرته علي نفسه وشهواته ويجعله ينحرف عن طريقه ويتركه وهو نادم ومنكسر وفي حالة روحية ساقطة وسيئة .

الشيطان ليس السبب المباشر لمرض الصرع وإن كان هو العلة الأولي لكل مرض وفساد في الحياة . والسيد المسيح حينما أخرج شيطان من الشاب المصاب بالصرع فهو أخرج العلة الأولي لمرض الشاب . أن هذه المعجزة والمعجزات المشابهة كان الرب يريد أن يوضح أن الشفاء الذي هو أحد نتائج الخلاص يحدث بالانتصار علي الشيطان .

أما من يتشنجون أثناء الصلاة فهو مصابون بحالات هستيرية وليس صرعا ، وتشنجهم ليس دلالة علي وجود أرواح بهم بقدر ما يدل علي خلل اتزانهم النفسي لوجود مشكلات نفسية عندهم . ونكرر قد يكون الشيطان هو العلة الأولي في اضطرابهم النفسي ولكنه ليس السبب المباشر . فنحن ينبغي أن نتعامل مع الأسباب المباشرة لعلاجهم ، ونأمل من محاربة روح الشر أن نصل للشفاء التام ونوال الخلاص وهذا أمر أخر .

ما الفرق بين حالات الانشقاق النفسي وخروج الشيطان ؟

في بعض الأحوال نجد شخص ما يدعي أنه له قدرات خاصة يتمتم بأدعية دينية علي شخص يدعي أن شيطان يسكنه ، فيبدأ هذا الشخص في التشنج ويتكلم بلغة أخري أو بصوت شخص أخر مثل امرأة تتكلم بصوت رجل وتجاوب علي أسئلته فيسأله عن اسمه وعن نوعه ويبدأ يطلب منه أن يخرج منه ويضرب الشخص موحيا أنه يضرب الشيطان حتي يستجيب له . هذا المشهد المتكرر في ديانات مختلفة وثقافات مختلفة ، هل هو حقا إخراجا للشياطين وما هي حقيقة هذا المشهد ؟

لكي نفهم الأمر لنفهم شخصية المريض الذي يظن أن شيطان يسكنه ، ونفهم شخصية المعالج الذي يدعي قدرته علي إخراج الشياطين

هناك شخصيات قابليتها للإيحاء عالية جدا سواء كان من المرضى النفسيين أو من الأشخاص العاديين ويتميز أصحاب القابلية العالية للإيحاء بسرعة تأثرهم بالأحداث اليومية والأخبار المثيرة وتفاعلهم القوي مع هذه المؤثرات ، واهتمامهم بما قيل وما يقال ، وأخذ ذلك في الاعتبار عند اتخاذ قرارهم ومواقفهم في الحياة .

و يتميز هؤلاء الناس أيضًا بقدرتهم على إحداث ما يسمي في علم النفس بالانشقاق أو الانفصال في الشخصية أو الوعي وذلك عند الحاجة ودون إرادة بالطبع ؛ فالواحدُ منهم يمتلك القدرة على الهروب من مواقف معينة بالتحلل من شخصيته أو كينونته الأصلية أو من وعيه الحاضر و اكتساب كينونة أخرى أو وعيا آخر يناسب الظروف الجديدة ويحدث ذلك دون أن يقصده الشخص أي دون إرادة مسبقة منهُ ويسمي اضطرابات الغيبة والتملكTrance and Possession Disorders ، ويقتصر انتباهه وإدراكه أو يتركز على واحدٍ أو اثنين فقط من جوانب البيئة المباشرة وهو في هذه الحالة ، وكثيرا ما توجد مجموعة محدودة ولكن متكررةٌ من الحركات والأوضاع والتمتمات التي يقوم بها .

أما متى وكيف يدخل في هذه الحالة ؟ فهي نوع من التنويم المغناطيسي يدخل فيه هذه النوعية من الشخصيات المرضية ، فبحسب أحدي الدراسات الأمريكية[٧٨] فأن ٥% من الناس تكون قابليتهم للإيحاء عالية جدا لدرجة أن مجرد تركيزهم مع أي منبه منتظم كدقات الساعة مثلا أو صوت تنفسهم يمكن أن يدخلهم فيما يشبه النوم المغناطيسي من تلقاء أنفسهم !!

ويعتمد التنويم المغناطيسي علي وجود ارتباط نفسي شديد بين المنوَّم و المنوِّم ، وخلال فترة النوم هذه و وجود رغبة شديدة لدى المنوَّم في إرضاء و إسعاد المنوِّم !! فليس الأمر فقط أن المنوَّم يطيع المنوِّم في كل ما يأمر به و إنما هناك أيضا نزوع لدى المنوَّم لفعل و قول ما يريدُهُ المنوِّمُ حتى و إن لم يصرحْ به المنوِّمْ ! أي أن أحلام و رغبات المنوِّم هيَ أوامرُ بالنسبة للمنَوَّمْ!! و هنا تكمن المفارقة التي تسببت في إيهام الكثيرين بأن المريض النفسي و هو تحت تأثير رجل الدين و هيلمانه إنما يظهر عليه الشيطان أو الجني ويتكلم بلسانه ! و الحقيقة أن هذا النوع من المرضى إنما هم من ذوي القابلية العالية للإيحاء وبالتالي للدخول في النوم و فعل ما يحلم به بمجرد وضع يده على جباههم بل إن بعضهم يدخل في نوبات النوم بمجرد رؤيته للزحام حول مكان رجل الدين الولي هذا !

أن أسلوب رجل الدين في التعامل مع الشيطان الذي يسبب الأعراض يدفع بعض المرضى إلى قول ما يريده الولي المعالج وهم بكامل وعيهم فقط ليتخلصوا من ضغطه الشديد على رقابهم مثلا

---

78 http://www.maganin.com/suspicions/suspicions١٤.htm

و هو يطالب الجني المزعوم بالاعتراف وبسبب الإحساس بالألم والاختناق والرغبة في الخلاص فينطق بما يريده الولي فيخفف من ضغطه و يواصل أسئلته و يواصل المريض اختراع الإجابات التي تريحه لكي يريح المريض نفسه وهكذا يصدق الولي نفسه و يصدق الأهل أنهم سمعوا الشيطان أو الجني يتكلم

أن إخراج الشياطين ليس عملا استعراضيا , ولا يعتمد علي الحيل النفسية, والخدع البصرية , ولكنه عملا روحيا للقديسين , يعتمد علي أسس روحية حكيمة , فهو موهبة روحية من مواهب الروح القدس وهو يتم بقوة الروح والكلمة . الشخص الذي يقوم بإخراج الشياطين لابد أن يكون قويا روحيا متحصنا بالصوم والصلاة ومنهما يكون اكتسب قوة الكلمة والارتباط بحضور الله ، كذلك إخراج الشياطين هو موهبة ونعمة إلهية يمنحها الله لخدامه وقديسيه الذين يشاركون في محاربة الشيطان وروح الشر .

كذلك لا يمارس إخراج الشياطين علي الشخصيات بعينها ولكن الروحانيين يعملون بقوة علي محاربة كل أفكار الشر وضلالاته وأوهامه التي تعمل في أي إنسان ، وفي كل إنسان .

إخراج الشياطين يتم بالأمر وليس بالضرب ويتم محاربته بكلمة الله الواعية وليس بالتمتمة ، فمن يحارب شيطان ويخرجه يعرف كيف يختار الكلمة الإلهية المناسبة ، فالسيد المسيح في محاربته للشيطان علي الجبل كان يستخدم في كل تجربة آيات محددة تظهر وعيه وإدراكه وفهمه لكلمة الله .

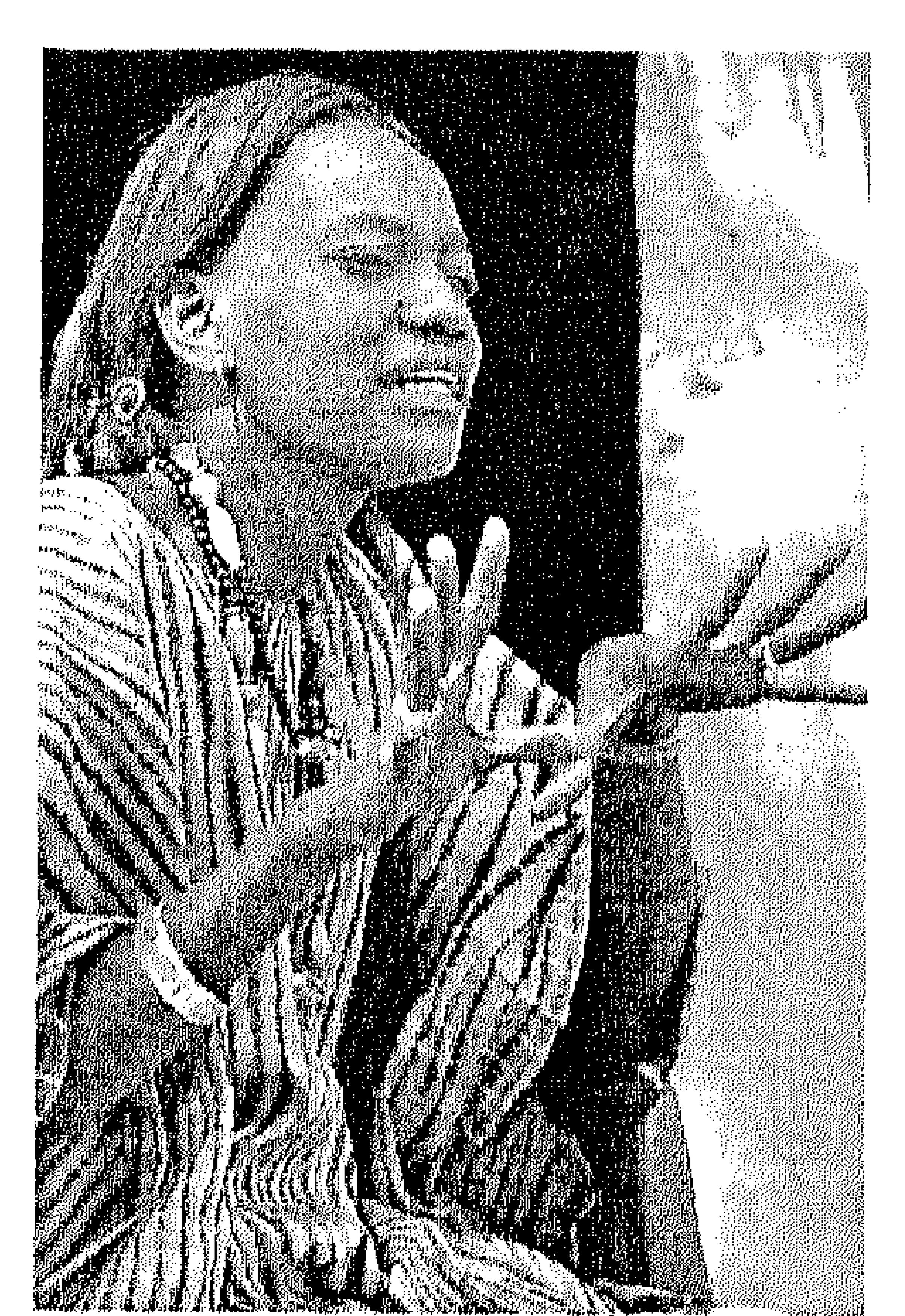
ما هي علاقة الشيطان أو الشر بأمراضنا ؟

مما لا شك فيه أن كل شر يصبب مرض جسدي أو نفسي أو روحي ، فالشر في طبيعته يفسد ويدمر من خلال عمله علي تفسخ أنظمة الحياة system distortion ، وبالتالي يحدث خلل في علاقتنا بالبيئة فنمرض بأمراض التلوث والأوبئة وعلاقة أنفسنا بأجسادنا فتنشأ الأمراض النفس جسمية وحينما يحدث خلل وظيفي في عمل أجهزة الجسم تنشأ العديد من الأمراض الوظيفية ، وحينما تخلل علاقة أرواحنا بأجسامنا تنشأ أمراض نفسية وجسدية ويحدث العجز والموت .

ومما لا شك فيه أن الشيطان يسعي ليحقق ذلك ليدمر الحياة ويستخدم كل خدعه وكل نفوذه لتحقيق ذلك من خلال نشر شروره المختلفة ليسري الشر في الحياة ويبدأ الإنسان يدخل في دائرة الشر المدمرة .

ما هي علاقة الشيطان بالعرافة ؟

يحكي الكتاب المقدس عن أشخاص بهم روح عرافة وعن علاقتهم بالشياطين[٧٩] ، وأن الناس يلجئون إليهم ليعرفون المستقبل وما خفي عليهم من أمور . وكثير من الديانات والثقافات تربط بين الشيطان والعرافة وتنسب للشيطان قدرة علي معرفة المستقبل ؟! فهل حقا يعرف الشيطان المستقبل ؟ وهل الذين بهم روح العرافة يعلمون بالمستقبل ؟ وما هي حقيقة الأمر ؟



هناك بعض الأشخاص عندهم موهبة قراءة الأفكار من خلال قراءة الوجوه وقراءة العيون ، وعندهم حدس قوي يجعلهم قادرون علي التنبؤ بالنتائج والمستقبل القريب . كما يوجد عندهم قدرة كبيرة علي الإيحاء والتأثير في الشخصيات القابلة للإيحاء . هؤلاء الأشخاص حينما يؤثر عليهم الشيطان ويدخلهم شره ، يبدأ يستخدمهم في خداع الناس وتضليليهم فعرافتهم ما هي إلا فراسة ، والمستقبل الذي يتنبئون به ما هو إلا خدعة يوحي بها ويجعل الشخص الذي يستشيره يتعلق بها ويسعي في طريقها فتتحقق لأنه أرادها وليس لأنها قدر محتوم كما أوحي بها العراف . وهذه الخدع المستقبلية دائما تحمل شر للشخص الذي يصدقها ويتبعها .

العرافة هي خدعة من خدع الشر ، فلا توجد روح مهما كانت إنسانية أم ملائكية أم شيطانية أن تري المستقبل أو تخبر به . المستقبل مكشوف أمام الله وهو من أعمال الله ضابط الكل وهو فقط الذي يفصح عن بعض منها لبعض أنبيائه القديسين لغرض الخلاص .

---

[٧٩] أعمال ١٦ : ١٦- ١٨

من الذي يقوي علي إخراج الشياطين ؟ وهل يحتاج إخراج الشياطين لوسطاء روحيين ؟

إخراج الشياطين يحتاج إلي القديسين وليس لمن لهم سمات روحية أو نفسية خاصة . إخراج الشياطين ليس عملا سحريا ولا عملا استعراضيا ولكنه عملا روحيا للقديسين , يعتمد علي أسس روحية حكيمة , فهو موهبة روحية من مواهب الروح القدس وهو يتم بقوة الروح والكلمة .

القديس يخرج فكر الشر من عقول الناس ويزرع كلمة الله ، القديس يعرف كيف يفضح الشيطان ويفضح خدعه فتتلاشي وتتبدد ، والقديس يخرجه بقوة الصوم والصلاة وليس بقوة الضرب ولا بالعنف ، القديس يأمر الشيطان فيخرج ، بإيمانه يخرج أفكار الشر ويصرعها ، وبالمحبة ينتزع الناس من حياة الشر ويسعي معهم في طريق خلاصهم ، وبفضائله يحفز الناس لتحيا بالفضائل ، وبصلاحه يصلح كل ما يفسده الشيطان [٨٠].



[٨٠] راجع كتاب كونوا قديسين للمؤلف ص ٨٠-٨٩

٣- تأثير أرواح البشر علي أرواحنا وتأثيرنا عليهم

كثيرا ما يستخدم الناس تعبيرات روحية لتصف عمق علاقاتهم بعضهم البعض مثل اللقاء الروحي وتلاقي الأرواح وتوأم الروح والتوافق الروحي ووحدانية الروح ، وكثيرا ما يصف البعض ارتياحه لبعض الأشخاص بقوله روحي استراحت له ... ويعبر البعض أن روحي انتعشت لرؤية شخصا ما ، أو أن هذا الشخص له كاريزما سلبت أرواحنا ...

هل هذه التعبيرات هي نوع من المبالغات الأدبية للتعبير عن عمق العلاقات أم هي تعبر عن خبرات روحية حقيقية خاصة ، وهل حقا تتأثر أرواحنا بأرواح أحبائنا ؟ وهل يمكن للأرواح أن تتلاقي وتتوحد مع بعضها البعض ؟ وهل كل الشخصيات لها تأثير روحي ؟ وكيف يمكن أن نؤثر روحيا في الآخرين ؟

مما لاشك فيه أن أرواحنا تتأثر وتؤثر في الآخرين ، ولكن هل التأثير هو تأثير روحي بحت مثل تأثير روح الله علينا أو أرواح الشر ؟

لا فهذه أرواح لا أجساد لها ، ولكننا لأننا أرواح وأجساد فأننا نؤثر في بعضنا البعض بطريقة مادية روحية ، وليس كما يعتقد البعض أنه تخرج طاقات شريرة من البعض تؤذي الآخرين عندما يحسدون الآخرين ، أو كما يعتقد البعض أنه يمكن أن يحدث اتصال روحي معللين به ظواهر التخاطر وتوارد الأفكار .

ومما لا شك فيه أن الروحاني يؤثر بعمق في شخصية الآخرين ، ولكن هذا التأثير ناتج عن قوة شخصيته التي اكتسابها من نموه الروحي ، فهو يؤثر بحكمته ومعرفته الروحية ، ويؤثر بسلامه وبفرحه الروحي ، ويؤثر بكاريزمته الجذابة ، ويؤثر بإبداعاته وأعماله الفريدة . فالتأثير هو تأثير إنساني أي روحي مادي وليس تأثير روحي صرف كما يعتقد البعض . وإن كان البعض لهم مواهب روحية خاصة فهي عطايا روح الله لأهداف خاصة وليحقق بهم عمله .

أما هل يمكن للأرواح أن تتلاقي وتتوحد ؟

نعم . ففي إيماننا المسيحي نصلي دائما من أجل تحقيق الوحدانية ونطلب وحدانية الروح التي للمحبة فلتتأصل فينا ... فكيف يحدث ذلك ؟ وما أهميته ؟

نحن نحتاج في حياتنا لعلاقات قوية وخاصة مع المقربين والأحباء ، نحتاج لعلاقات تستمر مع مرور الزمن وتصمد أمام الصعاب وتقلب الأحوال والظروف ، وهذه العلاقات إن لم تكن علاقات روحية عميقة فلن تصمد ولن تستمر طويلا .

الأرواح تنفتح بعضها علي بعض بالمحبة ، بالمحبة نكون مستعدين لتقبل الآخر والتأثر به بل والاتحاد به ، وبالمحبة نؤثر علي الآخرين ونجعل قلوبهم تنفتح لنا وأرواحهم تستريح لنا .

المحبة تجعلك تستطيع أن تنفذ إلي أعماق الآخر حتى روحه ، وبالمحبة تتقبل الأخر وكل ما له حتى أعماقه . فهكذا بالمحبة نتحد بالآخر فكرا ونفسا وروحا وكل ما له .

الأرواح تتلاقي إن كان لها إيمان واحد ، فوحده العقيدة والفكر هام جدا في تلاقي الأرواح ، فصراع المعتقدات يؤثر علي المحبة ويزعجها ، لذلك تصلي الكنيسة من أجل الفكر الواحد ، وتهتم بوحدانية الفكر ، ووحدانية المعتقد .

التوافق الذي يجعل الناس تتلاقي ليس التوافق في العلم ولا في الدين ولكن التوافق في كيفية الاعتقاد ونوعيته . لذلك يميل كل شخص لنوعية معينة من الشخصيات ويسعد البعض بشخص يتوافق معه ويقول عنه أنه توأم روحه ، أنه تعبير يعبر عن توافقهم في الاعتقاد . التوافق في الاعتقاد قد يساعده التعليم وقد يحفزه النمو الإيماني والروحي ، ولكنه في النهاية هو أمر شخصي وفريد وسعيد من يجد الشخص الذي يتوافق معه .

أرواحنا تتقارب إن كان لنا رجاء في بعضنا البعض ، فهذا الرجاء يعلق أرواحنا في بعضنا البعض ، وفي إيماننا المسيحي نحن تتقارب أكثر إن كان لنا رجاء مشترك في المسيح .

رجاءنا فيهم يجعلنا نري أعماقهم ومواطن قوتهم ، ونتعلق بفضائلهم ونتعلمها منهم ونتحفز أن نكون مثلهم ، ويجعلنا نكتسب سماتهم فتقوى شخصياتنا بشخصيتهم .

وحينما يكون لنا رجاء مشترك في المسيح ، فإننا نقوى بعضنا البعض لنكتسب معا سمات المسيح ونقوي شخصيتنا بثباتنا فيه .

٤- تأثير أرواح الأبرار والقديسين المنتقلين علينا

هل لأرواح الأحباء المنتقلين أو أرواح القديسين تأثير علينا وعلي أرواحنا وهل يمكن أن نتصل بهم ؟ وهل يمكن أن نستدعيهم ونحضر أرواحهم ؟ وهل يمكن أن يساعدوننا ؟

أن الاتصال بأرواح المنتقلين من الأمور التي تسيطر علي تفكير الإنسان كثيرا ، وعبر التاريخ حاول الإنسان أن يتصل بهم وله محاولات كثيرة وتجارب عديدة في استدعاء الأرواح ، وهناك أساطير كثيرة عن اتصال أرواح الأموات بالبشر . فالإنسان شغوف جدا بحال المنتقلين ويحاول أن يعرف أحوالهم وأن يعرف كيف يكون مصيره ! هذا الشغف جعله يحاول كثيرا بطرق كثيرة مستعينا بالسحرة والعرافين ومن يدعون أنهم وسطاء روحانيين يمكن أن تتجسد فيهم أرواح المنتقلين ، وتوجد عقائد مختلفة لدي الناس عن حال المنتقلين وعن إمكانية اتصالنا بهم ، وتتناقض بين عبادتهم أو إكرامهم وبين الإدعاء بفنائهم .



في إيماننا المسيحي الأرثوذكسي ، نحن نتواصل مع القديسين والمنتقلين من خلال إحياء ذكراهم المستمر ، ومن خلال طلب شفاعة القديسين ، ولكننا لا نعتقد في تحضير الأرواح . فأننا نتأثر بالقديسين والمنتقلين من خلال تذكارهم ، فتذكارهم يحييهم في أذهاننا نتعلم منهم ونتأثر بشخصيتهم ، ونسيانهم يفقدنا الكثير من النماذج المشجعة لنا في جهادنا والتي نحتاج أن نقتاد بها ، لذلك يقول الكتاب " انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ. "[٨١] ولذلك تهتم الكنيسة بالاحتفال بالقديسين بطرق مختلفة ليكونوا حاضرين في أذهاننا باستمرار . وهكذا نحاول أن نحي تذكار أحبائنا المنتقلين ليكونوا حاضرين في أذهاننا وقلوبنا باستمرار .

كذلك يمكن أن نطلب معونتهم في شفاعتهم عنا أمام الله ، فهم يمكن أن يذكرونا ويصلوا عنا ويطلبوا عنا ويتشفعوا فينا كأحباء يؤازروننا في جهادنا .

أما اتصال أرواح القديسين بنا ، فهم يمكن أن يتصلوا بالبعض كأرواح مرسلة من الله لنا مثل الملائكة ليبلغوا رسائل معينة أو يعملوا أعمال معينة مكلفين بها من الله ، وليس لهم أن يعملوا من تلقاء أنفسهم .

[٨١] عبرانيين ١٣ : ٧

٥- تأثير روح الله علينا ، وكيف نستمد منه قوتنا وكل طاقات حياتنا ؟

تتفق كل الأديان أن الله روح ، ولكنها تختلف كيف يتواصل الله بروحه مع أرواح البشر ، بعض المعتقدات تعتقد أن الله خلق روح قدسية Holy Ghost تكون مهمتها أن تعطي رؤي ورسائل الله للرسل والأنبياء وتبشر بعض البشر بأمور خاصة وقد سمي في أحدي الديانات "جبريل" . ويعتقد البعض أنه روح عظيمة وهي التي تصل بين حكمة الله والرسل بطريقة مباشرة ، والبعض الأخر أنها روح النبوة فقط . ويعتقد البعض أن الله بروحه موجود في كل مخلوق وكل إنسان ، وهو لا يدركه بسبب جهله وحينما يتخلص الإنسان من جهلة يدرك روح الله فيه ، وهناك معتقدات تقول أنه ليس هناك أي نوع من الاتصال بين عالم الإلهة وعالم الإنسان ، أما الحركات الإلحادية والمادية فهي لا تعتقد بوجود الروح من الأساس ولا تعتقد في وجود الله ولا أي نوع من الاتصال الروحي .

أما المسيحية فهي تؤمن بأن الله يعمل فينا عمل مباشر من خلال أقنوم (شخص) الروح القدس ، وأن روح الله يسكن فينا ، وأن سكني الروح فينا هو ثمرة عمل الخلاص الذي صنعه المسيح له المجد . وأن الروح القدس يحل علينا ويسكننا ويملأنا ، وأننا صرنا مسكن للروح القدس وهيكل لله . وأن الروح القدس يلدنا ميلادا روحيا لنصير أبناء الله ويعطينا معرفة الله معرفة مباشرة ويقدسنا لله فيترع منا كل خطية وضعف ليؤهلنا لحياة القداسة والحياة الأبدية وشركة الله .

ما الفرق بين عمل روح الله وعمل روح الشر فينا ؟

روح الشر تحاول أن تؤثر علي أذهاننا وتمس معرفتنا وتفسدها فهذا مدخلها لعملها فينا وكذلك تحاول محاربتنا من خلال وسطاء للشر الذين يسميهم الكتاب المقدس الحيات والعقارب . ويهدف الشيطان لخداع الإنسان وإسقاطه وتدميره وتحويله إلي وسيط شرير من وسطائه (أبناء الأفاعي) يدمر بهم الحياة .

أما روح الله لا يعمل في أذهاننا فقط ولكنه يستحوذ علي الإنسان كله فهو يحل عليه وينقله من حالة إلي حالة أخري مثلما يحل النعاس بإنسان فيتحول من اليقظة إلي النوم والعكس ،

هكذا روح الله حينما يحل علي شخص ينقله من حالة الضعف والخطية والموت إلي حالة القوة والقداسة والحياة . ونري ذلك بوضوح حينما حل الروح القدس علي التلاميذ في يوم الخمسين فتحولوا من الضعف إلي قوة وتغيرت شخصيتهم وامتلئوا بالمواهب وصارت لهم رسالة وتأثير قوي علي الناس وغيروا التاريخ وأسسوا كنيسة المسيح .

الروح القدس يملأ الإنسان ويعمل في كل عناصر الإنسان ، وفي جسده كما في روحه ، وفي نفسه كما في غرائزه . الروح يعمل في الذهن فيعطيه استنارة ، وفي النفس فيعطيها سلام ، وفي الإرادة يعطيها صلاح ، وفي الغرائز يعطيها تعفف وهكذا .

الروح القدس يسكن الإنسان ولا يفارقه إلا إذا جدف الإنسان عليه وقاومه وأطفئه ورفضه ، ومعني سكناه أن عمله في الإنسان عمل مستمر ولا يتوقف ، عكس الشيطان الذي يهاجم الإنسان في شكل نوبات ، يهجم ثم ينسحب ثم يعود في أوقات مباغته وغير متوقعه .

ما هو عمل الروح القدس في الإنسان ؟

إن كان في المعتقدات المختلفة وفي زمن ما قبل الخلاص كان الروح يعمل في حياة البشر من خلال الأنبياء والرسل ، الذين يعلنون إرادة الله للبشر ويوصلون رسائل الله للناس ، إن كانت رسائل خاصة أو عامة ، فأن الروح القدس بعد تحقيق الخلاص فأنه يعمل مباشرة في الإنسان الذي أمن وقبل خلاص المسيح له المجد . يعتمد عمل الروح علي قبول الإنسان وتفاعله الحر معه ، فحرية الإنسان لا يمسها روح الله برغم عمله القوى والجذري يتم في روح الإنسان وفي شخصيته . وهذا عكس عمل الشيطان الذي يحاول أن يقيد الإنسان ويفقده حريته .

الروح القدس يعمل في ذهن الإنسان فيعطيه استنارة إذا رغب في المعرفة ويعطيه حكمة روحية –حكمة سماوية طاهرة ونقية – إذا وضع في قلبه طلب الحكمة . الأهم أنه يعطي معرفة المسيح ومعرفة الآب فيساعد الإنسان الروحي أن يدخل في شركة محبة الآب ، وهذه المعرفة هي التي تقود للحياة الأبدية .

روح الله يعمل علي تقديس الإنسان ويخرج كل نجاسة وضعف من الإنسان ، من خلال تبكيته اللطيف الهادئ المستمر ، وحينما يستجيب الإنسان يبدأ في تطهيره من أثار الخطية وتأثيره في الذهن والإرادة والنفس ثم يبدأ يسير به في طريق القداسة وعمل مشيئة الله .

الروح القدس يلد الإنسان ميلادا جديدا أي يعيد خلقه وتجديده ليصير أبنا لله علي صورة المسيح ، ويبدأ يغير في قلبه ويثبته في المسيح ويعطيه مواهب روحية ليستطيع أن يكون عضـــوا في جسد المسيح .

كيف نحقق الاتصال الروحي ؟



منذ فجر التاريخ والإنسان يحاول أن يتصل بالعالم الروحي ، وهو يصنع ذلك من خلال الصلاة ، فالإنسان يصلي منذ خمسة الآلف سنة ، وما من دين إلا والصلاة أهم عباداته ، فلماذا الإنســـان يصـــلي ويرجو من صلاته ؟ وكيـــف يعتقـــد في الصـــلاة كوسيلة للاتصال الروحي بعالم الروح ؟

ما هي الصلاة في المعتقدات الروحية المختلفة ؟

الصلاة هي محاولة للإنسان للاتصال بالإله أو بالأرواح بهدف العبادة أو طلب المشورة أو طلب المعونة أو تقديم التوبة والاعتراف بالخطايا أو الإفصاح عن الأفكار والمشاعر . ويعتبر الماديون والملحدون أن الصلاة هي نوع من التعبير عن الآمال التي نرجوها وأنها لا تحقق أي اتصال ولا نفع روحي . أما الروحانيون فهم يعتقدون في قدرة الصلاة علي الشفاء الروحي .

والصلاة قد تكون جماعية يصلي فيها الشخص مع جماعة المتدينين وقد تكون خاصة يصلي فيها منفردا وحده أو في خلوة خاصة . والصلاة قد تكون في شكل تضرع ، أو ترتيل ، أو دعاء . وقد يصلي الشخص رافعا يديه نحو السماء أو يضم يديه وقد يحني رأسه أثناء الصلاة ، وقد يركـــع علي ركبتيه أو يسجد ، وقد يتحرك بطريقة حلزونية كما في بعض الطرق الصوفية ، وقد يتمايـــل للأمام وللخلف أثناء ترديد الصلاة ، وقد يغني أو يرتل صلاته . أن أشكال الصـــلاة والأوضـــاع الجسدية للصلاة في الأديان المختلفة تعبر عن محاولة الشخص التواصل مع الإله والـــتلامس معـــه والانفتاح عليه .

ما هي معتقدات الإنسان في الصلاة ؟

يعتقد معظم الناس في الأديان المختلفة أن الإنسان المحدود يمكنه أن يتصل بالإله المطلق والغير محدود من خلال الصلاة ، وأن الإله المطلق يهتم أيضا أن يتصل بالإنسان المحدود وهو يسعد بصلاة الناس له وينصت لهم .

ويعتقد البعض أن الصلاة تغرز بعض الاتجاهات في شخصية المصلي نفسه ولا تؤثر في الإله مستقبل الصلاة . ويعتقد البعض أن الصلاة هي تمرين علي التأمل الذهني والفلسفي من خلال التركيز علي شخص المطلق .

ويعتقد البعض أنه من خلال الصلاة يحصل المصلي علي خبرات مباشرة من الله . ويعتقد البعض في قدرة الصلاة علي تغيير الواقع كما يدركه أثناء الصلاة . ويعتقد البعض أن الصلاة تحفز الشخص علي التغيير الشخصي أو تغيير الظروف المحيطة أو كما يرغب الإله .

كيف يصلي الناس في الأديان المختلفة ؟

أن اتجاهات الصلاة مختلفة في الأديان المختلفة وعبر العصور وبحسب التطور الديني الروحي ، وتختلف باختلاف درجة النضج الروحي الإنساني .

هناك اتجاه للصلاة ممتد منذ فجر التاريخ الروحي للإنسان وعبر أديان كثيرة فيه ، فيه يظن الإنسان أنه يعطي لله منتظرا أن يعطيه الله في المقابل ، ولسان حاله في الصلاة : أنا أعطيك ولذا ينبغي أن تعطيني في المقابل ...!! ويقدم الناس في الصلاة التضرعات والتوسلات والتذلل ، وقد يقدموا للإله قرابين وذبائح وهو ينتظرون أن يعطيهم في المقابل طلباتهم ويحقق لهم ما يطلبونه ...!! وقد بالغ الناس كثيرا في وسائل التضرع وفي تقديم الذبائح حتى أنهم قدموا للإلهة ذبائح بشرية ...!! ويظن هؤلاء أن قوة الصلاة تكمن في قدرتها علي تحقيق الأمنيات والطلبات .

هناك اتجاه أخر لبعض الديانات الشرقية ، يظن فيها أن الصلاة هي وسيلة نفس-جسمية تسهل عملية "التأمل" ويعتقدون أنها ممارسة مكملة للتأمل في النصوص الدينية . ويعتقد البوذيين أن في الإنسان إمكانية أن يتحرر من جهلة ومشكله وتعقيداته من خلال التأمل الذي يقود للاستنارة ، ولذا ففي اعتقادهم فأن قوة الصلاة تكمن في قدراتها علي الاستبصار الداخلي من خلال التركيز بالصلاة علي المطلق أو المقدس أو الإله ، وكذلك في قدرتها علي تحقيق الاستنارة الروحية العميقة وأن يعرف الشخص أعماقه واحتياجاته .

وهناك اتجاه أخر يعتقد فيها البعض أن الصلاة هي وسيلة للشفاء الروحي ، فيعتقد البعض أن ما نعرفه عن العالم المحيط بنا وعن أنفسنا وكل ما نستقبله عن طريق حواسنا هي صورة مشوه للعالم الساقط ولا تعبر عن الحقيقية الروحية للكون وللحياة ولا عن الغرض الذي خلقت من أجله ولذلك فأن الصلاة تساعد الشخص أن يجعل الحقيقية الروحية في بؤرة وعيه وتفكيره ، ويبدأ في مقاربة ما في حياته من مشاعر مضطربة وأفكار مشتته وحوادث متفرقة ..الخ من تلك الحقيقية الروحية فيحدث لها عملية تكامل وتعبر عن حقيقتها الروحية فيتحقق لها الشفاء [٨٢].

وهذا يقابل في إيماننا المسيحي أن نطلب ملكوت الله في صلاتنا فملكوت الله هو الحقيقية الروحية للحياة كما أرادها الله وخلقها ، ولذلك صلاتنا الروحية تدور حول محور "لتكن مشيئتك" فطلب مشيئة الله وتحقيقها هو الذي يحقق الشفاء وصلاح حياتنا وخلاصنا وسعادتنا .

وفي هذه المعتقدات يعتقد أن الصلاة هي فعل حب وأنها تعمل من خلال الحب الذي يساعد علي التعرف علي الله وإرادته وخليقته كحقائق روحية وكاملة ومحبوبة ، وتقاس قوة الصلاة بقدرتها علي تحقيق هذا الشفاء الروحي .

ما هي القوة الروحية التي يحصل عليها الإنسان من الصلاة ؟

يعتقد معظم الناس في قوة الصلاة وفي نفعها وقدرتها الروحية في تحقيق التغيير والشفاء ، ويهتم بها كثيرين من المعلمين الروحانيين في تغيير الأشخاص وفي نموهم الروحي ، كما يهتم بها كثير من المعالجين الروحانيين بالصلاة كوسيلة للعلاج والشفاء وحتى الطب النفسي بدأ يهتم

٨٢ http://en.wikipedia.org/wiki/Prayer

ويدرس تأثير الصلاة كوسيلة للشفاء النفسي والبدني وأصبح يوصي به كعلاج غير تقليدي لـــدواء الكثير من الأمراض والمشكلات الطبية .

قوة الصلاة في تحقيق الشفاء تؤمن بها الكثير من الأديان ونحن أيضا في إيماننـــا المســيحي نؤمن بقوة الصلاة في تحقيق الشفاء ، فنحن نؤمن أن الشفاء يمكن أن يتحقق حينما يطلب الشخص الشفاء في صلاته ، ويمكن أن يتحقق عندما نصلي من أجل المرضي ونطلب لهم الشفاء[٨٣] ، ولكننـا نحتاج أن نتفهم كيف يتحقق الشفاء بالصلاة لأنه هناك الكثير من المعتقدات تشرح الأمر بطـــرق مختلفة عن إيماننا المسيحي .

يعتقد البعض أن للصلاة قوة روحية في ذاتها تحقق الشفاء ، وأن الصلاة من أجل الآخرين تولد قوة روحية تؤثر في الشخص الذي نصلي من أجله ، وأن طلب صلاة بعض الروحـــانيين أو شفاعة القديسين تخرج قوة روحية منهم تحقق معجزة الشفاء . ولذا يعتقد البعض في الشفاء باللمس والصلاة ، أي أن يضع أحد الروحانيين يده ويلمس المريض ويصلي عليه أو لا فتخرج قـــوة منـــه تشفيه .

أن تأثير الصلاة في ذاتها في تحقيق الشفاء هو تأثير نفسي لا روحي ، فهي تجعل المريـــض يتعلق بالشفاء وبالحياة وهذا يعطيه قوة معنوية ، وتزيل التوتر والخوف والانزعاج من المرض ، وهذا الأمر في ذاته يساعد عمليات الشفاء الذاتي وتحسين عمل جهاز المناعة في الجسم . كذلك الشخص الذي يشعر أن الناس يصلون من أجله ومن أجل شفاءه فأنه يكون في حالة معنوية أفضل تســاعده علي الشفاء وتقليل المضاعفات المرضية . كذلك لا ينبغي أن ننسي تأثير الإيحاء الذاتي أو الإيحاء من المعالجين الروحانيين وتأثيره علي الشفاء النفسي ، ومعالجة الكثير من الأمراض النفس-جسمية .

أن قوة الصلاة في تحقيق الشفاء تعتمد علي توافقها مع المشيئة الإلهية ، فقوة الشفاء هـــي تتدفق من الله لا من الصلاة ، والله يمنحها لمن يطلب بإيمان ، ويمنحها لمن يطلبها بإيمان لأجـــل أحباءه ، فالله يمنح الشفاء لمن يثق فيه ولمن هو محبوب ويطلب أحباءه من أجله .

الشفاء بالصلاة يحتاج إيمان وثقة في قدرة الله الشافي ، ويحتاج أن يتمســـك الشـــخص بالشفاء ويرجوه ويتمسك بطلبه من الله ، كما يحتاج إلي استسلام الحب للمشيئة الإلهيـــة وعـــدم

٨٣ وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا. طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا. (يعقوب ٥ : ١٦)

التذمر من المرض . وكذلك يحتاج أحباء يدعمون عملية الصلاة بإيمانهم ورجاءهم ومحبتهم للمريض والصلاة روحيا من أجله .

لا ينبغي أن ننسي أن الله دائما يستجيب للصلاة الحقيقية ، ويشفي ولكن مفهوم الشفاء الروحي أمر مختلف عن مفهوم الشفاء البدني ، فالله لا يشفي الأعراض الجسدية ولكنه يشفي الروح والنفس والجسد معا ، والشفاء له دلائل مختلفة في المفهوم الروحي وقد يكون المرض والألم والموت نفسه وسائل لتحقيق هذا الشفاء .

ما هو مفهوم الصلاة في إيماننا المسيحي ؟

أن بين الصلاة في الروحانية المسيحية وفي الروحانيات المختلفة للأديان المختلفة خيوط رفيعة تفصل بين روح الصلاة المسيحية والصلاة في الأديان المختلفة ، وإن لم ننتبه لها نجد صلاتنا لا تفرق عن صلوات الناس في المعتقدات الأخرى ولا تحقق قيمتها المسيحية في تحقيق الوصال الروحي مع شخص المسيح والدخول في شركة محبة الثالوث .

ففي الصلاة المسيحية نطلب طلباتنا في الصلاة مثل كل المعتقدات ولكن الاختلاف يكمن في نوعية علاقتنا بالله ، فنحن في المسيحية الله هو أبونا ونحن حينما نصلي ندخل حالة الراحة الروحية فنحن نطمئن ونثق في أبونا ، وحينما نطلب نطلب بدالة البنين ، ونثق أن الله يسمع ويستجيب ، وقد يلبي لنا طلبات كما طلبنها وقد يستجيب بطرق أخري وقد يرفض طلبتنا ولكننا نثق في إرادته الأبوية الخيرة . فالتسليم هو سمة الطلب في الصلاة المسيحية ، فالطلب والتضرع ليس صراعا ولكنه لحاجة تزيد تمسكنا بالله وتزيد من وعينا لحاجاتنا وفهم أنفسنا .

في الصلاة نذكر الله ونسبحه مثل كل الديانات ولكن الاختلاف أن تذكر الله ليس الغرض منه التأمل ومحاولة فهمه وفهم أنفسنا ولكن الغرض الأساسي هو أن يكون الله حاضر في حياتنا ، ولذلك في النسك الشرقي يهتم المسيحي بتذكار اسم الله مرارا وتكرار ليظل الله حاضر في بؤرة الوعي ولا يغيب عن البال فيظل كل ما في حياتنا مرتبط بالله .

في الصلاة نحصل علي خبرات مباشرة من الله ، نجد الفهم الروحي ورؤية الله ورسائل من الله ، ليست عن طريق الاستبصار الداخلي الذي يحدث في التأمل ولكنه كشف إلهي ، يفتح فيه الله العيون والقلوب لتقبل الإلهيات .

ثالثا : سيطرة الروح علي الجسد حسيا ووجدانيا وذهنيا

لقد خلق الله الإنسان حرا ، ولكن هل يتمتع الإنسان حقا بالحرية ؟ وهل يختار بحرية ويسعد باختياره وهل هو يعمل بحرية ويعبر بصدق عن ذاته ؟!

في الواقع يعاني الإنسان كثيرا في ممارسته لحريته ، فهو لا يعرف ذاته فكيف يمارس حريته في التعبير عنها ، وهو حواسه تخدعه وأهوائه تستعبده وعقله يحيره فلا يعرف الحرية في اتخاذ قراراته ، فقراراته تدفعه إليها غرائزه وهي أما ردود فعل لانفعالاته المتقلبة أو استنتاج خاطئ ناتج عن قصور رؤيته وفهمه .

لذلك يعاني الإنسان من ضعف الإرادة وفي بعض الأحيان من شلل الإرادة فيجد نفسه مستعبدا لعادات وخطايا لا يريدها ولكنه في الوقت نفسه لا يقوي علي مقاومتها ، كذلك نجد إرادته أصبحت تميل للشر وأصبح يعاني بشدة من صراع الخير والشر فيه ، وهناك إنسان إرادته قوية يحقق رسالته في الحياة ويعرف كيف يحكم نفسه ولا تحكمه أهوائه ولا غرائزه ولا انفعالاته .

لذلك لكي ما يكون الإنسان حرا يحتاج أولا أن يعرف ذاته ، وثانيا يحتاج أن يعرف كيف يتحكم في غرائزه وأهوائه وانفعالاته .

أن معرفة الذات هي نشاط روحي ولا يتم إلا علي مستوي روحي عميق . كذلك التحكم في الحواس لئلا تضلل الذهن ، والتحكم في الأهواء لئلا تقيد الإرادة ، والتحكم في النفس لئلا تخرب أعمالنا ، هي أعمال روحية وأنشطة روحية .

الروح هي التي تعيد تنظيم النشاط الداخلي للإنسان وتعمل علي توافق وانسجام عمله ، ليستطيع أن يعبر بجسده عن روحه وعن حقيقة أعماقه وبذلك يستطيع ممارسة كمال حريته .

الشخص الروحاني هو شخص يدرك هذه المعاناة الداخلية ويبدأ في مواجهتها ، ويحارب حرب روحية داخلية من أجل التغيير ، ويبدأ يجاهد كي ما يتحكم روحيا في نشاط ذهنه ، ويحكم غرائزه ويحارب الهوى والشهوة ، ويسيطر علي انفعالاته فيحافظ علي توازنه النفسي وهدوءه الروحي . أنه قرر خوض هذه الحرب الداخلية من أجل أن يفوز بوجود أفضل وأن يتمتع بحياة الكمال والاكتمال .

ما هي معتقدات الروحانيين عن صراع الروح والجسد ؟

بسبب أن الإنسان عليه مواجهة غرائزه وأهوائه وانفعالاته الجسدية ، ومواجهة ضلالاته الذهنية ، وبسبب فشله في التحكم الذاتي وتكرار أخطائه ، تكونت لديه اتجاهات مختلفة في تعامله مع جسده ووجهات نظر متعددة لجسده وتفسيرات عديدة لأخطائه وخطاياه .

فهناك أناس يعتقدون أن الجسد هو سجن للروح وأن الشر يكمن في المادة والجسد المادي ، وهناك من يعتقد أن الجسد هو هيكل الروح والمعبر عنها وأن الشر ينتج عن عدم توافق الروح مع الجسد في عمله ، وهناك من يدعو لإماتة الجسد من أجل انطلاق الروح ، وهناك من يدعو لضبط الجسد من أجل انتعاش الروح .

ولكن الكل يجمع علي أمر واحد وهو أن ترويض الجسد وغرائزه وأهوائه يحتاج إلي جهاد ونشاط روحي جاد من الإنسان ، ولذلك نجد في كل المعتقدات طرق نسكية متعددة للسيطرة علي الجسد ، قد تختلف الطرق وتتعدد ولكن يظل هدفها واحد وهو سيطرة الروح علي الجسد وأن يتولي المرء قيادة جسده روحيا ، فتقوي حينئذ إرادته ويستطيع أن يعبر بحرية عن شخصيته الحقيقية . ومن الطرق التي تكاد تجمع عليها الأديان والمعتقدات الصوم ، فهو وسيلة نسكية موجودة في كل الأديان وفي كل الطرق التصوفية .

أن الأديان تعطي للإنسان دوافع روحية ليقبل علي هذه الحرب الروحية الداخلية ويجـاهد فيها ، وتوضح له طبيعتها ، وتضع له وسائل تعبدية نسكية لتقوية روحه وتقوية سيطرتـه علـي جسده .

كذلك تشجع بعض الأديان والمعتقدات الإنسان علي طلب العون الإلهي في حربه الداخلية لتقوية سيطرة روحه علي جسده

كيف تدور هذه الحرب الروحية الداخلية ؟

من أجل أن يصل الإنسان لحالة التحكم في الذات والسيطرة الداخلية علي قلبه فهو يحتاج أن يراقب حركة أفكاره ، وأن يتحكم في انفعالاته ويضبط أهواءه .

يقال أن الذهن هو عين الروح ، وإن أظلمت العين صارت الروح مظلمة ، والذهن يظلم بسهولة ويخطئ في الفهم والإدراك بسبب خداع الحواس وبسبب أفكار الغواية التي يحاول الشيطان أن يبثها في الذهن ، ولذلك من الحروب الروحية التي علي الإنسان أن يواجهها باستمرار هي نقاوة الفكر ، لأن كل شر يبدأ بفكرة ، وحينما يتصور ويسيطر علي الذهن يثير النفس ويدفع الشـخص في طريقة .

أن للنساك والمتوحدين في الأديان المختلفة خبرات كثيرة عن طبيعة هذه الحروب الفكريـة ويشرحون طرق مختلفة لتنقية الفكر وتقديس الذهن . ويجمعون كلهم علي محاربة تشتت الذهـن (طياشة الفكر) بالتركيز ، ومحاربة فراغ الذهن بالتأمل في أمور مقدسة ، وتنقية الفكر من الأفكـار الدخيلة بمراجعة الفكر من خلال الصلاة وتأمل الكتب والوصايا والشرائع .

أن غرائزنا بطبيعتها غير مهذبة وهي تحتاج إلي تدريب وضبط حتى تكون ذات فاعليـة فتزيد من حيويتنا في الحياة ، فشهوة الطعام إن تم التحكم فيها تعطينا صحة وقوة وإن لم نتحكـم فيها صارت مصدر لفساد جسدنا ومرضه وتعطيل نشاطنا وتقليل حيويتنا .

لذلك حاولت الأديان والنساك والمتصوفين أن يشرحوا لنا كيف يتم تهذيب هذه الغرائز وهذه الانفعالات ، حتى ما تسمو وتكون أدوات فعاله في تحقيق الذات ولا تخرج عن نطاق السيطرة الروحية فتوجه الإنسان وتحكم تصرفاته علي الرغم منه .

وهناك تقسيمات وتصنيفات للأهواء التي علي الإنسان محاربتها والسيطرة عليها ، تختلف ترتيبها بحسب المعتقدات وتختلف المعتقدات في تحديد أولويات الأهواء التي ينبغي محاربتها أولا ، ولذلك نجد في كل معتقد هناك فضائل كبري وخطايا كبري تعطي اهتمام أكبر ومعالجة أوضح .

من هذه التقسيمات لفهم معني الأهواء التي نحاربها ، التقسيم الذي شرحه القديس يوحنا الدرجي ، فقد قسمها إلي :

- أهواء مادية : النهم أي شراهة في الأكل – الشهوة أي الرغبات الجنسية العابثة والغير شرعية – البخل وحب التملك والطمع والجشع في جمع المال .
- أهواء باطنية : الاكتئاب وانكسار الروح والغضب ، فهي تمنعنا من الصلاة بفرح وتمنع التعاطف مع الأخوة وتقبل النصائح من الأخوة وإعطاء التشجيع والسلام للآخرين ، وتجعلنا نبغض عملنا ، وتملأ أرواحنا بالآسي والمرارة والأفكار المحبطة .
- الزهو والخيلاء والكبرياء ، فالكبرياء يجعل الإنسان عدو نفسه .
- وهناك أهواء في تعاملنا مع الآخرين منها : نتذكر إساءات الآخرين ، والنميمة والافتراء علي الآخرين ، وشهوة الكلام ، والكذب ، والقسوة وعدم التسامح .

لو تأملنا قليلا في نوعية هذه الأهواء سوف نجد أنها ما هي إلا انحرافات في النمو واضطرابات نفسية تؤدي في النهاية إلي اضطرابات في الشخصية ، وإن كان علماء النفس والتربية والطب النفسي بدءوا في تحديد هذه الانحرافات وبدءوا يضع خطط علاجية لها ، فإن الأديان والمعتقدات هي أول من أشارت لها وحاولت تشخيصها ووضعت لها طرق معالجة روحية ، وهي طرق فعالة وناجحة في علاج انحرافات الشخصية ويحتاج العلم الحديث أن يستفيد منها ومن فلسفتها في التهذيب والعلاج .

ما هي الطرق النسكية التي تستخدم في الحروب الروحية ؟

تلجأ كل الأديان إلي استخدام طرق نسكية تعبدية لمساعدة الإنسان في جهاده وحربه الروحية الداخلية ، وإلي وصايا تضع قواعد لتعاملات الإنسان مع الآخر لتحد من انفلات الأهواء والشهوات والتقلبات النفسية فلا تجعلها تؤذي الآخرين .

إن الممارسات النسكية ما هي إلا وسائل تدريبية لتقوية الإرادة ولضبط الفكر والجسد ، ولذا ما من إنسان روحي إلا ويمارس الزهد والتقشف وما من متدين إلا ويمارس شيئا من النسك ، وهناك من يمارس الزهد والتقشف والتعفف داخل العالم وهناك من ينسحب من العالم لمزيد من النسك والتقشف مثل الرهبان والمتوحدين .

أن هدف التدريبات النسكية ، أن يسيطر العقل الواعي علي حركة الغرائز وعلي الانفعالات النفسية ، أي أن نعي متطلبات غرائزنا ومسببات انفعالاتنا وردود أفعالنا وكذلك نوجه غرائزنا لتحقق أهدافها لا لذاتها ونحكم انفعالاتنا لتقوي طاقاتنا . وأيضا تهدف التدريبات النسكية أن يكون وعينا وعيا روحيا ، وتتحول فيه مفاهيمنا إلي مبادئ روحية تقوي إرادتنا وتحكم توجهاتنا ، ومن معرفتنا الروحية لذواتنا نبدأ نتحرك لنحقق ذواتنا في الحياة .

الخلاصة : النسك هو وسيلتنا لكي ما تحكم الروح الذهن ولكي ما يحكم الذهن الجسد .

تدور معظم التدريبات النسكية في ثلاثة محاور : الامتناع الإرادي — ضبط الغرائز — التحرر من الطمع والجشع المادي ، ولذا نجد أن الصوم والعفة والعطاء من أساسيات العبادات والنسكيات في معظم الأديان والحركات التصوفية ومن سمات الفلاسفة الكبار .

الصوم ليس تعذيب للجسد ولا إضعاف له ولكنه وسيلة لتقوية الإرادة فنتعلم متى نبدأ ومتى نكف ، ونعطي فرصة للذهن ليحدد كيف نبدأ وكيف نكف . الصوم تدريب لتعلم الأكل بالذهن وليس بالشهوة ، أي نختار ما نأكل بحسب احتياج الجسد وليس بحسب شدة الجوع ، وتهذيب شهوة الأكل بأن نعرف ماذا نأكل... وكيف نختار لطعامنا ما يفيد الجسد ويشبع احتياجه فقط فلا يضعف ولا يصاب بالبدانة . وعندما ننجح في الأكل بوعي ونظام ، فهناك فرصة لتنشط

الروح فنتعلم كذلك نأكل بنفسية راضية وشاكره ويكون الأكل وسيلة لتواصلنا وشركة المحبة مع الآخرين فلا ننسي الآخرين عند أكلنا ، ونتحول نحو تحقيق الذات فنبدأ نبدع في إعداد واجباتنا ، وفي طريقتنا في الأكل الخ . وهكذا يتحول الأكل من عمل غريزي إلي عمل روحي ، ومن شهوة إلي فضيلة .

في الصوم المسيحي ، يأكل المسيحي بحسب الكلمة ويكون الأكل وسيلته ليأكل الكلمة فيتواصل مع الله ، فالسيد المسيح علم "لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ». لوقا ٤ : ٤ فالحياة تكون بالخبز المرتبط بالكلمة الإلهية ، كما علم قائلا : فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. يوحنا ٦ : ٥٧ فالأكل يمكن أن يتحول إلي وسيلة لتواصلنا مع الله .

العفة هي تدريب لضبط غرائزنا الجنسية ، لتكون الغريزة مرتبطة بالروح وتحت سيطرة المبادئ الروحية والأخلاقية ، فالعفة هدفها ربط الجنس بالحب ، وربط الجنس بالزواج ومساعدة الشخص علي التعبير عن الحب بالجنس وتحقيق الترابط بالجنس . فالعفة في الأديان المختلفة امتناع عن ممارسة الجنس خارج الزواج وامتناع عن الانفلات الجنسي والدعارة والخلاعة وامتناع عن الشذوذ الجنسي في الممارسات الجنسية داخل أو خارج الزواج . وهناك نسكيات تدعو للبتولية يمارسها الرهبان والمتوحدين وفيها يسمو هؤلاء بالجنس عن الممارسة الحسية نحو التواصل الروحي المباشر مع الله والناس .

العطاء هو تدريب نسكي يتعلم فيه المرء التخلي عن التعلق بالممتلكات ، وقد يكون في شكل عطاء جزئي ، كفريضة إجبارية كالعشور أو اختيارية كنذور والهبات والحسنات ، وقد يسمو البعض في العطاء فيعيش حياة الفقر الاختياري كالنساك والمتوحدين . تدريبات العطاء تعلم المرء أن يتحرر من التعلق بالماديات والممتلكات ، وأن يحيا الحياة بدون أن يحاول أن يمتلك الحياة ، فالحياة تعاش ولا تمتلك . هذه التدريبات تعلم الإنسان كيف ينظر نظرة روحية لأمور الحياة ويقيمها تقيم روحي لا مادي . ويتعلم أن يتفاعل مع الحياة بطريقة صحيحة ، فالحياة تستمر وتنمو حينما يعطي من داخله وتضعف وتقل حينما يحاول أن يأخذ ويمتلكها لنفسه . لقد أوضح السيد المسيح

هذا المبدأ الروحي الهام حينما قال " من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدهـــا.
متى ١٠ : ٣٩ .

أن تقوية الإرادة من خلال التدريبات النسكية عمل جيد وقد يفيد روحيا للوصول لحالــة السلام الداخلي وتقوية الروح والتواصل الروحي مع الله ، وقد يفيد في تقوية الإرادة للدخـــول في تحديات الحياة لتحقيق بطولات رياضية أو حربية ، فالمهم في الأمر ليس النسك في ذاته ولكن معرفة لماذا نمارس النسك ؟

كذلك أن لم يمارس النسك بوعي وبطريقة صحيحة فأنه يسبب معاناة للشخص ونجد هذا الشخص ينفث عن معاناته ويعكسها علي العالم وبدلا من أن يسيطر علي نفسه نجده يحـــاول أن يسيطر علي الناس وعلي العالم .

الروحانية المسيحية

يعلن السيد المسيح أنا هو الطريق والحق والحياة ، فالروحانية المسيحية تجتمع في المسيح ، فهو الوسيلة والمعني والهدف لكل نشاط روحي . الروحانية المسيحية يكمن فهمها في فهم شخص المسيح ، وتعتمد عليه في تحقيقها ، وهو نفسه يكون هدفها وغايتها .

إن كانت الروحانيات سواء كانت دينية أو فلسفية تسعى لأن يكون الشخص روحانيا وأن يمتلك مهارات روحية وتسمو به إلي إنسانية أفضل وحياة أعمق فأن الروحانية المسيحية تهدف لأمر مختلف وهو أن تسمو بالإنسان روحيا ليتصور المسيح فيه ...

الروحاني المسيحي يعرف نفسه في المسيح ، ويحيا في وصال دائم بالله الآب وينعم بشركة محبته ، ويكون جسده هيكلا لروح الله ويظهر بعمله المسيح الذي فيه ، أي يكون سلوكه مسيحيا ويعمل أعمال المسيح .

الروحانية في المسيحية تتحقق من خلال علاقة الشخص بالمسيح وليس من خلال التدرب عليها ، فالعلاقة بالمسيح هي أساس النمو في الروحانية المسيحية .

كل الروحانيات قد تسمو بالروح الإنسانية ولكنها قد تضلله وتدفعه في طريق تأليه الذات ، بينما الروحانية المسيحية تسمو بالإنسان وتصور كلمة الله فيه وتدخله في حياة الله وشركته .

تختلف الروحانية المسيحية عن الروحانيات الأخرى في المعتقدات الروحية ، وفي أهدافها ، وفي طرق الممارسات الروحية .

المعتقدات المسيحية في الروحانية

أن الفروق بين الروحانيات المختلفة والروحانية المسيحية خيوط رفيعة ولكنـــها فــروق جذرية ، ولذلك فان احتمالات الخلط بين الروحانيات الدينية المختلفة والروحانية المسيحية كبيرة ، ولذا يحتاج الأمر إلي وعي وتدقيق لمنع هذا التداخل المخل ، فلا نجد أنفســنا نســعى في جــهادنا الروحي لما يسعي إليه الآخرون ، ونجدنا في ممارساتنا الروحية نمارس ما يمارسه الآخــرون بنفــس الروح والمعتقد ، فنصوم مثلهم ونصلي كما يصلون ، وقد نتغير روحيا ولكننا لا نصل إلي أهدافنــا الروحية أبدا ولا نصل إلي معرفة المسيح ولا إلي شركة محبة الله أبدا ، فليس من المــهم أن تكــون شخصا روحيا بل أن تكون مسيحيا . لذا نحتاج أن نفهم بدقة مفاهيمنا المسيحية عن الروحانيــة وخاصة مفهوم المعرفة الروحية ، ومفهوم الاتصال الروحي بالله ، ومفهوم الجهاد الروحي .

١- ما هي المعرفة الروحية في المسيحية ؟

المعرفة الروحية كانت تسمو بقدرات الإنسان علي المعرفة وتدخله في مرحلــة المعرفــة العميقة ، وكان الروحاني يهدف من المعرفة الوصول إلي طريقة تتوحد بها معارفه فيصل إلي حالــة البساطة والحكمة وكان يستخدم التأمل الذي فيه يتعلم التركيز والاسترخاء الذهني لتنمو قدراتـــه

المعرفية ويصل لحالة الاستنارة الذهنية ، وفي أحسن الأحوال يصل الروحاني إلي معرفة الذات أو يقترب من معرفة الله .

في الروحانية المسيحية يسعي المسيحي لمعرفة الله ولمعرفة الذات وينشد حياة البساطة ويسعي للحكمة ولكن بطريقة مختلفة ، فهو لا يسعي لمعرفة الله معرفة عقلية بل معرفة اختبارية ، ولا يسعي لمعرفة ذاته منفصلة عن الله بل يسعي ليعرف ذاته في الله وكيف أنه صورة الله ومثال للمسيح .

أن المعرفة الروحية في الروحانية المسيحية لا نصل إليها مهما بلغنا درجات عليا في الروحانية والتدريبات الذهنية ، ولكنها تبدأ بمبادرة إلهية وبدعوة وإعلان إلهي مع استعداد ورغبة قلبية منا وسعي للارتباط بالله من خلال المحبة .

كيف نعرف الله في الروحانية المسيحية ؟

أن نعرف الله معناها أن ندخل معه في علاقة شخصية حميمة ، علاقة وجودية[٨٤] نختبره فيها اختبارا ملموسا ونلتزم به التزاما يؤثر في كل نواحي حياتنا ، فندخل في عهوده ونتمتع بأفراحه وكذلك نقع تحت دينونته .

معرفة الله في المسيحية ليست أن تعرف أنت الله بل أن يعرفك الله ويدعوك باسمك ، فهو يدعو إبراهيم وموسى بأسمائهم ، ويعرف أرميا حتى قبلما يتصور في بطن أمه ، هؤلاء يدعوهم الله لمعرفته ولخدمته أي الدخول لحياته ، وهكذا فهو يدعونا نحن أيضا ويختارنا لنكون مشابهين لابنه حتى ما ندخل في شركة محبته ونتمتع بأبوته لنا ، فيقول بولس الرسول " لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ"[٨٥] . والذين عرفهم الله يجتذبهم نحو أبنه ولذلك يقول الرب " لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ."[٨٦]، ومن انجذبوا نحو الابن يبدأ الابن يكشف لهم الآب ويدخلهم في شركة محبته .

---

[٨٤] http://www.albishara.org/dictionary

[٨٥] رومية ٨ : ٢٩

[٨٦] يوحنا ٦ : ٤٤

هذه المعرفة الروحية هي علاقة قلبية وليست علاقة ذهنية ، وهي تبدأ من القلب وتترجم في السلوك وليس العكس ، فلا هي علاقة فرائض ونواهي بل هي علاقة تؤثر في طبيعة الشخص وفي قلبه .

فإن كانت معرفة الله تبدأ بمبادرة إلهية تجذبنا نحو المسيح ، فأننا نبدأ أولي خطواتنا في معرفة الله حينما **ننجذب قلبيا نحو المسيح** . فالمسيح في الروحانية المسيحية هو محور تركيزنا الذي يعطينا سلام الذهن والاسترخاء العقلي ، وهو الذي تتجمع فيه معارفنا المبعثرة وبه نصل لحياة البساطة والحكمة ، فنحن في روحانيتنا المسيحية نركز علي شخص المسيح ونتعلق بوعود الآب عنه وبوعوده التي لخلاصنا فيتركز كل رجائنا فيه ، ونبدأ نتأمل في رموزه وفي نبواته فهي مفتاح سر شخصه فنتعلق ذهنيا به ، فكلما تعلقنا به قلبيا وذهنيا ... فتح لنا أذهاننا وحرك قلوبنا نحو محبة الآب ، وحينئذ نكون مستعدين قلبيا وذهنيا ليأتي بنا إلي معرفة الآب .

ويسوع المسيح له المجد وحده هو الذي يكشف لنا عن الآب من خلال مساعدتنا علي **اختبار حضوره** ، ومن خلال **تقبل نعمة الروح القدس** . فهو يساعدنا علي معرفة حضور الله في حياتنا وكل مرة نختبر حضور الله في حياتنا تكون لحظة استنارة لنا ، يستنير بها الذهن في طريق معرفة الله . كذلك **معرفة الله في المسيحية لا تتم إلا بالاتحاد به** ولذا منحنا الرب بعمله الخلاصي عطية الروح القدس من عند الآب ، والروح القدس هو روح الشركة الذي به ندخل في شركة الله وفي سر معرفته .

حينما ندخل في شركة الله ، فأن معرفتنا لله تكون **معرفة مباشرة** ولا نحتاج إلي من يعلمنا ، فيعمل الروح علي إعلانها وتثبيتها فينا " وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذبا. كما علمتكم تثبتون فيه.[٨٧] كذلك هي **معرفة المشاركة** والتي تتحقق بالمحبة والتي يحققها المسيح وقد أوضح ذلك حينما قال لأبيه "وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم».[٨٨] فمعرفة الله تعني أن ندخل في حياة الله ، نختبرها ونتذوقها .

---

[٨٧] ايوحنا٢: ٢٧
[٨٨] يوحنا١٧: ٢٦

معرفة الله في الروحانية المسيحية تعني أن نعترف بجهلنا في معرفة الله فلا نتصوره ، كذلك نعترف أننا لا نفهم لا طبيعة الله ولا جوهره ولكننا نتفهم مشيئة الله وإرادته من جهتنا ، وهذه هي قمة الحكمة الروحانية التي فيها يتجدّد الفهم ويصبح قادرًا على **تمييز إرادة الله** ، **ومعرفة ما هو صالح ، وما هو مُرضيّ ، وما هو كامل**[٨٩] .

كيف نعرف ذواتنا في الروحانية المسيحية ؟

معرفة الذات التي تسعي إليها كل الروحانيات نجدها في المسيحية لا تتم منفصلة عن معرفة الله ، فالشخص لا يعرف نفسه إلا حينما يدخل في علاقة مع أخر ، وأي معرفة للذات بدون الدخول في علاقة هي معرفة خيالية خادعة ولا تفصح عن حقيقية الذات بل قد تؤدي إلي تأليه الذات . لذلك يدخل الروحاني المسيحي في علاقة مع الله وفيه يكتشف ذاته كصورة له وكمثال للمسيح .

في علاقتنا الروحية بشخص الله نبدأ نكتشف سر الشخصية [٩٠]، ونفهم شخصيتنا ، ففي علاقتنا بالله وعندما نكتشف أن الله لا يتصور وليس له شبه في العالم المادي وأنه خلق الإنسان ليعلن عن حضوره ويشير إلي فرادته ، فالإنسان كذلك هو مخلوق فريد ويقدر أن يفرض شخصيته الفريدة علي العالم المادي ليشير لوجوده ويعلن عن فكره الخاص . فنحن الذين نشكل العالم ولا يشكلنا العالم ونحن نكتسب شخصيتنا من الله ونفرضها علي العالم .

كذلك شخصيتنا نستمدها من الله بالمحبة حينما ننفتح عليه ونتقبل محبته ، كذلك كلما انفتحت شخصيتنا علي الناس وتقبلنا محبتهم وزادت ثقتنا فيهم ، وكلما بذلنا أنفسنا من أجلهم وزادت ثقتهم فينا ، كلما زادت شخصيتنا وضوحا وزادت حضورا بينهم .

أننا لسنا شخصيات صامته بل شخصيات معبرة عن ذاتها ، فتعبيراتنا ومشاركتنا في الحياة هي فقط التي تظهر شخصياتنا ، وبدونها شخصياتنا لا تتحقق . فنحن نعبر عن الله الذي فينا ونعبر عن معرفتنا لإرادة الله فنعمل أعمال تمجد الله وتحقق شخصيتنا التي هي علي صورة الله .

---

[٨٩] رو ١٢ :٢

[٩٠] راجع كتاب مفتاح المفاهيم للمؤلف ص٢١٥-٢٢٣

كذلك شخصيتنا تحددها اختياراتنا ، فكلما اخترنا الصلاح وسلكنا في طريق البر تقوت شخصيتنا في المسيح ، وكلما رفضنا الله واشتهينا الشر كلما تبعدنا عن طريق الخير وكلما تشوهت شخصيتنا وفقدت تميزها وحياتها وحكمتها ولا تعود تقدر علي تحقيق ذاتها .

٢- كيف نتواصل روحيا مع الله في الروحانية المسيحية ؟

في كل الروحانيات يدرك الإنسان تأثير الروح عليه وتأثير الأرواح علي شخصيته وعلي وجوده ويسعي للاتصال بالأرواح لتقوية روحه وتثبيت وجوده ، وله معتقدات مختلفة عن تأثير هذه الأرواح عليه وعن كيفية الاتصال بها والتواصل معها .

أما في الروحانية المسيحية فأننا نؤمن بتأثير الأرواح وخاصة روح الله علينا ، ولكن لنا خصوصية في فهم كيفية تواصلنا مع الله ، وفي فهم القوة التي يمنحها لنا الله .

ففي الروحانية المسيحية لا توجد طريقة نستطيع أن نتصل بها بالله إلا أن نفتح قلوبنا نحوه ونطلب خلاصه ونرجوه وننتظره حتى يبادر فيتصل بنا .

لقد بادر الله وكلم نوح وإبراهيم واسحق ويعقوب وموسى ... وهم سمعوا صوتا يتحدث إليهم ، صوتا ليس باقي الأصوات ، إنما صوتا رقيقا يكلم الروح قبل الأذن ، ويدخل القلب قبل العقل ، ويحرك الإرادة قبل التفكير . أنه الصوت الذي يدخل الحياة ويصبح جزأ منها .[٩١] هؤلاء حينما كلمهم الله عاشوا كل حياتهم علي كلمته بالإيمان مرتكزين علي ما سمعوه في قلوبهم ، فصاروا أبطال الإيمان ... وتغيروا ... وغيروا مجري التاريخ البشري .

كلمة الله تحمل قوة خلق في ذاتها ، والله يريد أن تتجسد كلمته في حياتنا وفي شخصيتنا ، وكما تجسدت كلمة الله فينا ، كلما رأيناه وكلما سمعناه وكلما لمسته أيدنا ، وكلما ظهرت حياته فينا [٩٢]، هكذا الله يتكلم ويجسد كلمته في قلوبنا لتظهر في حياتنا وتغيرها ، ولتظهر شخص المسيح فينا .

في الروحانية المسيحية لا نتصل بالله بل نكون في حالة ترقب (سهر) وانتظار ويقظة لننتبه حينما يتكلم ، وفي حالة استعداد روحي لتقبل كلمته ، نحن نكون في ترقب وسهر روحي

---

[91] http://www.bakhdida.com/FrBasimShoni/SLife.htm

[٩٢] ١ يوحنا ١ : ١-٢

منتظرين الرب ، وهو يأتي في الوقت المناسب له وليس كما نحدد فهو يأتي في منتصف الليل أو في الهزيع الثاني أو الثالث[93] أو حتى الرابع . في سهرنا الروحي نتوسل إليه أن يأتي ، ونطلب أن يحضر في أحداث حياتنا المفرحة وفي الأحداث المؤلمة ، وكذلك في سهرنا نسبحه ونتأمل فيه ، ونذكر أنفسنا بعظيم صنيعه معنا فنقدم له الشكر والإكرام والسجود .

كذلك نعد أنفسنا روحيا لتقبل اتصاله بنا وإعلان كلمته فينا ، لنستطيع أن نكون مثل العذراء التي هي نموذج لقمة الروحانية في التواصل الروحي بالله ، فحينما بشرها قالت «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ. [94] فهي أخضعت مشيئتها بالتمام للمشيئة الإلهية كأمة للرب ، وكذلك أمنت أن يتمم الله مشيئته فيها وأعلنت إيمانها بقولها "ليكن لي كقولك" أن الأمر ليس بسهل في الحياة الروحية ، فالإنسان يحتاج إلي جهاد روحي طويل ليستطيع أن يقول أنا "أمة الرب" عن فهم روحي وقناعة ورغبة قلبية أن يوحد مشيئته مع المشيئة الإلهية . كذلك يحتاج أن يؤمن ليري قوة كلمة الله وصوته يعمل في حياته ويغيرها ويغيره ويقول "ليكن لي كقولك" ويصير أداة لتحقيق مشيئة الله .

٣- كيف نفهم الجهاد الروحي في الروحانية المسيحية ؟

إن كان في الحروب توجد أهداف إستراتيجية وأهداف تكتيكية ، ولابد أن تخدم الأهداف التكتيكية الهدف الإستراتيجي وإلا فقدت الحرب مغزاها وقيمتها ، هكذا نحن في جهادنا الروحي لابد أن تخدم نسكياتنا بأهدافها التقنية هدفنا الروحي الأساسي من جهادنا وإلا سوف ننجح في الجهاد ونفشل في الروح ، ونحقق روحانية جيدة ونخسر الحياة ، وتصير روحانيتنا روحانية بل معني ولا قيمة ولا تأثير .

لذلك نحتاج في جهادنا الروحي أن نعي هدفنا الروحي النهائي ونعرف لماذا نجاهد ، حتى ما نصبغ كل مرحلة في جهادنا الروحي بالصبغة المسيحية ، ونصير في اتجاه الهدف الروحي المسيحي الذي نسعى إليه .

---

[93] لوقا ١٢ : ٣٨ ، متى ١٤ : ٢٥
[94] لوقا ١ : ٣٨

إن كان في الروحانيات المختلفة يجاهد الإنسان كي ما يسيطر بروحه علي جسده ليستطيع أن يعبر عن حقيقة شخصيته ويحقق ذاته ، فأننا في روحانيتنا المسيحية نجاهد لكي نكون هيكل لله ، ومسكنا للروح ، وجسدا للمسيح ، فتكون القيادة لروح الله ويكون جسدنا معبرا عن أرواحنا التي تحيا في وصال دائم بالله وتشكلت بصورة المسيح ، فيظهر الله فينا ونظهره للعالم ... فيتمجد فينا وبنا .

كيف يصير جسدنا هيكل لله ؟

تقام الهياكل لتعلن عن وجود الله ولتعلن عن أماكن يمكن للناس أن يلتقوا بالله فيها ، القديسين هياكل حية يتوجه إليهم الناس ليروا الله فيهم ويسمعوا منهم صوت الله وليتبركوا من الله الذي قدسهم ، فكيف صاروا هياكل لله ؟ وكيف نصير نحن هياكل لله ؟

أننا مدعون أن نصير هياكل لله تعلن عن وجوده وتعلن عن شخصه ، ونحن نجاهد لكي ما نحول جسدنا وحياتنا المادية لهيكل لله وهذا غاية نسكنا وجهادنا الروحي ، فحينما تتشكل حياتنا بكلمة الله فأننا نكون معبرين عن كلمة الله ، فحياتنا وسلوكنا يعلن كلمة الله وهذا غاية الصوم المسيحي أن نحيا بالكلمة فنصير كلمة الله المقروءة من جميع الناس . وعندما نوجه طاقاتنا الجنسية في اتجاه المحبة ونجيد التجاذب والتواصل مع الناس نصير معبرا لنقل محبة الله للناس وهذا غاية العفاف المسيحي ، وعندما نتحرر من الارتباط بالماديات ونعطي ونبذل ما عندنا للناس من أجل الله ، يبدأ الله من خلالنا يفيض ببركاته علي الناس ونصير معبرا لانسكاب النعمة وهذا غاية العطاء المسيحي .

وإن كان في الهياكل يصلي الناس ، فأننا حينما نصير هياكل روحية لله فأننا نستطيع أن نساعد الناس علي الاتصال بالله ، فنصلي معهم وعنهم ، ونساعدهم علي فهم كلمة الله والتعرف علي مشيئته من نحوهم ، ونحفزهم أن يعطوا لله ونعلمهم كيف يعطوا .

كيف نصير مسكنا لروح الله ؟

سكني الروح تعني أن يستقر الروح القدس فينا ويستريح لعمله فينا كما سبق توضيحه ، ونحن بجهادنا الروحي النسكي ، نعد أنفسنا ليسكننا الروح ويعمل بل ويشتعل فينا . النسك هو تجهيز لقلوبنا لعمل الروح كما نعد منزلنا لاستقبال ضيوفنا ، وهو إعلان تجاوبنا مع عمل الروح فينا

حتى ما يثمر فينا ، فالروح القدس يعطينا روح المعرفة والحكمة ونحن نصوم لنحيا بالكلمة المعلنة في قلوبنا بالروح ، والروح يعطينا روح القداسة ونحن نتعفف لنحيا القداسة ، والروح يعطينا مواهب روحية ونحن نبذلها في خدمة الآخرين .

كيف نصير جسداً للمسيح ؟

يحتاج الإنسان جسده ليعبر عن حضوره وعن روحه ، هكذا المسيح يحتاجنا لنعبر عن حضوره في العالم وليعمل بنا ، فالمسيح يستمر بجسده في العالم بنا ، فنحن كنيسته نشكل جسده الذي يعمل به في حياة العالم . ولذلك فنحن نقدم أجسادنا وحياتنا للمسيح ليعمل بنا في العالم لخلاصه ، وفي حياة الناس لخلاصهم .

أن كل نسك نمارسه هو من أجل نقدم أنفسنا وحياتنا ليعمل المسيح بها ، نصوم لنعرف ماذا يريدنا المسيح عمله ونعرف مشيئة الله أبيه ونحياها ، ونتعفف لنتحد بالناس بالحب ونكون معا جسد المسيح ، ونبذل ليستمر صليب المسيح في عمله الخلاصي [٩٥].

[٩٥] وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ: الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ، كولوسي ١ : ٢٤

الأهداف الروحية للروحانية المسيحية

لماذا نسعى لحياة روحية ولماذا نجاهد فيها ؟

إن كان هدف الروحانيون المتدينون وغير المتدينون هو الحياة الأفضل ، فأننا في المسيحية نسعى أيضا من أجل الحياة الأفضل ، فالمسيح جاء لتكون لنا حياة وليكون لنا أفضل ، ولكن ما هو مفهوم الحياة الأفضل في الروحانية المسيحية ؟

في المسيحية لا نسعى لتحسين نوعية الحياة الحاضرة ولكن لنقله نوعية في الحياة نفسها . فنحن نسعى أن نحقق الخلاص الذي صنعه المسيح لنا وأن نتمتع به .... فالحياة الجديدة في المسيح لها خصائص مختلفة تجعلها أفضل من الحياة التي يحييها حتى الروحانيون في العالم . فمن خصائص الحياة الجديدة في المسيح :

١ - *معالجة التفسخ في الشخصية الإنسانية :*

إن كان الشر الذي دخل إلي الإنسان عمل علي فساده وأفسد العالم ، فأن هذا الفساد في طبيعته يعمل علي تفسخ شخصية الإنسان ويصنع تعارض بين جسده وروحه ، وصراع بين قيمه ورغباته ، وبينه وبين الطبيعة ، فلذلك فأن خلاص المرء يكمن في إعادة الهرموني بين مفردات شخصيته المتفرقة فينسجم جسده مع روحه ، وقيمه مع رغباته ، وإرادته مع إرادة الله ، وحياته مع حياة الناس ، وهذا ما حققه المسيح في جسده وفي حياته ، ولذلك نحن نهدف من كل ممارساتنا

الروحية أن نروحن مفردات الشخصية وجعلها مسيحية ، وهذا يساعد علـي تجمـع الشخصـية وتماسكها حتى تكتمل وتنسجم مع بعضها البعض فنصل لحياة الكمال والبساطة .

وإن كان الروحانيون يعتقدون أن الشخصية تبدأ في التجمع في الذهن ولـذا فالنشـاط الروحي عندهم هو نشاط ذهني ، فأننا في المسيحية نؤمن أن الشخصية تتجمع في القلب وفي المسيح ولذا النشاط الروحي هو نشاط لتنمية المحبة التي تربط الشخص بشخص المسيح . حينئذ يأخذ سمات المسيح التي تدعم سمات شخصيته وتصحح ضعفها . هذه السمات المسـيحية هـي الـتي تجمـع الشخصية وتوحدها لتظهر المسيح فينا – شخصية واحدة ومتماسكة .

٢- معرفة حقيقية الذات كصورة للمسيح

شخصيتنا بعد السقوط لا نفهمها لأنها شخصية مجزئه ومنقسمة علي ذاتها وهـذا سـر خرابها وتدميرها الذاتي ، ونحن نجاهد روحيا لكي تتجمع وتتوحد فتحييا ولا تخرب ، وتتجمع فلا تنقسم وتترابط فلا تتوه ولا تدمر ، ولكن كيف تتجمع ؟ وعلي أي مقياس نجمعها ؟

الأطفال حينما يلعبون لعبة المحيرات ويحاولون تركيب الصورة المجزئة فأنهم يحتـاجون أن تكون عندهم الصورة الأصلية المجمعة لقطع البازل يبدءون عليها تجميع القطع المفرقة لتكون صورة واحدة .

إن لم يوجد مقياس للشخصية فيكون من الصعب تجمعها ، هذا المقياس يسميه الروحانيين معرفة الذات أو الذات العليا ، ولكننا في المسيحية مقياسنا هو المسيح ونحن نتجمع لنكـون علـي صورة المسيح .

أن شخصيتنا المتكاملة والتي نسعى لتحقيقيها هي **المسيح** ، ولذلك يعمل الروح القـدس علي غرز صورة المسيح فينا ويعمل علي تقديسنا لنحقق هذه الصـورة . ولـذلك في روحانيتنـا المسيحية فمعرفة الذات ومعرفة المسيح هي أمر واحد ، ونبدأ بمعرفة المسيح لنعرف ذاتنا ، ونحقـق صورة المسيح فينا فنحقق ذاتنا ، ونحن كلما نجحنا في نمونا الروحي تظهر صورة المسيح فينا ونعيها ذهنيا وقلبيا ونحققها عمليا في حياتنا .

٣- الدخول في شركة الله ، وتحقيق جسد المسيح علي الأرض :

الوحدة التي يسعى إليها الروحانيون والمتصوفون نسعى نحن إليها أيضا ، ولكننا لا نهدف للوحدة مع الذات ومع الطبيعة ومع الناس ، ولكن وحدة تتم في المسيح فيها نتحد بالله وندخل في شركة محبته ، ووحدة مع الآخرين لنكون واحدا ونحقق جسد المسيح علي الأرض ووحدة مع الذات لنكون أعضاء للمسيح .

الممارسات الروحية في الروحانية المسيحية

في المسيحية نمارس التأمل والصلاة والنسك ولكن بأسلوب مختلف ولهدف مختلف ، فنحن نتأمل في المسيح ونصلي في المسيح ونجاهد بالوسائل النسكية لنعبر عن المسيح الذي فينا .

١- التأمل في كلمة الله وفي المسيح

في المسيحية نهوي التأمل ، فالرموز كثيرة ونحن نتأمل الرموز لأنها باب للسماء وباب للعالم الروح ، ونركز في الرموز علي شخص المسيح له المجد ، فنربط بين كل الرموز الكنسية والرموز الكتابية بشخص المسيح ، نتأمل في كلمة الله ونركز فيها ونحاول أن نربط كل ما نقرأه في الكتاب بشخص المسيح ، فكل ما كتب فيه من تنبؤات يشير إليه ويتحقق فيه وكل أبطال الكتاب رموزا له .

في الحياة الطقسية الكنسية ، يكون التأمل مرتبط بالصلاة ، فالمسيحي يتأمل عندما يدخل الكنيسة للصلاة ففي المكان رموز كثيرة تساعده علي التأمل وقت الصلاة ، وكذلك هناك الحان كثيرة تساعد علي التأمل والدخول في حالة التأمل ، وهناك الكثير من القراءات الكنسية والعظات تجعله يدخل في التأمل ، فالتأمل في الروحانية المسيحية له وسائله المساعدة التي تجعل الشخص يدخل فيه بدون معاناة وبفرح ، وبدون إجهاد ذهني .

في الحياة الرهبانية ، التأمل عمل الناسك المسيحي ويجاهد فيه كثيرا بالقراءة والصلاة ، وهو يقرأ ويدرس ويتعمق في المعرفة ، ويجاهد للوصول للمعرفة الروحية بتركيز أكثر من خلال الصلاة ، ومن خلال الحياة الديرية .

أن الهدف من ممارسات التأمل في الروحانية المسيحية هو ثبات الفكر في المسيح ، حتى ما يعلن الله فينا . أنه اختيار مثل مريم التي اختارت أن تجلس عن قدمي يسوع تتعلم منه ، فقال عنها اختارت مريم النصيب الصالح الذي لا يترع منها . فنحن بالتأمل لا نصل لمعرفة ذاتية عن المسيح ولا عن أنفسنا ولكن ننتظر بثبات حتى ما يكشف المسيح عن نفسه لنا ويتجلي فينا .

٢- الصلاة في المسيح بالروح

في ممارسة الصلاة في النسك المسيحي ، نصلي في المسيح وبالمسيح . فنحن نصلي لأن المسيح هو الذي يحفزنا علي الصلاة والطلب باسمه من الآب ، ويقول إلي الآن لم تطلبوا شيئا باسمي اطلبوا لتأخذوا ليكون فرحكم كاملا ، فنحن حينما نطلب من الله طلباتنا فذلك لأن المسيح شجعنا أن نطلب من الآب احتياجاتنا ، ونحن حينما نطلب لا نتضرع بذبائح ولا قرابين بل نتشفع باسم المسيح ، لذلك كل صلواتنا نختمها في أسم المسيح ربنا .

في صلاتنا لا نتأمل في المسيح ولكننا نستحضر المسيح ، لذلك لا نمل في صلواتنا من طلب المسيح ، يارب يسوع ارحمني ، ولا نمل من ذكر اسم المسيح وتسبيحه بل ونطلب منه أن يذكرنا " اذكرني يارب " .

في صلواتنا لا نكف عن طلب ملكوت الله ، ونقول ليأت ملكوتك ، فنطلب استعلانه في قلوبنا وتحقيقيه في واقعنا ، وكذلك في صلاتنا لا نكف أن نعلن خضوع مشيئتنا لمشيئته ونقول لتكن مشيئتك .

٣- الجهاد الروحي المسيحي

أن هدف الجهاد والنسك وقمع الجسد في الروحانية المسيحية ليس إضعاف الجسد بل تصحيح الجسد ، وجعله لا يعبر عن شهواته وثوراته بل يعبر عن المسيح الذي فينا . الجهاد المسيحي هو تصحيح لمسارات التعبير الجسدي لتعبر عن المسيح محور شخصياتنا الجديدة

في الصوم المسيحي نحن لا نأكل طعام العالم بل نأكل المسيح ، وحينما يصير المسيح خبزنا فأننا نحيا به ونتقوى به . وكما نأكل الطعام ونهضمه ليتحول إلي جسدنا وبه نقوي جسدنا ونبنيه هكذا عندما نأكل المسيح فهذا يعني أننا نأخذ كل ما للمسيح لنبني به شخصيتنا ، فالجهاد في الصوم هو كيف نأكل المسيح ونهضمه أي نعي كلامه ونفهم وصاياه وتعاليمه ونحفظها ونحيا بها .

كذلك في الصوم المسيحي نعبر عن المسيح الذي فينا ، فنأكل كما يأكل المسيح ، ويصير طعامنا هو طعام المسيح ، والمسيح طعامه مشيئة أبيه " فقد أعلن : طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ.[٩٦] فنحن عندما نجاهد لنتعلم الامتناع الإرادي وأن نحيا بالذهن فإن الهدف الذي نرجوه من وراء ذلك أن نتعلم كيف نعمل إرادة الله ونتمم عمله في حياتنا .

وإن كان العفاف هو من أجل أن نعبر عن محبتنا لا عن شهوتنا ، ففي العفاف المسيحي لا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتجاوزه لنعبر عن محبة المسيح الذي فينا ، فنحن حينما نحب الناس إنما نعبر عن محبة المسيح التي تغمرنا ، فمن محبة المسيح نحب الناس ، ونقدم جسدنا ليعبر به المسيح عن محبته للناس ، فنحن نقدس جسدنا ليكون أعضاء للمسيح ليعبر بها المسيح عن محبته ، هذا ما جعل بولس الرسول يحذر من خطورة الزنا قائلا : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ وَأَجْعَلُهَا أَعْضَاءَ زَانِيَةٍ؟ حَاشَا![٩٧] أن النجاح الحقيقي في جهاد العفة وتقديس الجسد في النسك المسيحي نصل إليه حينما ننجح في ربط محبتنا للأخوة بمحبتنا لله ، فتكون محبتنا للآخرين تعبيرا عن محبة الله ، ومحبتنا لله نعبر عنها بمحبتنا للأخوة .

إن كان العطاء في النسك الروحي هدفه التحرر من التعلق المادي بالحياة وسعى للحياة وليس امتلاك الحياة ، ففي الروحانية المسيحية نحن كذلك لا نتعلق بالحياة ماديا ونسعى لنحيا الحياة لا لكي نملكها ، ولكن نصنع هذا الأمر بطريقة أعمق ، فالحياة التي نسعى لنحياها هي حياة المسيح ، ونحيا الحياة كما يحياها ، والمسيح يحيا بأن يموت عندنا ليقوم فينا ، وهكذا نحن نجاهد لنعطي حياتنا ليحيا بها الآخرون ، ونبذل أنفسنا حبا فيهم لنقوم فيهم ويحيوا بحياتنا ، فهكذا نعبر بعمق عن حياة المسيح فينا . الأعمق في جهاد البذل أن نبذل المسيح الذي فينا ليحيا به الآخرون .

---

[٩٦] يوحنا ٤ : ٣٤

[٩٧] ١ كورنثوس ٦ : ١٥

الفهرس

التديـن ظاهرة إنسانية والدعوة للروحانية ظاهرة عالمية ، فماذا تعني هذه الظواهر ؟

وهـل هنـاك فـرق بـين التديـن الإنسـاني والتديـن المسـيحي ، وبين الروحانيات العالمية والروحانية المسيحية ؟

وإن كان التدين في إزدياد مطرد في مجتمعات كثيرة فهل نجح التدين في سمو الناس أخلاقيا وروحياً ؟!

ولماذا كلما إنتشر التدين في مجتمع يزداد فيه التغيب والأفكار الغيبية ، ويكثر الانتهازيين المتسترين بالدين ، وينتشر العنف الديني ؟! هل هناك أمراض تصيب التدين وتفسده ؟!

فما هي أسباب أمراض التدين وكيف نعالجها ؟

ما سر التسابق في الترويج للحركات الروحية والرياضات الروحية في العالم اليوم ؟

وما هي المكاسب التي يسعى لإكتسابها الناس من ممارساتهم الروحية ؟

وهل نفهم الروحانية المسيحية التي نسعى لنحياها؟

إنها تساؤلات تحتاج إلي وقفة تأمل ...

هذا الكتاب

هو لكل من يريد أن يكون صادقاً في تدينه وعميقاً في روحانيته ، ويريد أن ينقي تدينه من الخرافات والغيبيات ويسمو بروحانياته ليكون مسيحياً بالحق ، وهو لكل خادم وقائد روحي يريد ألا يضل الناس الذين يقودهم في طريقهم نحو الله .

يناقش الكتاب

كيف يكون الإنسان معتقداته وكيف يتطور تدينه وينمو ؟